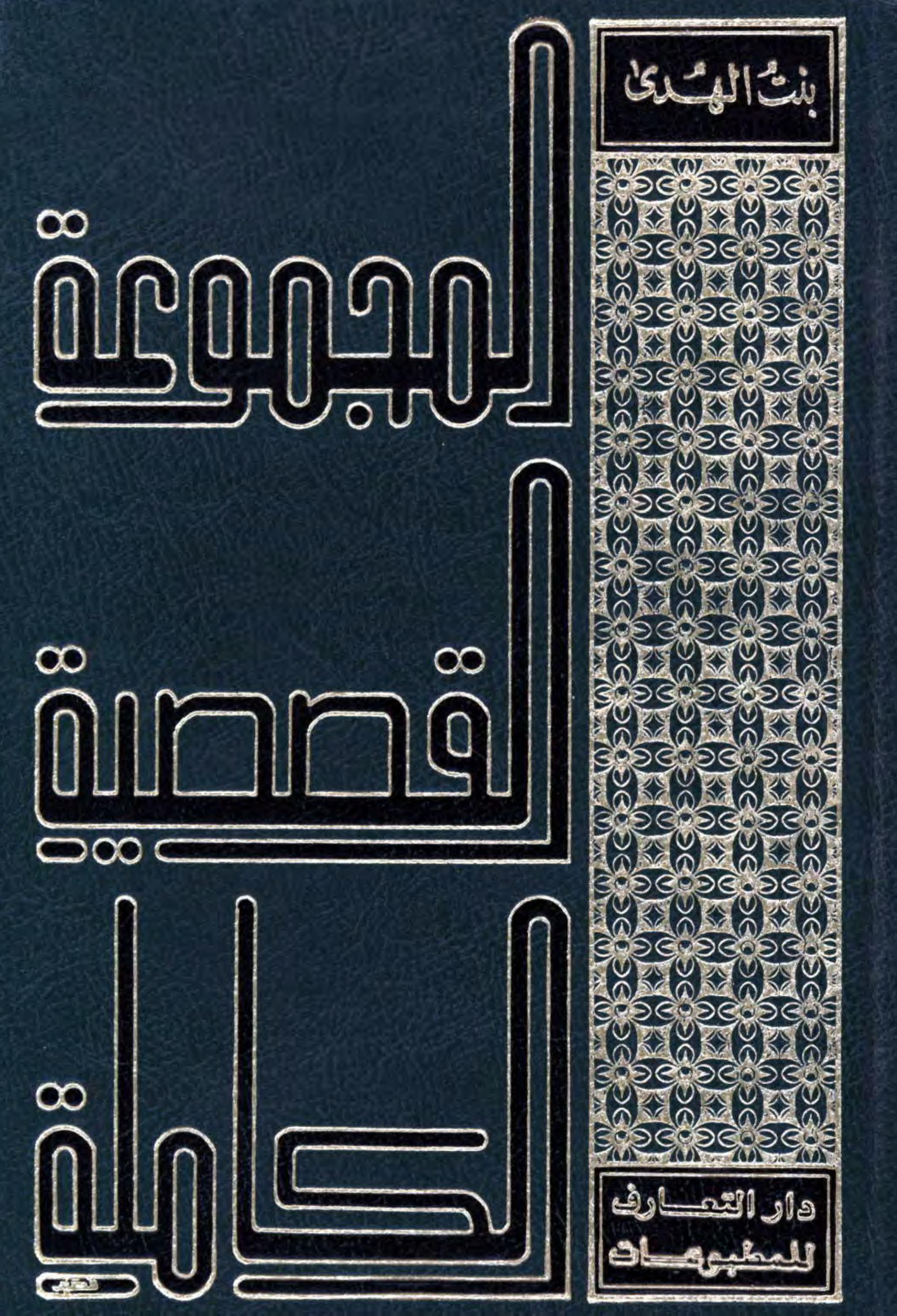

بنت الهدى
المجموعة
القصصية
الكاملة
دار التعارف
للمطبوعات

بنت الهدى

المجموعة القصصية
الكاملة

دار التعارف للمطبوعـــات
بيروت ـ لبـــنان
ص.ب ٨٦٠١

بنت الهدى

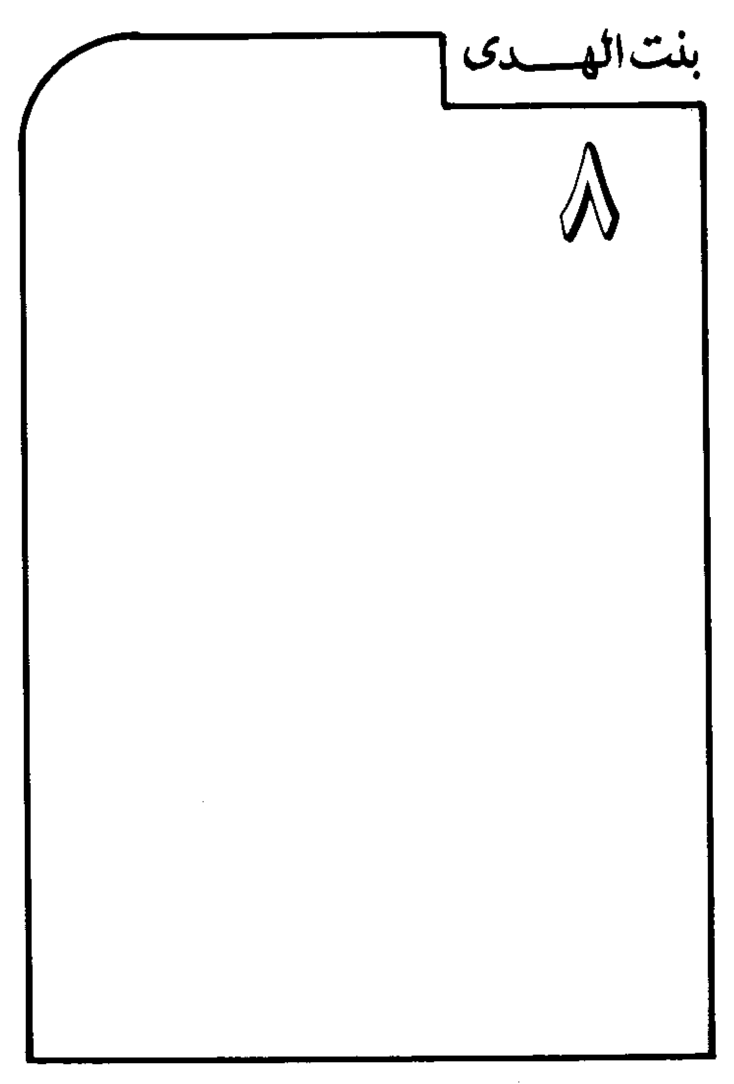
المجموعة القصصية الكاملة

المجلد الثالث

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

المجموعة القصصية الكاملة

- الفضيلة تنتصر
- ليتني كنت أعلم
- إمرأتان ورجل
- صراع مع واقع الحياة
- لقاء في المستشفى
- الخالة الضائعة
- الباحثة عن الحقيقة
- كلمة ودعوة
- ذكريات على تلال مكة
- بطولة المرأة المسلمة
- المرأة مع النبي



الباحثة عن الحقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقيتها فأحسست انني لم أعرف معنى الحياة قبل أن ألقاها ، كان كل ما فيها يشدني اليها بعنف ، وقوة ، وعذوبة ، ورقة ، عيناها الكحلاوين كانتا كقبس من نور لم اعد اعرف كيف ابصر طريقي بدونهما ، خصلات شعرها الشقراء المنسابة كانت بالنسبة لي خيوطا من ذهب تعلقت باطرافها نفسي وتابعت تموجاتها خفقات القلب عندي ، واستمعت اليها تتحدث فوددت لو بقيت تتحدث وبقيت استمع اليها العمر كله ، وكنت اشاهد المعجبين من حولها يتزاحمون على القرب منها ويتنافسون على سماع كلمة من كلامها فهم يحومون حولها كما يحوم الفراش على ضوء المصباح ، أما أنا فقد شغلت بها عن كل شيء حتى عن الدنو منها والتحدث اليها ، كنت كالعابد السابح في ملكوت عبادته الغارق في مشاعر صوفيته قائماً في محرابه لا يريم ، وهكذا كنت انا في جلستي تلك مستغرقاً في الانجذاب اليها مشغولا بذلك عن كل شيء حتى عن الحركة نحوها لا اريد

أن أغير من وضعي شيئاً لكي لا اخسر لحظة من لحظات هذا الفناء في ذاتها ، وكانت هي ـ كما كنت انا ـ طالبة في الصف الثالث من الجامعة ولكنها جديدة بالنسبة لهذه الجامعة بالذات اذ وفدت اليها اخيرا مع غيرها من الطلاب الذين اندمجت جامعتهم مع جامعتنا في مطلع هذا العام ، ولهذا فقد كنت اراها للمرة الأولى ويبدو ان غيري من المعجبين كان قد رأها من قبل ، ولم اكن لأبرح مكاني ذاك لولا انها قد انصرفت مع شلة من الطلبة والطالبـات وقد القت علي نـظرة فضول قبل انصرافها وكأنها تنكر علي عزوفي عن الدنو منها ، وقد نبهني انصرافها الى ان الدوام قد انتهى وان علي ان انصرف ايضاً فجمعت كتبي وسرت نحو البيت وأنا لا أكاد أبصر أو أحس شيئاً سواها .

ومرت الأيام وانا اراها من بعيد فلا اجرأ على الدنو منها مع كثرة من يدنو ، وكنت اجدها توزع على من حولها ضحكات بريئة وتتقبل منهم المداعبات الصغيرة ثم تنفر منهم عند أي تجاوز للأدب أو تهاون بالكرامة وكان ذلك مما يحببها الي اكثر ، ويجبنني عن الدنو منها بشكل اكبر ، وكنت الاحظها احياناً وهي تتطلع نحوي بشيء من الاهتمام وبنظرة تختلف عن نظراتها للاخرين ، وخمنت انها تعجب من هذا الإنسان الذي لم يضعف امام اغراءات جمالها ولم ينقاد نحو نداء انوثتها ، وعجبت ان تعتب علي لهذا الترفع الموهوم جاهلة ان هذا الإنسان الذي تعتب عليه قد ضعف فافتقد كل شيء حتى الجرأة على الدنو منها ، وان هذا الذي تتصوره اقوى من الأخرين ما هو إلا اضعفهم واكثرهم انقيادا ، وكانت نظراتها تلك تسلمني الى مزيد من العذاب ، فكنت أعود الى غرفتي كئيباً حزيناً أراجع المعاني المستترة وراء نظراتها اكثر مما اراجع دروسي ، وافكر في موقفي منها اكثر مما افكر

بمستقبلي ، لقد كانت تحسب انني غافل عنها وانـا لم اكن اعيش الا بها ومن اجلها ، لكم كنت اتمنى ان ابدو على حقيقتي ولو الى دقائق فاطلق عن نفسي هذه القيود التي تشل حركتها واروح ارفل في سعادة التحليق مع اماني العذاب ، فتغدو كل دقة من قلبي حكاية حب وتستحيل كل خلجة من خلجاته الى صورة من صور الفناء ، أتراني أتمكن أن اصف بعض مشاعري نحوها ؟ او اعبر عما كنت أحسه ؟ أبدا فقد كان الحب يعصف بقلبي ويطغي على وجودي كله فيا لطول ساعاتي تلك ويا لثقل مرور الزمن علي حين ذاك كنت اتمنى لو يقف مرور الزمن حينما اكون أمامها واستبطأ لحظات مروره حينما أكون بعيدا عنها ، طالما تمنيت أن أموت في جلسة من جلساتي امامها وهل كنت اجد للحياة معنىً بدونها ؟ كنت احب الحياة من اجلها واتمنى الموت خشية عـدم الحصول عليها ، ليتها كانت تسمع نبضات قلبي وتفهم حديثها او ان تصغي الى حديث فؤادي وتتابع نشيده الذي لا ينفك عنه لحظة من زمان (احبك) صحيح انها خفقات قلب ولكنها كانت حكاية حب ، نعم حكاية حب هي بالنسبة لي حكاية عمر فقد بدأت اوقت عمري واحدده منذ أبصرت بها عيناي وفي صباح يوم من الأيام وكنت قد بكرت بالجلوس في ركني المنعزل من الحديقة انتظر قدومها كعادتي في كل يوم مكتفياً بالنظر اليها من بعيد وبالنجوى الصـامته التي يـرددها لهـا قلبي ، وهل كان للقلب حديث سواهـا بعد ان اصبحت

اراها في كل شيء ، في خضرة الرياض الزاهيـة ، وزرقة السماء الصافية ، واشراقة القمر المنيرة، واحسها مع كل شيء مع نسمة الهواء العذبة ، ونهلة الماء الرائقة ، واريج الزهر الفواح . . . وفي ذلك الصباح لم يطل انتظاري لها فقد رأيتها تدخل ثم تلتفت حولها وكأنها تبحث عن احد ، ثم رأيتها بعد ذلك تتوجه نحوي فلم اصدق ما ارى ولكنها الحقيقة بعينهـا ولم تمض لحظات حتى كـانت تقف أمامي بقـوامها الممشوق وابتسـامتها الخلابـة ، آه نعم لقد رأيتهـا امامي ، وسمعت صوتها بأذني وهي تقول . . مرحبا فؤاد . . اتسمح لي ان اجلس معـك قليلاً فـإن لـدي سؤال ؟ فـارتبكت واحترت كيف اتصرف ، انها تسألني هل اسمح ؟ عجبا ! أوليست هي معي منذ رأيتها حتى الآن ؟ انها لم تبرحني ولم ابرحها لحظة فما معنى أن تسألني هذا السؤال ؟ أتراها تهزأ بي وهي تسألني هل اسمح ؟ وهل تراني اتمنى غير ذلك ؟ ثم اسعفني لساني بالكلام فقلت متلعثما :

نعم نعم تفضلي واجلسي . . وجلست الى جواري ولم نفترق الا بعد أن عرفت عني كل شيء وعرفت أنها تبادلني نفس الشعور وشعرت انني ملكت الدنيا بأسرها حينما ملكت قلبي هذه المعبودة الصغيرة .



وانصرفت سندس الي وحدي ، وبدأت ترفض الحائمين حولها بعنف ، أما أنا ، فقد انصرفت اليها بجميع وجودي مع انني عرفت انها من دين غير ديني ، ولكن لم يكن الدين ليؤثر على الحب الذي كنا نعيشه ، فما عرفنا من الدين غير رموز ونعوت امليت علينا املاء من قبل اهلنا ونحن لا نفهم منه سوى اسمه ، فإنى لهذا الدين المغلف بالضباب في أذهاننا أن يؤثر على هذا الحب الواضح المعطاء ؟ ولهذا فقد شربنا من كؤوس السعادة احلاها وغدونا لا نفترق الا في الساعات القليلة من الليل ولم يكن يكدر صفاء هذا الحب سوى مضايقات زميل لها في الدراسة كان قد انتقل معها من تلك الجامعة وكان يبدو مغرماً بها الى حد بعيد زاعماً بان له الحق الأول في القرب منها لأنه يماثلها في الدين وينتمي الى نفس البلد الذي تنتمي اليه وكان دائباً على ملاحقتنا بالأذى وتهديدنا بالوعيد ، ولكن جبننا كان لا يسمح لنا بمزيد من الاهتمام حتى حدث ان اصطدمنا بواقع كنا في غفلة عنه ،

ماذا لو انتهت فترة الدراسة وكان علينا ان يذهب كل الى بلده واهله ؟ ماذا سوف نصنع حين ذاك وقد أصبحنا بشكل يتعذر علينا الفراق . . لا شيء سوى المبادرة بالزواج ، ولكن الزواج كان حتى ذلك الوقت اخر ما نفكر فيه ، ومع هذا رضينا بهذا الحل ابقاء على حبنا وعلاقتنا . عند ذلك واجهتنا عقبة واحدة هي الاختلاف في الدين ، لأن الزواج لا يتم الا اذا اتحدنا في الانتساب الى دين واحد ، وأبدت هي استعدادها لأن تنتسب لديني فشكرتها على مبادرتها هذه وصرت أسأل عن أقصر طريق لانجاز الموضوع فقيل لي ان علي ان اخذها الى عالم ديني يعلمها الشهادتين وبذلك تصبح مسلمة مثلي ، ثم حاولت أن أعرف كيف يمكنني الوصول الى مثل ذلك العالم الديني ؟

وبعد أيام أرشدني أحدهم الى بيته . . . فتوجهنا اليه في مساء يوم من الأيام ، وكنت اتصوره شيخاً قد انحنى ظهره وابيضت حاجباه وملات التجاعيد وجهه الضامر القميء ، وكنا قد قدرنا معا قبل ان نصل باننا سوف لن نتمكن ان نفهم كلامه حينما يحرك به شفتيه بعبارات لا شك انها عتيقة تتخللها كلمات من الذكر والتسبيح ، قالت سندس : ان عليك أنت أن تفهم ما يقول قلت :

ولماذا علي أنا بالذات ؟ فتضاحكت وقالت :

لأنه يماثلك في الدين فهو مسلم وانت مسلم ، ولهذا

عليك أنت بالخصوص أن تفهم تمتمته العتيقة ، ولا أنسى أنني أجبتها ببرود قائلا : آه ، نعم اني مسلم ، وعندما وقفنا أمام الباب التصقت بي سندس قائلة :

فؤاد هل تعلم بأنني خائفة ؟ ولا انكر انني كنت خائفاً مثلها فهي أول مرة كان علي أن ادخل فيها الى بيت عالم ديني ، نعم عالم ديني يعتبرني ولا شك من المارقين العصاة ، كنت اخشى ان ينهرني ويقسو علي بكلماته ، كنت اخشى ان يمتنع عن استقبالي لأنني منحرف (على حد زعمه) فلطالما حذرني اصدقائي من الاحتكاك بمثل هؤلاء ، فهم حاقدون على كل شيء ، الشباب ، والجمال ، والثقافة ، والمال ، لأنهم لا يقدرون على امتلاك شيء من هذه الأشياء ولعل عجزهم هذا هو الذي جرهم الى سلوك هذا الطريق فالفشل قد يدفع صاحبه أحياناً الى الانتحار وهؤلاء أعقل من المنتحرين فهم يبنون لأنفسهم قواعد تدر عليهم المال والجاه دون أن يكلفهم ذلك أي عمل . . . ولكن ، ومع أن أفكاري كانت غير مريحة بالمرة فقد تظاهرت بالجرأة وقلت لها :

ولماذا تخافين يا حبيبتي ؟ انه أمر روتيني سوف ينجز خلال دقائق تصبحين بعدها مسلمة مثلي ! قالت :

وأنت كيف أصبحت مسلماً ؟ فتحيرت بماذا أجيب ثم قلت :

آه . نعم . أنا كيف أصبحت مسلماً ؟ في الحقيقة لست أعلم ولكنها الوراثة ، قالت :

وهل ان الدين ينتقل عن طريق الـوراثة ؟ فضحكت قائلاً :

أقصـد أنني ابن اسـرة مسلمـة ولهـذا اصبحت مسلماً والظاهر انها لم تقتنع فقد ردت علي قائلة :

لقد قلت لا أدري وهو الصحيح يا حبيبي ، فضغطت على يدها قائلاً :

نعـم انه هو الصحيح يا حبيبتي . . . ثم طرقنا الباب ففتحه لنا طفل صغير اسمر اللون نافذ النظرات تبدو عليه خمائل الذكاء مع شيء من الخجل ، ثم قادنا الى غرفة جانبية منعزلة وجدنا فيها العالم الديني ، وكانت مفاجأة لست أنساها ابدا وأنى لي أن انسى تلك اللحظات ؟ فقد وجدتني أمام شاب لا يتجاوز الأربعين من عمره مشرق الوجـه ، جميل الطلعة ، حسن الزي نظيف المسكن والملبس ، وقد استقبلنا بكلمات ترحيب حديثه مهـذبة وبصـوت هادىء رصـين ، وحينما أعطاني يده للمصافحة وجدتها يدا نظيفة مترفة تبعد كـل البعد عن تلك اليـد السوداء المعـروقة ذات الأظـافر السمراء التي كنت أتصورها للعالم الديني ، واحسست بالراحة والركون الى هذا الإنسان والتفت نحو سندس استطلع رأيها فيه فوجدت نظراتهـا تحكي عن الاعجاب والاستغـراب .

وعندما استقر بنا الجلوس همست لها قائلاً : الا تزالين خائفة ؟ قالت : كلا بل انني احس بالراحة ، ثم بدأت في الحديث فورا فحدثته عن الحب الذي جمع بين قلبينا منذ سنين وكيف اننا الآن في حاجة لان يشهد هو بإسلامها ، ولهذا فإنا ارجوه أن يكرر الشهادتين لتعيدها هي امامه ، فابتسم بلطف وقال بنغمة هادئة ولكن هذا لا يكفي يا ولدي ، فاستغربت ان يناديني بيا ولدي وهو لا يكبرني الا سنوات ، ثم قلت بشيء من العجب : وكيف ! قال :

ان الاسلام ليس مجرد ترديد كلمات رشعارات جوفاء انه يا ولدي عقيدة وفكرة ، قال هذا وسكت كأنه لا يريد ان يسترسل بحديث غير مطلوب منه ، والحقيقة ان هذا السكوت قد اعجبني منه لأنني كنت امقت اولئك الذين يغتنمون أصغر فرصة للتمشدق بما لديهم من كلمات ولا براز ما يعرفون من معلومات ولكنني كنت اريد ان اعرف اكثر فأنا صاحب حاجة اريد ان انجزها علي أي شكل ، ولهذا فقد استزدته من الكلام قائلاً :
اذن ؟ فابتسم من جديد وقال بنفس الأسلوب الهادىء :

بودي لو ساعدتك يا ولدي ولكنني في الحقيقة مسؤول عن هذا الدين الذي انتسب اليه ، فإنني وبصفتي عالم ديني لا أتمكن أن أعطي الإسلام على شكل قشور جوفاء ، وهنا لا أدري كيف سمحت لنفسي أن أصبح ملحاحا في ذلك اليوم لأنني عدت الح عليه قائلاً :

انه مجرد تسهيل أمر لنا ولا أعتقد أنه يضرك بشيء ، بهدوء أيضاً قائلًا :

والعجيب أنه لم يغضب ولم يعرض عني بل رد علي .

لو كان الأمر خاصا بي لحاولت أن أسهل أمر كما ما وسعني ذلك ولكنني مسؤول عنه يا ولدي . . ومن جديد عدت لكي ألح عليه بقولي :

انها جلسة خاصة وسوف لن نحدث بها أحدا ولن نعرضك لأي مسؤولية والمهم ان تنجز لنا الأمر بسرعة ، وهنا تململ العالم الديني في جلسته وكأنه يريد أن يتغلب على ما بعثه الحاحي الرخيص في نفسه من امتعاض وفعلا فقد تغلب على ذلك وبقي متمسكا باسلوبه اللين وقال :

انا لا افكر بالمسؤولية أمام الناس يا ولدي فلا مسؤولية علي من هذا الباب وسكت على عادته ينتظر مني حثه على الكلام ، فقلت :

إذن فأية مسؤولية هي يا ترى ؟ قال :

انها مسؤوليتي أمام الله عز وجل وأمام هذا الدين الذي جعلت من نفسي هادياً اليه ، لعلك تتصور ان العالم الديني يتمكن أن يتصرف كما يحلو له في الدين والدنيا ولكن الحقيقة ان العالم الديني هو اكثر الناس مسؤولية واحرجهم موقفاً دينياً ودنيوياً ، فليس من السهولة بمكان حمل هذه الامانة

الضخمة ، أمانة العطاء الديني وتحويله الى الناس بالشكل الصحيح ، وكانت كلمات العالم الديني تنفذ الى فكري وتداعب عواطفي ، سيما وقد احسست بانني الححت عليه اكثر مما يجب ولكنني (واكررها من جديد) كنت صاحب حاجة لا ارى الا قضاء حاجتي ولهذا عدت لأقول :

إذن ماذا تطلب منا ؟ قال بشيء من البرود : انا لا اطلب شيئاً ولكنك انت الذي تطلب مني ان اشهد لك بإسلام خطيبتك وتريد ان يكون اسلامها مجرد ترديد كلمات قصار لا أكثر ولا أقل وانا لا اشهد بإسلامها الا بعد أن تعرف عن الإسلام ما يجعلها تثق فيه ، وهنا فهمت ما يعنيه وتأثرت لموقفه واكبرت حلمه علي ولكنني مع الأسف كنت ملحاحا عليه في جلستي تلك فأردت أن اتكلم وان اعود لاطلب منه تسهيل الأمور فلم أكن اتصور ان في أمكان سندس ان تفهم الإسلام أو تفهم شيئاً عن الإسلام ، أو فهمت أنا شخصياً عنه شيئاً يا ترى مع انني ابن اسرة مسلمة فكيف سوف تفهمه سندس ؟ ولكن سندس وقد عرفت انني لا أريد أن أنزل عن موقفي اللجوج فبادرتني قائلة :

انه على حق يا فؤاد ، أرجوك أن لا تلحف عليه اكثر انني اكبر فيه واقعيته وحرصه على أداء الامانة بالشكل الصحيح ، والحقيقة بأنني أقررتها في نفسي على ما قالت ولكنني سألتها في قلق :

إذن ماذا نصنع ؟ قالت :

قل له ان يؤدي أمانته بالشكل الصحيح ويتصرف كما يرضي ضميره ، قلت :

وانت هل سوف تفهمين شيئاً عن الإسلام ؟ قالت :

ولماذا لا أفهم ؟ ألم أفهم دروس الفلسفة في الجامعة ؟ وكان العالم الديني يستمع الى حديثنا وهو يلاعب مسبحة سوداء بين أصابعه ، وكانت مسحة من الرضا أو الراحة تبدو على قسماته بعد أن عرف أن سندس قد فهمت ما يعنيه ، فقلت له بشيء من الخجل :

إذن فنحن نطلب منك اجراء ما ينبغي ونحن على استعداد لدفع ما يستحق . . عند هذا فقط ظهرت على العالم الديني علامات الاستياء وقال بشيء من الجفاء :

نحن هنا لا نتاجر بالدين ولا نطلب على ما نؤديه جزاءا الا من الله ، ان رجل الدين كله عطاء ولا يفكر يوماً بالأخذ . . . واحسست بالندم ونظرت الى سندس فوجدتها تنظر إلي باستنكار وتأنيب ثم همست قائلة :

لقد أسأت اليه ، لقد أخطأت التصرف . . . فعدت لكي أقول بتوسل :

الحقيقة انني أعتذر ان كنت قد أسأت اليك ولكنها أقاويل عديدة جعلتني أفكر على هذا الشكل ، فعاد يبتسم

مشجعاً وهو يقول ولكن الإنسان لا ينبغي له ان يصدق كل ما يسمع حتى يتأكد بنفسه من صحة ما يقال ، قلت في لهجة صادقة :

نعم فإنني كنت غلطان ، والآن أرجوك أن تتفضل بما تراه ، قال :

الحقيقة يا ولدي أن حاجة الإنسان للدين حاجة ضرورية وحتمية لا غنىً له عنها ولا يمكن لأي شيء عدى الدين أن يسد له تلك الحاجة ، قلت معترضا أو متسائلاً :

ولماذا ؟ قال :

لأن الإنسان بطبيعته البشرية وبتكوينه الفطري تواق الى الراحة ، والراحة لا تتكامل بدون سعادة إذن فهو تواق للسعادة أيضاً والسعادة لا تتحقق إلا إذا شملت جميع جوانب الإحساس لديه ، الفكر ، والعاطفة ، والدين هو المنهج الوحيد الذي يتكفل بتجسيد مفهوم السعادة الفكرية والعاطفية ، وذلك لما فيه من مثل خلاقة وعطاءات بنائة ، وأنظمة وقوانين تربوية صالحة . . . وهنا عدت لأقول :

ولكنك ذكرت أن ليس هناك ما يعوض عن الدين ، أو ليس في العلم وتقدمه وأثاره ما يعوض عنه بعد كل ما قدم من وسائل تكفلت بتحقيق الراحة والنعيم للإنسان ؟ قال :

كلا يا ولدي فهو حتى لو أراد أن يستعيض بالعلم عن

الدين ويلتمس ضالته من السعادة في رحابه ، سوف لن يتمكن أن يجد فيه ما يريد لأن العلم عاجز عن تحقيق السعادة بمفهومها الصحيح ، فهو وان وفر له عن طريق التكنلوجيا جميع اسباب الراحة الجسمية فجعله يقطع العالم عن طريق الطيران بساعات ، ويستمع الى الصوت البعيد عن طريق الأثير ، ويشاهد سطح القمر وهو جالس في بيته بواسطة التلفاز ، لكنه لن يتمكن ان يحقق له السعادة الكاملة لأنه لن يتمكن أن يقضي على الظلم الذي لا تتقبله طبيعة الإنسان أو أن يمحو ما تكرهه الفطرة الإنسانية من نفاق ورياء ، وحقد واعتداء ، واستغلال القوي للضعيف ، والتزاحم على المال والمقام ، لأن جميع ما يقدمه العلم خاضع لعاملين يتحكمان به هما عامل الخير وعامل الشر ، والإنسان هو الذي يوجه منجزات العلم ومخترعاته بالوجهة التي يريد ، فالطائرة مثلاً قد تكون قاذفة قنابل مدمرة وقد تكون وسيلة نقل مريحة ، والتلفاز قد يصبح أداة اعلامية صالحة وقد يستحيل الى جهاز خلاعي مقيت ، والبارود نجده يستعمل مرة في شق الطرق ويستعمل مرة أخرى في ازهاق أرواح بريئة ، وهكذا والى آخر ما في العلم من منجزات ، إذن فسوف يبقي الإنسان يصطدم مع ما لا يريده ولا يرغب فيه وذلك يعني عدم تحقيق السعادة الكاملة والراحة الحقيقية . . .
قلت :

ولماذا لا تكون المثالية الاخلاقية هي العوض عن الدين ؟

أعني لو تحقق شمول هذه المثالية واستيعابها لمناطق الحس لدى الإنسان لعمت مشاعر الإنسانية وطبقت قواعد العدالة بين المجتمع ؟ قال :

ولكن هذه المثالية الخلقية لن تستطيع هي أيضاً أن تحقق له السعادة أو تشيع في نفسه الرضا ، لأن المثالية الاخلاقية وليدة حالات طارئة وليست قاعدة ثابتة راسخة ، فالرحمة مثلاً ، وهي احدى مظاهر هذه المثالية وهي أيضاً مما تتوق اليه طبيعة الإنسان هذه الرحمة لا تتواجد في قلب الإنسان الا بعد وجود مقدمة ، والمقدمة هي أن يبصر هذا الإنسان ما يستدعي الرحمة وما يثير لديه دوافعها ، ومثل ذلك لو تصورنا غنيا يعمر قلبه بالرحمة والرأفة وهو مجبول على مساعدة الفقراء والمساكين ، هذا الغني لا يتمكن أن يساعد اكثر من الفقراء الذين يراهم فقط وفقط لأن هذا الفقير هو الوحيد الذي يثير في نفسه عوامل الرحمة ، أما لو لم يبصر بفقير فهو لن يستفيد من رحمته شيئاً ولن يستفيد منها المجتمع ايضاً ، والرحمة هنا مثال عن الاخلاق والتعاطف الاجتماعي . ولهذا ، ولكون هذا التعاطف ليس نتيجة لقواعد ثابتة فهو لن يؤدي دوره الكامل في سبيل تحقيق الراحة والسعادة للإنسان البشري لمحدودية مجالاته وضيقها . . . وكنت استمع اليه مقتنعاً ولكن خطر لي أن أسأل من جديد قائلاً :

ولكن ما رأيك بشعور المصلحة المتبادلة ؟ اليس فيه ما يغني عن الدين ويحقق الراحة للإنسان ؟ . . . قال :

كلا، فإن هذه المصلحة المتبادلة لا يمكن لها أن تحقق السعادة والراحة أيضاً، قلت لماذا؟ قال:

لأن فيها ثغرات لا تمكنها من تحقيق السعادة والراحة وهي تعارض المصالح وتباينها بين الأفراد، فما أكثر ما تكون مصلحة زيد قائمة على أساس من نقيضها عند عمر، وما أكثر ما شيدت صروح على أنقاض صروح، وعمرت بلدان نتيجة خراب بلدان، وسعد أفراد لما شقوا به الآخرون، اذن فإن الشقاء سوف لن ينمحي بتحقيق قانون التبادل المصلحي والسعادة سوف لن تتواجد نتيجة سيادة المصلحة في المجتمع، وسوف يبقى الإنسان يواجه مالا يريد، ويجد مالا يريح، ولهذا فهو يبقى يفتش عن الراحة التي تتوق اليها طبيعته في كل حال من الأحوال... قلت:

ولكن الا تتمكن التربية الصحيحة والتنوير الفكري، والتهذيب النفسي من تحقيق ذلك للإنسان؟ قال:

ولكن هذه التربية الصحيحة التي تتصورها تحتاج هي بدورها الى مربين، والمربين في حاجة الى مربين أيضاً وهكذا الى مالا نهاية، فالتربية لا تبدأ من الصفر، والصفر لا يخلق أرقام، ولهذا يبقى الإنسان حاملاً معه الشعور الملح بالحاجة الى الدين، الدين الذي يحقق له جميع صور السعادة والراحة منطلقة من قواعد ثابتة لا تتغير ولا تتلون ولا تخضع للتبديل والتحريف، عند هذا سكت العالم الديني وبقينا نحن ساكتين

منجذبين لما كنا نسمع ، وبعد لحظات من السكوت قلت :

لماذا سكت يا أستاذ أترانا قد أتعبناك أو أخذنا من وقتك أكثر مما ينبغي ؟

قال: كلا ولكنني أردت أن أعطيكما مجالا للراحة ولابداء الرأي فيما سمعتما ، فالتفت نحو سندس فوجدتها تقول :

أطلب منه أن يستمر فأنا منسجمة معه تمام الانسجام وليس لدي أية مناقشة قلت : اذن تفضل وأكمل الحديث يا استاذ ، قال :

والآن وبعد ان عرفنا حاجة الإنسان الضرورية للدين سوف نعرف بالضمن ضرورة وجود النبوات والرسالات ولكن بقي علينا ان نعرف ما هي أوصاف الدين او ما هي أوصاف الرسالة التي تحقق الراحة للإنسان ، قلت :

نعم فما هي أوصاف هذا الدين ؟ قال :

أولاً: أن يكون منسجماً مع الفطرة وان لا يكون متنافراً مع ما جبلت عليه الطبيعة الإنسانية .

ثانياً : ان يكون ملائماً للعقل ولا يحتوي على أشياء يعجز العقل عن استيعابها .

ثالثاً: ان يكون متكفلاً بتقديم القيم الصالحة التي تبني الإنسان الصالح .

رابعاً: أن يكون متمكناً من تقديم قدوة ، أي من

تقديم وسائل ايضاح تمكن من التعرف على جوهره وغاياته وتمكن من السير على منهاجه . والإسلام هو الـدين الذي يتكفل بتقديم كل هذه الصور والاوصاف ، الى هنا وسكت العالم ، فحاولت ان أصبر نفسي عن السؤال الى دقائق ثم سألت في لهفة وفي شيء من التحدي قائلاً :

وكيف يمكن لنا أن نعرف أن الإسلام هو الدين الذي يتكفل بتقديم كل هذه الشروط والخصائص ؟ فتنحنح العالم وقال :

وهذا هو ما أريد أن أشرحه لها يا استاذ ولكنه سوف يستوعب مقداراً طويلاً من الوقت فهل لديكما المدة الكافية ؟ عند ذلك نظرت الى ساعتي وكنت قد غفلت عن متابعتها (على خلاف عـادتي) طيلة مدة الحـديث فوجـدتها تقـارب العاشرة مساءا وكان علينا أن نعود قبل ذلك بساعة لكي تصل سندس الى بيت الطالبات قبـل أن تغلق الأبواب ، ولهذا فقد اضطررنا ان نؤجل الحديث الى جلسة قادمة ، فحصلنا منه على موعد في اليوم القادم ، ثم قمنا لننصرف وكـانت اجواء الـوداع تختلف كـل الاختـلاف عن أجـواء اللقاء ، فقد خرجنا ونحن نتشوق الرجوع بينما كنا قد دخلنا ونحن نستعجل الخروج ، وفي منعطف الشارع احسسنا أن هنـاك من يتتبع خـطواتنا ، ولم نتمكن أن نميـزه من بعد وشعرت سندس ببعض الأرتباك خشية أن يكون هو باسم

زميلها في الدراسة ومحبها المفتون ، ولكنني حاولت أن أطمأنها وابعد عن ذهنها الشكوك ، وكان السرى في تلك الساعة من الليل مع اطلالة القمر وهدوء الطريق كفيلا لأن ينسينا كل شيء حتى فضول هذا المتتبع الرخيص فتماسكت يدانا وثقلت خطواتنا وبدأ الصمت يحكي باستمراره أعذب حديث وينطق لطوله بأروع الكلمات ، حتى وصلنا اخيراً الى دار الطالبات ، وكانت الساعة قد تعدت الحادية عشر مساءاً ، وبالطبع فقد وجدنا الأبواب مغلقة والبيت غارق في السكون والظلام . وما كان يسعنا أن نطرق الباب فهو أمر غير مسموح فيه ولهذا فقد وقفنا وراء الباب حائرين ، وكان موقفنا ذاك مما لا نحسد عليه أبداً ، وبعد فترة من الحيرة قلت :

ان علينا أن نقرر أمرنا يا سندس ، فالليل يتقدم ومن غير المعقول ان نقف هنا حتى الصباح ، ليتنا كنا قد خرجنا من هناك قبل ساعة ، فردت علي بهدوء غير متوقع قائلة :

ولكننا لم نكن نلهو هناك يا فؤاد أتراك نسيت بأننا كنا أصحاب حاجة وكان تحقيق حاجتنا يتطلب البقاء ؟ ثم انني أشعر بأن الفائدة التي حصلنا عليها تعوضنا عن صعوبة هذا الموقف ولولا خشيتي أن يكون باسم قد تتبع خطواتنا وانه سوف يسعى الى وضع العراقيل في طريقنا لما اهمني من امر هذا الموقف المحرج شيئاً يا فؤاد ، فأعجبني كلامها

واحسست بأنني أشعر نفس شعورها لولا احساسي بالمسؤولية تجاهها ولهذا فقد وافقتها عى ما قالت وحاولت أن ابعد عنها المخاوف ثم عرضت عليها أن تذهب معي الى بيتي الصغير ، وصعب عليها ذلك ولكن لم يكن يسعها الرفض فتوجهنا معا الى هناك ، وعندما كنت افتح الباب لاحظت ان هناك من كان يتتبع خطواتنا ولكن سندس لم تلاحظ شيئاً من ذلك اذ لم يبدو عليها أثر للقلق ، ودخلنا البيت ، ولأول مرة ظهر الارتباك على سندس ثم قالت بشيء من الخجل :

أين سوف أنام يا فؤاد ؟ قلت :

كما تشائين يا حبيبتي ، قالت :

سوف أنام في غرفة الأستقبال لتنام أنت هنا في مكانك ، فسكت لحظة ثم قلت لها :

بل تنامين انت هنا وأنا الذي أنام في غرفة الإستقبال .

وفي صباح اليوم الثاني وبينما كنت أبحث عن سندس بين مجموع الطالبات تقدم مني احد الطلاب الجدد وسلمني رسالة ثم اختفى بين المجموع ، فانتحيت جانباً وقد ارتابت نفسي مما فيها وفتحتها فوجدت فيها ما يلي . . .

(أتـرا كما تحسبـان انني لن اتمكن من تحطيم صـروح بنيتماها على أنقاض آمالي ؟ ان لدي ما يمكنني من القيام بأي عمل فأما أن تنسحب عن حياتها وتتركها لي من جديد ، وأما أن أقدم على أي شيء ، نعم على أي شيء، وأول عمل أقوم به هو اخبار اهلها بما اتفقتما عليه ، نعم اخبارهم بأنها بدأت تقضي لياليها بين بيوت المشعوذين من المسلمين وبيتك الخالي وارتج علي ولم أعرف كيف اتصرف ، فتركت محاولة البحث عن سندس وجلست في زاوية منعزلة أفكر فيما يجب علي أن أفعل ، ولكن ماذا كان عساي أن أفعل ؟ وهل كـان من الممكن لي أن انسحب عن سندس وهي حياتي التي لا غنىً لي عنها ولكن وجودي في حياتها سوف يعرضها للبلاء وهذا مالا

أريده لها بأي وجه من الوجوه ، فعلي أن ادبر الأمر بشكل يجنبها من كل سوء ولا يدع ثغرة ينفذ منها الى أغراضه وذلك لا يتم الا اذا عقدنا زواجنا في أقرب وقت ولهذا فقد صممت ان لا ادع سندس تعرف بأمر هذه الرسالة وان أتعجل العالم الديني في انجاز مهمته ليتم عقد زواجنا قبل ان يتخذ باسم أي اجراء ، ثم وبعد ذلك لن يستطيع أهلها القيام بأي مبادرة ما دمنا قد اجتمعنا بشكل رسمي معترف به ، وفعلا فقد أخفيت أمر الرسالة وكان وقت المحاضرة التالية قد بدأ منذ دقائق فالتحقت بها وأنا أحاول أن أبعد عن فكري أمر الرسالة وصاحبها ، ثم التقيت مع سندس بعد الدرس وشعرت أنها غير مرتاحة نفسياً لما صادفته من متاعب عند الصباح من المسؤولة عن دار الطالبات لتغيبها في الليل فطيبت خاطرها وقلت لها : اننا سوف نذهب عصر اليوم الى العالم وفي غد يعقد زواجنا بشكل رسمي وتنتهي بذلك متاعبنا ، فهزت رأسها بشيء من الريب وقالت :

لا احسب أن الموضوع ينتهي اليوم يا فؤاد قلت :

أرجو أن ينتهي وسوف استعجله قدر جهدي فقالت لي شبه مؤنبة :

كلا ، ارجوك ان لا تفعل وان لا تنسى ان حاجتك مهما كانت مستعجلة لا تخوله الحق بالتهاون في مسؤوليته يا فؤاد .

نعم انك على حق ، وعلى كل حال سوف نرى ،
قالت

نعم سوف نرى ، قلت :

انني سوف امر عليك قبل الساعة الخامسة لنكون هناك في تمام الساعة الخامسة فكوني على استعداد .



وذهبت اليها عصرا فوجدتها تقف امام الباب وقد ارتسم على وجهها شيء من الشحوب ، وعندما اخذت يدها وجدتها باردة كالثلج فرابني منها ذلك وقلت : ماذا بك يا حبيبتي ؟ فابتسمت وقالت :

لا شيء قلت :

ارجوك ان تخبريني بما لديك ، فانت لست على ما يرام ، فعادت لتقول بشيء من الأصرار : لا شيء ، نعم لا شيء ، فنظرت الى عينيها الصافيتين المشعتين بالنقاء والسناء ، فوجدت مسحة من الم لونت لالائها الاخاذ فألمني ذلك وقلت :

انك تغالطين يا سندس فلماذا ؟ الست انا وانت وحدة لا تتجزأ فلماذا تنفردي دوني بتحمل الم او سقم ، قالت :

نعم انك انت روحي المنفصلة عني ولكنني لا اشكو شيئاً ، قلت :

ولكن عينيك وشحوب وجهك يخالفان ما يقوله لسانك ، قالت :

ارجوك ان لا تعرضنا للتأخير هيا بنا لنذهب قبل ان يسبقنا الوقت ، فلم يسعني سوى ان اسير معها والافكار تتقاذفني يمنة ويسره وكان اخشى ما اخشاه ان تكون سندس قد استلمت رسالة تهديد على غرار رسالتي ، وكنت احاول خلال الطريق ان اتحدث اليها بكل ما من حقه ان يريحها ، وفعلا فقد اندمجت معي الى حد ما وتظاهرت بالمرح والانطلاق ، ولكنني عندما نظرت الى عينيها وجدت ان مسحة الألم ما زالت منطبعة على صفحة تلك العين الخضراء وطرقنا الباب ففتحت لنا على الفور وذهبنا الى الغرفة حيث كان يجلس العالم الديني وكنا في هذه المرة نستشعر في تحركاتنا بشيء من الحرية افتقدناها في المرة السابقة ، واستقبلنا العالم الديني بالترحاب المصحوب بشيء من التحفظ ، وبعد ان استقر بنا الجلوس طلبت منه أن يبدأ بالحديث وقلت بشيء من الخجل بأننا نود لو اسرعنا بالعودة لان تأخرنا البارحة قد سبب لنا بعض المتاعب ، فاظهر الاستاذ شيئاً من الاهتمام ثم قال :

اني اسف اذا كان حديثي امس سببا في تأخيركما فاجبته بلهجة صادقة قائلاً :

كلا ، كلا ، لقد كنا مرتاحين لحديثك ولهذا فقد غفلنا

عن الوقت وعلى كل حال فإن ما حدث ليس بمهم ، فابتسم وقال :

لولا التعب ما عرف الإنسان معنى الراحة يا ولدي ، ولولا الشدة لما ميزنا نعمة الرخاء اليس كذلك ؟ قلت :

نعم لعله كذلك ، قال انت تقول لعله وكأنك غير واثق مما تقول ولكن الم يصدف لك ان شربت كأساً من الماء بعد ساعات تعب وعطش طويلة ، ثم وفي مرة اخرى تشرب نفس الماء ومن نفس الكأس ولكن بعد دقائق قصار من شرب كأس روية فهل وجدت الفرق بين الكأسين لذة وطعما ، وثمنا وقيمة ، ثم الم تسير في الشمس مسافة طويلة وانت تبحث لك عن ظل تستظل فيه من وهجها المحرق ثم واخيرا تجد ذلك الظل المنشود فتلوذ به وتركن اليه ، فهل ان هذا الظل يعني لديك نفس ما يعنيه الظل المستمر الذي تعيشه في بيتك ، وكذلك عندما يمرض الإنسان فيقعده المرض عن الحركة ويحرمه من ملاذ الحياة ثم يقدر له ان يشفى ، فهو ومما لا ريب فيه سوف يكون سعيدا بصحته اكثر مما كان سعيدا بها قبل مرضه ، انه وبعد ان يشفى سوف يعرف ان الصحة كنز لا مثيل له فيبدأ بالحفاظ على ذلك الكنز وبالفرحة لتملكه ، وكنت استمع اليه واتصور كل دور من الأدوار التي كان يتحدث عنها فاجدها مطابقة لواقع احاسيسنا فقلت له مقتنعا :

تماماً كما تقول ، قال :

ولهذا نجد ان بعض المتاعب بل بعض المحن تكن من صالحنا نحن البشر وان من نعم الله علينا ان خلق في نفوسنا الاحساس بالألم والتعب والسقم والحمد لله ، وهنا لم يسعني الا ان اردد معه قائلاً باخلاص :

الحمد لله ، قال :

والآن فلنعد لكي نبدأ من حيث انتهينا بالأمس ، قلت :

نعم فكلنا اذان صاغية ، قال :

لقد سبق ان عرفنا حاجة الإنسان الى الدين ، وعرفنا اوصاف الدين الذي هو صالح للإنسان في كل مجال من مجالات الحياة وكيف انه ينبغي ان يكون منسجماً مع الفطرة ، وملائماً للعقل ، ومحتوياً على القيم التي تنشىء الإنسان الصالح وتمكنه من تقديم المثل الاعلى اي وسيلة الإيضاح ، ثم قلنا ايضاً ان الإسلام هو الدين الذي يتكفل بكل هذا وان اطروحته التي املاها الله تبارك وتعالى عن طريق النبوة تحتوي في مضمونها على كل متطلبات النفس الإنسانية مع انسجام كامل لمطاليبها ، فالإيمان بالغيب مثلاً ، وهو مما يدعو اليه الدين ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما انزل اليك

وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون﴾ هذا الإيمان بالغيب نجده منسجماً تمام الانسجام مع الفطرة الإنسانية ، فالإنسان وأي انسان على اختلاف ميوله وافكاره ومعتقداته يشعر دائماً وابداً بأن هناك قوة خارج حدود ما يسمع ويرى ، وهو وبدون أن يقصد يركن الى هذا الشعور ويطمئن اليه ويلوذ به عند الشدائد والمحن ، ومثله . ذلك المسافر الذي يركب طائره تحلق به على ارتفاع عال جدا ثم وفجأة يعلن الطيار عن عطب قد اصاب الطائرة وانه عجز عن اصلاحها ولهذا فهي مهددة بالسقوط بين لحظة ولحظة ، وعلى الركاب ان يستعدوا لشد احزمة النجاة ، محاولة الهبوط من باب الطوارىء ، عند ذلك يتوجه كل الى ما يتمكن عليه من محاولة اساليب النجاة ، اما الراكب الذي يعجز عن ذلك ولا يتمكن من القيام بأية محاولة فماذا عسى ان يصنع وهو يجد الموت منه قاب قوسين أو أدنى ؟ أتراه سوف يستسلم وييأس ! كلا ، انه سوف يبقى يأمل بالنجاة وينتظرها ولكن من أين ؟ وعن أي طريق وجميع الطرق مغلقة امامه ؟ أنه سوف يشعر بالحاجة الى الإيمان بالغيب وبضرورة وجود قوة عليا هي فوق قوى العلم والتكنلوجيا ، ولذا فهو سوف يبقى ينتظر حدوث معجزة عن طريق الغيب حتى اللحظة الأخيرة ، ومثل اخر عن حاجة الإنسان للإيمان بالغيب هو تلك الأم التي تحمل بيدها طفلها المريض بعد أن عجز الطب عن علاجه ولكنها لا تبرح تتابع انفاسه وتنتظر له طريقاً

للشفاء ، نعم طريقاً لا تتمكن أن تعرف مصدره لأن الطرق التي تعرفها قد سدت امامها ولكنها ما زالت تتلفت وتنتظر ان يوجد ما يفتح امامها طريقاً جديداً تحت تأثير قوة تفوق هذه القوى العاجزة ، هذا هو مصداق الحاجة الكاملة للإيمان بالغيب ، وانسجام الإيمان بالغيب مع الفطرة الإنسانية ، ثم ربان السفينة الذي يضل طريقه بين امواج البحر المتلاطم ويفتقد كل مؤشر للطريق ، هذا الربان التائه ما الذي سوف يستشعره في ذلك الموقف العصيب ؟ لا شيء سوى الحاجة الى هداية من جهة عليا هي فوق امكانياته الخاصة وخارج حدود المعالم والمؤشرات ، او ليس في هذا دليل على حاجة الإنسان للإيمان بالغيب وانسجام هذا الإيمان مع طبيعة فطرته الإنسانية ؟ كما جاء في معجم (لاروس) للقرن العشرين = ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى اشدها همجية واقربها الى الحياة الحيوانية وان الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية = ولهذا فنحن نجد ان هذه النزعة ، نزعة الرغبة الى الإيمان بالغيب موجودة حتى عند الأطفال ، فهذا الطفل الذي يبقى يتسائل عن الاسباب وعن اسباب هذه الأسباب ، انه في تساؤله هذا يبحث عن مصدر اعلى يستشعره بفطرته البدائية دون أن يتمكن من التعبير عن ذلك الشعور ، وما ذلك المصدر الأعلى الذي يسعى للتوصل اليه سوى الغيب ، وبهذا نجد ان فكرة الإيمان بالغيب التي

ضرورة من ضرورات الدين تنسجم تمام الانسجام مع فطرة الإنسان وهذا الايمان بالغيب الذي هو غريزة فطرية لدى الإنسان ليس الا صورة عن الإيمان بالله ، وضـرورة هذا يقتضي ضرورة ذاك مع اختلاف وضوح الصورة وشحوبها ، ثم ومن امثله انسجام نظريات هذا الدين مع الفطرة هو وحدة هذا الكون واتحاده وارتباطه ، وهنا نظرت الى ساعتي خشية أن يسبقنا الوقت وحينها وجدت ان لدينا قليلاً منه سألته قائلاً :

ما الذي تعنيه يا استاذ في فكرة الاتحاد والارتباط في الكون ، قال :

أن الحديث عن ذلك قد يطول يا ولدي ويبدو انك تتعجل العودة ولهذا فمن الممكن تأجيله الى جلسة قادمة ، فنظرت الى سندس اسألها رأيها في التأجيل ، فقالت :

نعم ان ذلك هو الأصلح لكي لا نقع بما وقعنا فيه امس سيما بعد ان . وسكتت ، فقلت لها :

بعد ان ماذا ؟ قالت :

لا شيء وليس هذا وقت الحديث ولكن حاول ان تأخذ منه موعدا على ان لا يكون قبل يوم الأربعاء القادم لانني سوف اكون خلال هذه الأيام مشغولة بالامتحان ، قلت لها :

ان اليوم هو الاحد وهذا يعني ان يكون الموعد بعد ثلاثة ايام ، قالت :

نعم وهو كذلك ، فاستدرت نحو الاستاذ وطلبت منه ذلك فقال :

يؤسفني ان لا اتمكن من اعطاء موعد لكما في يوم الأربعاء لأن لدي مواعيد مسبقة وساعات فراغي فيه محجوزة !، قلت :

اذن في يوم الخميس ، فابتسم بلطف وقال :

وكذلك الخميس والجمعة يا ولدي فإنه عطلة آخر الأسبوع بالنسبة لنا وعلينا ان نتفرغ فيه لقضاء حوائج المؤمنين ورد اسئلتهم وحل مشاكلهم ولهذا فإن موعدنا سوف يكون عصر يوم السبت الساعة الرابعة من بعد الظهر ، فتصورت كل هذه الأيام وهي تمر دون ان نحصل على النتيجة المطلوبة فشق علي ذلك ولهذا قلت له مستعطفاً :

ولكن الا يمكنك ان تتفرغ لنا ولو ساعة او ساعتين ؟ قال بودي لو كنت اتمكن من ذلك ولكن ما دامت أوقاتي مشغولة بين دروس وعمل خلال هذه الأيام فكيف يسعني أن أحدد لكما موعدا فيها ؟ قلت :

الا يمكن تأجيل بعض الدروس ؟ فابتسم من جديد وقال :

أراك قد اقتنعت قبل قليل أن وجود الامتحان سببا كافياً للتأجيل لاهميته بالنسبة لها ، فلماذا لا تقتنع ان الدروس التي لدي مهمة عندي بشكل يوجب التفرغ لها ؟

فافحمني جوابه واخجلني في الوقت نفسه فسكت برهة وأنا لا أعرف كيف أجيب ثم قلت متلعثما :

الحقيقة انني لم اكن اخمن أنك ما زلت مشغول في الدراسة ، قال :

ولكن كلمة الدروس هي أعم من الدراسة والتدريس ثم ان العلم بحر لا يمكن النفاذ الى اعماقه الا بعد جهد متواصل وطويل ، وقد يواكب ذلك الجهد عمر الإنسان كله ، لأنه كلما انفتح له باب من العلم تطلع الى أبواب وأبواب ، قلت :

آه وهل انتم أيضاً كذلك ؟ فضحك ضحكة قصيرة ثم قال :

وهل نحن فئة خاصة تختلف عن الآخرين يا ولدي ؟ ان أحدنا كأي باحث من الباحثين يبحث في علوم الدين وما يدور حول تلك العلوم وما يمت اليها بصلة او يؤثر عليها من قريب أو بعيد ، ثم يبقى دائباً في بحثه وتنقيبه يفتش عن الفكرة البناءة والرأي العملاق مهما طال به العمر ، قلت :

اذن فانكم لا تكتفون بدراسة الحلال والحرام فقط ؟ قال :

ان معرفة الحلال والحرام هي الجوهر الرئيسي في دراستنا ولكن هذه المعرفة بمفهومها الصحيح وبأبعادها الحقيقية تتطلب معرفة العديد من العلوم الاخرى قلت :

ارجو أن أعرف ماذا تعني من مفهوم الحلال والحرام الحقيقي وأبعاده الصحيحة ؟ قال :

ان معرفة الحلال والحرام تتطلب أولا معرفة العديد من العلوم التي تؤدي الى صحة تلك المعرفة مثل علم المنطق ، وعلم الاصول ، وعلم الكلام ، وعلم الحديث هذا بالاضافة الى التمكن من معرفة أسباب التحريم والتحليل ومصادرهما وغاياتها لأن المعرفة المجردة لا تكفي للعطاء الموجه ولهذا فإن على كل من يجعل نفسه في مصاف الهادين أن يعرف مسبقاً أسباب الهداية وحقيقة الهدى والهداة ومن ثم يعرف الله عز وجل الذي هو مصدر الهداية في الوجود ومعرفة كل هذا ليس بالشيء السهل اليسير فهو يتطلب الكثير من الجهد والعناء ويتطلب الطويل من البحث والاستقصاء ، قلت :

ولكنني لم أكن اتصور هذا يا استاذ فقد كنت أحسب ان العالم الديني هو اخف الناس مؤنة وأنعمهم عيشاً وأقلهم مسؤولية ، فابتسم الاستاذ ابتسامة جريحة وقال :

وهذا مما يؤسف له يا ولدي لأن هذا التصور كفيل بايجاد هوة بين العالم الديني والشاب المثقف ، بينما نجد أن كلا منهما محتاج للثاني في سبيل اكمال رسالته في الحياة ، ولعل المستقبل يكشف لك ما تجهله من هذا الباب ؟ قلت :

نعم أرجو ذلك من صميم قلبي ، قال الاستاذ :

ومن أجل أن لا نخسر الاستفادة من هذه الأيام اليكما هذا الكتاب لتقرآ فيه . ثم قدم لنا كتاب ـ الدين ـ لمحمد عبد الله دراز وكتاب ـ نشأة الدين ـ لعلي النشار .



مرت الأيام بطيئة وثقيلة ونحن بين اللهفة لأن نسمع عن الأستاذ من جديد ، وبين الخوف أن يسبقنا الوقت قبل تكامل خطتنا بالشكل المطلوب وحاولنا خلال تلك الأيام ان نقرأ الكتاب الذي أعطاه الاستاذ لنا وفي اليوم الذي يسبق موعدنا مع الاستاذ استلمت رسالة تهديد جديدة من باسم وكانت عبارتها أقسى من الرسالة الأولى ، ولا انكر بأنها ارقتني في ليلتي تلك وخشيت أن تكون لها عواقب وخيمة حقيقية ، وفي الصباح وعندما لقيت سندس في الجامعة جبنت عن اخبارها بأمر الرسالة خشية ان يقلقها ذلك كما أقلقتني سيما وقد وجدتها متلهفة الى موعدنا عصر ذلك اليوم ، وقد عادت الى وضعها الطبيعي من الناحية النفسية فخمنت أن كآبتها السابقة كانت وليدة حالة طارئة وليس لها أي ارتباط مع تهديد باسم ، إذن فلماذا أثير أمامها ما يكدرها ولماذا ألون أفكارها بهذه الظلال القاتمة ، وحان العصر فذهبنا الى بيت الأستاذ ، ولكن فوجئنا اذ وجدناه منحرف الصحة طريح

الفراش ، فجلسنا دقائق ثم رأينا أن علينا أن ننصرف لكي لا نثقل عليه ولكنه أبى علينا ذلك وقال : انه على استعداد للحديث ، فقلت له باننا لا نرضى أن تكون فائدتنا على حساب صحته ، فابتسم قائلاً :

ان صحتي هي من أجل فائدتكم يا ولدي ، قال هذا ثم اعتدل في جلسته وبدأ بالحديث قائلاً :

لقد انتهى بنا الحديث في جلستنا السابقة الى ذكر ترابط الموجودات ووحدتها وشعور الإنسان تجاه احساسه بهذا الترابط وبهذه الوحدة ، فاعلما يا ولدي أن الإنسان عندما يحس انه جز ء لا يتجزأ من هذا الوجود الرحب ، نعم جزء قد شد الى الأجزاء الباقية كما شدت الاجزاء الباقية اليه ، هذا الشعور ، شعوره بالانسجام الكامل مع ما حوله يجعله يستشعر السعادة نتيجة احساسه بأنه مسنود من قوة هائلة هيأت له كل هذه الاسباب وشدته الى جميع هذه الموجودات كما شدت جميع هذه الموجودات اليه ، ولهذا فهو لن يشعر بالغربة ولن يحس الضيعة والوحدة ما دام قد عرف حقيقة وأسباب الاتحاد في المخلوقات التي حوله ، وعلى العكس منه ذلك الذي لا يعلم لماذا جاء ؟ ولماذا هو موجود ؟ وما هي أبعاد علاقته مع هذا الوجود الواسع الذي لا يكاد يساوي هو ذرة من ذراته ، انه عندما يعلم مثلا ان هذه الشمس الهائلة

بكل ما فيها من عظمة وشموخ انما هي مسخرة للحفاظ على مصلحته ، وهو عندما يعرف أن هذا الثبات الدائم في مستوى حرارتها البالغ (اثني عشر الف درجة فهر نهايت) انما كان من أجل الحفاظ على الحياة التي يحياها هو وسط هذا الكوكب الحي ، وهو عندما يجد ان هذا البعد الذي يفصل أرضه عن الشمس والذي يقدر بما يقرب من (٠٠٠ ، ٠٠٠ ، ٩٣) ميلا ، لم ولن يدخل عليه أي زيادة أو نقصان حرصا على سلامة حياة كرته الأرضية التي يعيش عليها لأنه لو نقص هذا البعد بمقدار النصف لاحترق جميع ما على هذه الأرض من شجر أو مدر ، ولو تصاعد هذا الفاصل الذي بين الشمس والأرض فصار ضعف ما عليه الان لكانت البرودة التي تنتج عن ذلك كفيلة بالقضاء على الحياةفي الأرض، أنه حينما يعرف هذا يشعر بالسعادة لتحسس أهمية وجوده في الحياة ، وكذلك حينما يجد أن هذه الأرض التي تدور حول محورها مرة في كل أربع وعشرين ساعة ، ان دورتها العظيمة هذه انما صممت خصيصا بشكل يمكنه من الحياة ، لأنه لو فرض أن هذه السرعة كانت قد انخفضت الى مائتي ميل في الساعة لكان معنى ذلك هو أن يطول الليل ويطول النهار عشر مرات بالنسبة لما هو عليه الأن ، فما الذي كان ينتج عن ذلك ؟

الناتج هو أن تحرق حرارة الشمس كل شيء فوق سطح الأرض ، حتى ولو تبقى شيء لم يحترق فإن برودة الليل الطويلة كفيلة بالقضاء عليه اذن فإن توقيت حركة الأرض وتحديد زمان دورتها ما نظم بهذا الشكل الا من أجل الإنسان ، فما هو شعور الإنسان تجاه معرفته لجميع مقدمات الحياة الجبارة التي وضعت من أجله ؟

ثم ، البحار ، هذه البحار التي تملأ ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، لو حدث وكانت أعمق مما هي عليه الأن ولو بضعة أقدام فماذا كان سيحدث ؟

لانجذب ثاني أوكسيد الكاربون والاوكسجين نتيجة امتصاص الماء لهما ، وماذا يعني انجذاب ثاني أوكسيد الكاربون والاوكسجين ؟

انه يعني الاختناق للانسان والحيوان ، اذن فان هذه البحار الجبارة حدد عمقها من أجله هو ومن أجل سلامة وجوده في الحياة ، ثم هذه الأرض التي يعيش عليها الانسان ولا يكاد يحس بها سوى أنها أرض حجرية أو ترابية صلبة ولكنه عندما يدرس أبعادها ويتابع خطوطها الجغرافية يأخذه العجب لسعتها وقوة تحملها لما يرسو عليها من جبال شامخات وهضاب راكنات ولصمودها أمام جميع ما أمتلأت به رقعتها من ماء البحار والانهار ، ثم ماذا ؟ لا شيء سوى ان ينصرف عن هذا التفكير الى سواه وقد امتلأت نفسه بالهيبة والاعظام ، فكيف به اذا علم

ان هذه الارض التي بهرته بعظمتها وصمود قشرتها قد صممت قشرتها خصيصا بشكل يلائم مصلحته هو ، فهو محتاج الى نسبة معينة من الاوكسجين الموجود في الهواء فلو كانت قشرة الأرض أكثر سمكا بمقدار عشرة أقدام مثلا لانعدم الاوكسجين من الهواء إذ ان القشرة الارضية كانت ستمصه كله ، ومثلا آخر ، عندما يرفع الانسان رأسه الى أعلى ماذا سوف يرى ؟

لا شيء سوى الغلاف الهوائي الذي يحيط بالارض فتسحره الزرقة الهادئة التي يعكسها هذا الغلاف في النهار وتبهره الروعة المنيرة التي تبرز من خلال الكواكب في الليل فكيف به لو علم أن كثافة هذا الغلاف الهوائي حددت طبقا لمصلحته هو كأنسان يراد به أن يعيش فلو كان الغلاف الهوائي للأرض ألطف مما هو عليه الآن لاحرقت النيازك كل يوم غلاف الارض الخارجي ، ولسقطت على مختلف بقاع الارض واحرقتها لان هذه النيازك تواصل رحلتها بسرعة اربعين ميلا في الثانية ولهذا ومن نتائج هذه السرعة الهائلة سوف يحترق كل شيء يمكن احتراقه على الارض حتى تصبح الارض هشيما في وقت ليس ببعيد . . . والهواء ونسب أجزاء الهواء المحددة التي لا تختلف بأي حال من الأحوال لو علم الانسان ان هذه الاجزاء انما وزعت بهذه النسب الثابتة من أجله هو ومن أجل البقاء عليه وكذلك لو نظر الى هذا القمر المنير في عليائه وعرف أن بعده وقربه انما جاء لمصلحة الانسان ، لمصلحته هو فان بعد القمر عن الارض يبلغ حوالي (٢٤٠) ألف ميل وهذا هو الحد المناسب للابقاء على الحياة الطبيعية فوق الكرة الارضية وذلك لما يعرف من تأثيره على حركة المد في الماء ولكن لو فرضنا أن هذا

البعد كان بمقدار (٥٠) ألف ميل مثلا لتصاعدت نسبة المد، تصاعدا هائلا بشكل يغمر فيه الماء الدنيا كلها، والهواء، وما تحمله النسب التي فيه من أوكسجين، ونيتروجين، وثاني أوكسيد الكاربون، ما تحمله هذه النسب الدقيقة من مصلحة لاستمرار حياة الانسان بشكل لو زادت فيه أو قلت لتعذرت الحياة، وشيء اخر يقدمه الهواء للانسان ألا وهو هذا النور المنتشر في الكون نور الشمس المشرق الذي يغمرنا منذ الصباح حتى المساء وهذه الزرقة الساحرة التي نلاحظها في أعالي الجو فلولا الهواء أو لولا جزئيات الهواء لرأينا الشمس كالقرص الابيض في صحيفة سوداء لا أكثر ولا أقل، ولكن اشعاع الشمس حينما يصطدم مع جزئيات الهواء تبعثره هذه الجزيئات وتشتته في الكون فينتشر على هذا الشكل الذي نراه. ثم كان من حكمة الخالق ان يكون للشمس موجات مختلفة الالوان وان يكون اللون الازرق منها أقصر موجة من الالوان الاخرى، اذن فهو أكثر تشتتا بالهواء من الالوان الأخرى، ومن أجل هذا ظهرت السماء لنا نهارا وفي الصحو زرقاء تبعث في النفس الراحة والاطمئنان،.. لو علم الانسان هذا وعلم غير هذا مما أعد خصيصا لاستقباله وصيانة وجوده لعرف انه جزء لا يتجزأ من هذا الكون الرحيب... عند هذا سكت الاستاذ وكأنه يريد ان يرتاح قليلا بعد ان ظهر عليه التعب، وعز علينا سكوته لاننا كنا نتابع ما يقول من حقائق طالما عرفناها من قبل معرفة باهتة وقد أبرزها لنا داخل اطار جديد جذاب ولم تمض دقائق حتى عاد يتحدث من جديد قائلا :

والآن، ألا ترون مدى انسجام هذا الواقع مع فطرة

الإنسان الاجتماعية التي تأبى له الانعزال ثم ، ان ايجاد هذه الغرائز في نفس الإنسان ، (غريزة الإيمان بالغيب وغريزة النظرة الوحدوية) هذه الغرائز لم توجد بدون هدف فهما بوجودهما يشكلان السبب الرئيس الذي يقود الإنسان الى تتبع الحقائق واستقصاء الواقع ، فهذه الغريزة التي تدعو الى الإيمان بالغيب تفرض على الإنسان التطلع الى أسرار الغيب ومعرفة ما وراء الغيب ، وهذه الغريزة التي تفرض على الإنسان الرغبة في الشعور الوحدوي وتدعوه الى نبذ مشاعر العزلة هذه الغريزة تجره لأن يعرف ارتباطه مع الكون بكل أبعاد ذلك الارتباط ، وبما أن جميع مافي الكون قد وضع لأجله اليس من حقه أن يعرف الواضع والسبب في ذلك لكي يذكر فيشكر؟ ثم أنها تدفعه بالضمن الى تتبع أبعاد هذا الاتحاد والتضامن ، ودراسة النظم التي قامت عليه تلك الأبعاد،ثم انه ايضاعندما يتعرف على دقة تلك النظم وانسجامها، وترابطها يقف ليتساءل :

إذن فما دام ان لكل شيء نظام ، وما دام هذا الوجود الرحب بما فيه من ذره صغيرة الى نجمة كبيرة يخضع لنظام دقيق لا يتحول ولا يتبدل وما دام الإنسان هو افضل المخلوقات واجدرها بالوصول الى رحلة الكمال ، فهل من المعقول ان يترك الإنسان هو وحده دون جميع هذه المخلوقات بدون نظام ؟ هل يمكن أن تنظم حياة النملة والنحلة ولا

تنظم حياة الإنسان؟ وعندما يصل في افكاره الى هنا يعود ليتساءل قائلاً :

ولكن ما هو النظام الكامل الصالح لهذا الإنسان ؟

والأن هل لي ان اسألكما هل طالعتما الكتاب الذي اعطيتكما اياه؟ فاجبناه بصوت واحد قائلين نعم لقد استقصيناه كله ، قال :

إذن هاكما هذا الكتاب فهو يعطيكما شرحا واسعا عما ذكرته لكما الآن ، ثم اعطانا كتابا جديدا وسكت لحظات قال بعدها :

لقد اعطيتكما يا ولدي صوره مختصرة عن هذا الجانب ، اما ما سبق ان ذكرته لكما من ضرورة ان يكون الدين الذي يؤخذ به ملائماً للفكر وغير منافر للعقل مهما تقدم به العلم والرقي فإن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا توجد فيه ثغرة واحدة يمكن أن ينفذ منها ما يمكن ادعاء منافرته للعقل ، ويمكننا ان نستدل على ذلك بعدة نقاط ، وكان صوت الاستاذ قد اخذ يتهدج وقد ضايقه نوبة من السعال لاحظت انه يحاول التغلب عليها للاسترسال بالحديث ، فشعرت بعطف بالغ نحوه ونسيت كل ما يدعوني للتعجل في انهاء الموضوع ، فبادرته قائلاً :

ارجوك ان ترتاح يا استاذ ، ان التعب يبدو واضحاً

عليك ، نحن على استعداد لأن ننتظر بضعة أيام حتى تشفى

فابتسم بلطف وقال :

ولكنك كنت تتعجل الأمر قبل ايام ؟ قلت :

نعم أنني أرغب في التعجيل ولكن ليس على حساب صحتك يا استاذ ، قال :

ولكن دور الانفلونزا كما تعلم غير محدد الابعاد فكيف يمكنني ان احدد لكما موعدا قادما يا ترى ؟ قلت :

انني سوف امر عليك للاطمئنان على صحتك بعد يومين او ثلاثة ، قال :

إذن سوف نحدد الموعد حسب وضعي الصحي بعد ثلاثة أيام ان شاء الله ويمكنكما خلال هذه المدة مطالعة هذا الكتاب ثم قدم لنا كتابا باسم ـ قضية الالوهية ـ لعبد الكريم الخطيب .



عدت الى البيت مبكرا لأن سندس كانت على موعد مع احدى صديقاتها للذهاب الى الخياطة وقد حاولت ان استغل ساعات فراغي في مطالعة الكتاب ، والحقيقة انني انسجمت مع الكتاب واندمجت مع ما فيه بجميع مشاعري واخذت اسجل في مسجلتي الصغيرة بعض الحقائق التي استفدتها منه .. لكن وحوالي الساعة العاشرة مساء رن جرس الباب فاستغربت ذلك ولم يكن لدي موعد مسبق مع أي صديق اما الصديقات فقد كنت قد قطعت علاقتي معهن بشكل نهائي منذ عرفت سندس ، وخمنت انه صديق متطفل ، فعز علي ان يقطع سلسلة افكاري فذهبت لكي افتح الباب وانا احمل معي مسجلتي الصغيرة وكتابي ليعرف القادم ان لدي ما يشغلني عنه ، وما ان فتحت الباب حتى طالعني وجه فتاة في مقتبل الشباب تراجعت خطوات عندما رأتني وكأنها فوجئت من رؤيتي ثم قالت بصوت متهدج :

آه أراني قد اخطأت الباب في هذه المرة ايضاً ، قلت لها :

اي باب كنت تطلبين ؟ قالت وهي ترتجف :

انني غريبة عن هذا البلد وقد وصلت لتوي اليه ولدي بعض الأقارب فيه وقد اعطوني العنوان مغايرا على ما يبدو فإن بابك هو اخر باب طرقته في هذا الشارع دون ان احصل على من اريد ، قالت هذا وقد انطبعت على وجهها علامات الذعر الشديد فالمني حالها وودت مساعدتها بشكل من الاشكال فقلت لها :

اعطني العنوان لكي افتش أنا عنهم ، قالت :

انهم اعطوني اسم نفس هذا الشارع مع رقم الدار التي امام دارك ولم اجد في تلك الدار سوى عائلة غريبة ، فاستغربت الأمر وقلت :

الا تعرفين احدا سواهم هنا لكي اخذك اليهم ؟ فانخرطت في البكاء وهي تقول :

كلا فقد اتيت بمهمة خاصة تتعلق بهم ، ولا انكر ان الموقف كان محيرا بالنسبة لي ولهذا فقد بقيت ساكنا لا اعرف ماذا علي ان اقول ، فقالت وهي تبكي :

يبدو ان علي ان ابقى اتجول في الشوارع حتى الصباح ؟ وهنا نظرت اليها في تمعن فوجدتها جميلة وصغيرة ، فعز علي

ان ادعها لرحمة الليل ووحوشه ، ومن ناحية ثانية فقد صعب علي أن ادخلها البيت وليس فيه احد سواي ، فترددت برهة ثم خطر لي خاطر فقلت لها :

انني وحيد في هذا البيت ولهذا فلا يسعني الا ان ادعوك للدخول والمبيت فيه على ان اخرج انا عنه حتى الصباح ، فظهرت عليها بعض علامات الهدوء ثم قالت :

ولكن اين سوف تذهب انت ؟ اجبتها :

ان ذلك لا يهم ، المهم ان تأمني انت في ليلتك هذه حتى الصباح قالت :

ولكن كيف ارضى لك بهذا ؟ قلت : !

لا عليك ، انني رجل ويسعني ان انام حيثما اتفق ، قالت :

ان هذا كثير ، وكانت طيلة هذه الفترة تقف على عتبة الباب الخارجي وانا اقف داخل البيت ، ولما وجدتها تتمنع عن امر لا مناص منه خرجت الى ما وراء الباب محاولا اقناعها بالدخول وانا اقول :

هذا الباب مفتوح فادخلي ولن اعود الى البيت حتى الصباح ، وهنا لمح امامي برق خاطف من بعيد لم اتمكن ان اعرف مصدره فتلفت باحثاً عنه ثم سألتها :

هل لاحظت نـورا قد بـرق من ورائنا ؟ فتلفتت هي بدورها وقالت :

آه نعم لعله ضوء سيارة من بعيـد ، فلم احاول ان ابحث عن الموضوع اكثر ، فقالت بشيء من الارتباك :

ولكنني اخاف ان اقضي الليل بمفردي هنا قلت :

إذن ؟ قالت :

إذن انام انا في الصالون وتنام انت في غرفتك قلت :

كلا بل تنامين انت في الغرفة وانام انا في الصالون ، دخلنا البيت وقدتها الى غرفة منامي وقلت لها وانا اغلق الباب ورائها :

سوف انام انا في الصالة ولن افتح عليك الباب حتى الصباح فكوني مطمئنة ، قالت :

اشكرك يا اخي ويؤسفني ان لا اعرف اسمك ، فاجبتها ببرود قائلاً :

لا حـاجة لان تعـرفي اسمي او اعرف اسمـك ، ثم توجهت الى الصالون وهناك انتبهت الى ان المسجلة كانت لا تزال تعمل وتسجل فحمدت الله ان الفتـاة لم تلتفت الى وجودها او الى كونها تشتغل وتسجل ، وكان الشريط يكاد ان ينتهي فاغلقتها واستسلمت للنوم ولكن فكره صغيره اقلقتني

وهي ان الهاتف كان في غرفة المنام فماذا لو طلبني احد ؟ ثم عدت فابعدت هذه الفكرة عن ذهني فليس من المحتمل ان يطلبني احد في منتصف هذا الليل وهي سوف تغادر الغرفة عند الصباح واستيقظت في الساعة السابعة صباحا فخرجت من الصالون فوجدتها واقفة امام باب الغرفة وكأنها تنتظرني ثم قالت :

لست ادري كيف اشكرك وها انا ذاهبة ولكنني ارجوك ان لا تحدث احد بامري لأن ذلك سوف يجلب لي المتاعب ، فضحكت في شيء من السخرية ثم قلت :

وكيف لي ان اتحدث عنك وانا لا اعرف عنك حتى اسمك ؟ قالت .

آه نعم انت لا تعرف اسمي ان اسمي هو فدوى ناجي ، قلت بشيء من اللامبالاة :

تشرفنا ، وبعدها ودعتني وخرجت ، فدخلت غرفتي فوجدت اعقابا سكاير اجنبية ولاحظت صورة سندس تحركت من مكانها فابتسمت وقلت لنفسي :

ان مجرد رؤيتها لهذه الصورة كفيلة ببعث الاطمئنان الى نفسها وعلمها بانني لا اعبأ بمثلها مع وجود مثل صاحبة هذه الصورة ، ثم دخلت الحمام لأغسل فلاحظت انها قد دخلت الحمام ايضا لأن باب الحمام كانت مغلقة باحكام في الوقت

الذي لم يكن من عادتي ان احكم اغلاق الباب لصعوبة فتحه بعد ذلك ، واستغربت منها هذا التجوال ولكنني اوعزته الى الفضول ثم لبست ملابسي وتوجهت نحو الجامعة ، وهناك رأيت سندس تقف بمفردها في ناحية من الساحة الأمامية فتوجهت نحوها كعادتي في كل صباح ولكنني فوجئت بانها ردت علي بشيء من الفتور ، وفوجئت ايضاً بانها تجاهلت يدي التي مددتها اليها والتي طالما احتضنت يدها دقائق طويلة في كل صباح ، وحاولت ان اغالب نفسي فسألتها قائلاً :

ماذا بك يا سندس هل انت مريضة ؟ فسكتت لحظة ثم قالت :

مريضة ، كلا ، انني لست مريضة ، فقلت :

إذن ماذا بك ؟ فبقيت ساكتة ولم تجب ، فعدت اقول :

هل سهرت البارحة مع المذاكرة فاتعبك السهر ؟ وهنا نظرت الي نظرة طويلة وعميقة وحزينة ثم قالت بصوت مبحوح:

وانت هل سهرت البارحة للمذاكرة ؟ والحقيقة بانني في تلك اللحظة كنت قد نسيت كل شيء عن ليلة البارحة تلك ولهذا فقد ترددت قليلاً ثم قلت :

كلا لقد نمت حتى الصباح ، فابتسمت هي في مرارة وقالت بشيء من التهكم :

لا اشك ان نومتك كانت مريحة جدا ، وهنا تذكرت نومتي في الصالون وكيف انها لم تكن مريحة ابدا واردت ان احدثها عن ذلك ولكن وعدي الذي قطعته لفدوى منعني من الحديث ، ولهذا فقد تلكأ لساني وانا اقول :

كلا انها لم تكن مريحة جدا ، فعادت تنظر الي تلك النظرة العميقة الحزينة ثم قالت :

اتمنى لك نوما مريحا اكثر في المستقبل ! ، قالت هذا واستدارت متوجهة نحو مدخل الجامعة فمشيت بجانبها وانا افكر فيما تعنيه كلماتها ولكنها تجاهلت وجودي حتى دخلنا الصف ، وبعد انتهاء الدوام مباشرة طلبت منها موعدا للعصر فقالت انها مشغولة وتركتني نهبا للحيرة وانصرفت بخطوات متعبة . . .

وفي اليوم الثاني توجهت للجامعة فافتقدت وجود سندس هناك وعرفت انها لم تداوم في ذلك اليوم فقلقت من اجلها واتصلت بها تليفونيا حال وصولي الى البيت فردت علي المشرفة فطلبت منها ان اتحدث مع سندس ، فذهبت ثم عادت لتقول انها مشغولة ! قلت :

هل هي مريضة ؟ قالت :

كلا انها بخير ، ثم انهت المكالمة ، فاستغربت ذلك وصممت ان امر عليها عصرا وبقيت اعد الساعات بانتظار

العصر وانا بين الحيرة والقلق حتى حان العصر ، فذهبت اليها وطلبت من المساعدة ان تستدعيها فذهبت فترة ثم عادت لتقول :

انها مشغولة ! فهالني هذا الجواب وعدت اسألها هل هي مريضة ؟ قالت :

كلا انها بخير ولم يسعني ان استسلم بهذه السرعة فقلت لها متوسلا :

ارجوك ان تعودي اليها لتقولي لها بانني اريدها لأمر هام ومستعجل فذهبت وبقيت انتظر على احرّ من الجمر ولكنها عادت لتقول :

لقد قالت انها مشغولة ولا تستطيع مقابلتك الان ، قلت :

الا يمكن ان اذهب انا اليها ، قالت بشيء من الحدة :

انت تذهب اليها ؟ اذهب رحم الله اباك ولا تسبب لنا فضيحة يا شاب ، وهنا لم يسعني الا ان اعود الى البيت وانا في اشد حال وأقسى وضع .

كانت ساعات الليل بطيئة ومريرة لم تذق عيناي فيها النوم ، وانى لي ان انام ؟ وحبيبتي غاضبة علي دون أن أعرف السبب ، وفي الصباح تعجلت الذهاب الى الجامعة على امل ان القاها هناك وفعلا فقد وجدتها تقف بين مجموعة من الطالبات وقد على وجهها المشرق شيئاً من الشحوب فحاولت ان اتقدم نحوها محييا ولكنني جبنت عن ذلك ما دامت وسط هذه المجموعة وبقيت اتابعها حتى وجدتها تسير بمفردها فاسرعت وراءها وناديتها بصوت متهدج :

سندس ، سندس ، وكأنها ارادت ان تلتفت ثم عدلت عن الالتفات واسرعت في خطواتها فلحقت بها ووصلت اليها وانا اقول :

سندس ماذا بك يا حبيبتي ؟ فوقفت ونظرت الي نفس نظرتها العميقة الحزينة ثم هزت رأسها وقالت :
لا شيء ، قلت هل انت غاضبة علي ؟ فترددت لحظة ثم قالت بمرارة :

نعم ، فهالني الأمر ، فانني قد اتصور اي شيء ولكن ان تكون سندس غاضبة علي فهو فوق ما أتصوره وأتحمله ولهذا فقد ارتج على لحظات وثم اعرف بماذا أجيب ، وكانت سندس قد تركتني خلال هذه اللحظات بعد أن ألقت علي نظرة عتاب عميقة اخرى ، فتهاويت على أقرب مقعد ، ولا اريد أن أقول بأنني رحت في بكاء حار لأن حالي كان يجل عن البكاء ، ثم انتبهت على نفسي بعد فترة فوجدت ان علي ان أعود الى البيت لأن حالي لم يكن يساعد على دخول المحاضرات ، وفعلا فقد توجهت نحو البيت وهناك رحت افكر وافكر دون ان اصل الى السبب الذي اغضب سندس علي ثم خطر لي ان مبيت فدوى عندي هو الذي أغضبها ولكنني عدت فاستبعدت ذلك لأنها لا تعلم بالموضوع وكيف لها ان تعلم ، ثم خطر لي أن أحدثها بالأمر ولكنني تذكرت العهد الذي قطعته لفدوى بالكتمان ، ثم ان سندس لم تكن ممن يشك في حبي ، ولا ريب انها كانت ستفاتحني بالأمر مستفسرة قبل ان تعلن ثورتها علي بهذا الشكل ، وقضيت ليلتي تلك لم يغمض لي خلالها جفن ولم يهدأ لي فكر ، وفي الصباح خرجت من البيت مبكرا وذهبت لأنتظرها عند مدخل الكلية ولكن انتظاري لم يسفر عن شيء لأنها لم تأتِ في ذلك الصباح ، ولهذا فقد تركت الجامعة بدوري وخرجت وأنا لا أعلم ماذا أصنع ؟ والى أين أتوجه ؟ فرحت التجول في الشوارع على غير هدى واذا بي أتذكر صاحبنا العالم الديني

وانه منحرف الصحة وتذكرت وعدي له بالمرور عليه فوجدت أن علي أن أذهب اليه ، ثم أن قلق روحي في حاجة الى هدوء نفسه المريح وفعلا فقد قصدت بيته مسرعا ، وأمام الباب حاولت ان أسبغ على وضعي بعض آثار الهدوء ، ثم طرقت الباب ففتحه لي الصبي الصغير الذي فتحه في أول مرة فسألته عن صحة الاستاذ ، فقال :

ان صحته أحسن وسألني اذا كنت احب أن أدخل اليه ؟ والحقيقة انني كنت أحب ذلك فإن الاحساس الذي يشدني اليه كان قوياً جدا سيما وأنا في ساعاتي الحرجة تلك ، كان مثلي مثل الغريق الذي تعوزه اسباب النجاة ثم يلمح منارا هادياً من بعيد فيتوجه نحوه متأرجحا بين النجاة والغرق ، ولهذا فقد طلبت من الصبي أن يقودني اليه ، فسار الى جواري خطوات ثم رفع رأسه نحوي ونظر الي ببراءة قائلاً :

لماذا جئتما متفرقين في هذه المرة ؟ ولم أفهم بالوهلة الأولى ماذا يعنيه ولهذا فقد سألته :

ماذا تعني يا عزيزي ؟ قال بشيء من الخجل :

أقصد لماذا لم تأتيا معا كالعادة ؟ ففهمت عنه في هذه المرة واجبته باختصار انها مريضة يا عزيزي ، قال :

مريضة ! ولكنها كانت هنا قبل دقائق ، فتوقفت عن السير والتفت نحوه في لهفة قائلاً :

كانت هنا قبل دقائق ؟ وكأن الصبي فطن الى أنه قال مالا ينبغي أن يقال فعلى الأحمرار وجهه ولم يرد علي ، فحاولت في هذه المرة ان ابدو طبيعيا ثم عدت أسأل :

إذن لقد سبقتني في الزيارة وهل انتظرت كثيراً ؟ قال بأسلوب مما يريد أن يختصر الحديث :

انها لم تدخل ، استفسرت عن صحة ابي من عند الباب وذهبت ، وحدثت نفسي قائلاً اذن فهي قد سبقتني الى هذه المبادرة ، وهي ما زالت مشدودة لهذا الاستاذ كما انني ما زلت مشدودا اليه ، ودخلت على الاستاذ فوجدته احسن حالا وان كانت اثار الحمى لم تفارقه بعد ، وجلس يحدثني بمختلف الاحاديث فارتحت اليه وودت لو تحدثت اليه بمشكلتي ولكن الخجل منعني عن ذلك وكنت انتظر منه أن يذكر هو شيئاً عن سندس ولكنه لم يتعرض لذكرها ولم أطيل البقاء فقد خشيت أن أثقل عليه وهو مريض فاستأذنت منه مع طلب موعد للمجيء ، فظهر عليه بعض التردد الممزوج بالاستغراب ثم قال :

الساعة الرابعة من عصر يوم غد ان شاء الله ، فشكرته على ذلك وخرجت متوجها الى البيت ، ومن هناك اتصلت بدار الطالبات مرتين فلم ترد علي سندس وكنت أريد ان اخبرها بالموعد عساها تذهب فنلتقي هناك ، ولما يأست من

ردها علي اعترافي شعور مرير باليأس وانطلقت مني كلمات غير معينة بالنسبة لي وهي تقول :

ماذا اصنع يا الهي ؟ كيف يمكنني أن أعرف السبب ؟ وفجأة قفزت الى ذهني كلمات الأستاذ وحديثه عن ضرورة الإيمان بالغيب وحاجة الإنسان لذلك الإيمان ، فها أنا الذي لم أتذكر من قبل أن لي ربا يعبدها أناذا الوذبه في ساعة العسرة بشكل فطري وعفوي ، وكان في استعادة هذه الكلمات ما دفعني لأن اجبر نفسي على العودة لمطالعة الكتاب الذي اعارني اياه الاستاذ على أمل أن أنصرف اليه عن أفكاري وفعلا فقد حاولت أن أقرأ ، ولكن وجه سندس الغاضب الحزين كان يتراءى لي من بين الكلمات فيشدني نحوه ، ونظرتها العميقة العاتبة كانت ترتسم أمام عيني فتحول بيني وبين رؤ ية كل شيء عداها ، كنت احس بها وقد ملكت زمام وجودي بأجمعه واستحوذت على مشاعري برمتها ، ولهذا فقد عز علي ان أقرأ مالا أفهم فاغلقت الكتاب وقد خطر لي أن أكتب بضع كلمات أرسلها لها عند الصباح ، وفعلا فقد أخذت القلم وكتبت واذا بالبضع كلمات تتكاثر حتى تملأ صفحات وصفحات ، وختمت رسالتي بهذين البيتين :

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والانام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب

وكأن هذه الكلمات قد حققت لي بعض الراحة لأنني توهمت أنها سوف تكون شفيعتي لديها ، وانها كفيلة بمسح الشوائب التي خالطت فكرها عني ، ولهذا فقد تمكنت من نوم متقطع وبكرت في الذهاب الى الجامعة على أمل أن اوصل رسالتي اليها بأسرع وقت ، وفعلا فقد وجدتها تسير وسط مجموعة من الطالبات فأعطيت الرسالة لاحد المساعدين وطلبت منه أن يوصلها لها ولم تمض دقائق حتى عاد المساعد وهو يحمل بيده الرسالة قائلاً :

لقد رفضت أن تستلمها ، فعرفت أنها خمنت ان تكون الرسالة مني ، والعجيب انني لم أحس تجاهها بأي غيظ فقد كنت أعتقد بأنها معذورة وان لديها ما يدفعها الى هذا الموقف ، وهذا ما كان يحيرني بالأمر ، ولم أعد ظهر ذلك اليوم الى البيت ، فقد كان لدي ما يدعوني الى البقاء في الكلية ولهذا فقد توجهت من هناك رأسا الى بيت الاستاذ ، وعندما وصلت الى هناك وجدت سندس تقف أمام الباب تنتظر الأذن بالدخول ، ففهمت من ذلك بأنها قد أخذت موعدا من الاستاذ كما أخذت انا موعدا منه ، فتقدمت نحوها محييا فردت بشيء من البرود واللامبالاة ولاحظت أن الهزال والاصفرار قد بدا واضحاً عليها وان هالة زرقاء تحيط بعينيها

وتحكي عن ساعات طويلة من السهر فمددت نحوها يدي وأنا أقول :

هل أنت سندس حقا أم انني في حلم ؟ فاطرقت ولم تجب ، فاردفت قائلاً :

لطيف ان يشدنا حبل واحد نحو هذا البيت ، وفي هذا دليل جديد على اتحاد وجودينا ، فرفعت رأسها ونظرت الي نفس نظرتها الحزينة العميقة ثم قالت :

صحيح ان طبيعة الحبل الذي يشدنا الى هـذا البيت واحد ولكن لم يعد في هـذا دليل عـلى اتحاد وجـودينا يـا فؤاد . . .

فطار لبي لهذه الكلمات الرصينة الحزينة وقلت في صوت جريح :

أرجوك أن ترحميني يا سندس فأنا لا أعرف الحياة بدونك ولا أعترف بوجودي منفصلاً عن وجودك ، أنت لي الحياة برمتها ، لماذا تقولين هذا وأنت نفسك لا تعترفين به ؟ فهزت رأسها بأسف وقالت :

سواء اعترفت أم لم أعترف فانه هو الواقع الذي يجب أن يعاش ، فقلت في توسل :

لماذا ؟ لماذا يا سندس ؟ بماذا أسأت اليـك يا تـرى ؟ صارحيني بكل ما لديك يا حبيبتي فأنا لا أكاد أفهم شيئاً يا

سندس ، وهنا عادت تنظر الي بعمق وحزن ايضاً ثم قالت :

انت لا تريد أن تفهم شيئاً يا فؤاد ، قلت :

كلا بل انني أريد وأقسم لك بأنني على استعداد لأن أسمع منك كل شيء ، فهزت رأسها في انكار ثم قالت :

ليس هذا وقت الحديث فإن لدي موعد مع الاستاذ في الساعة الرابعة ، قلت وأنا أيضاً لدي نفس الموعد ، قالت :

طيب اذن دعنا نتناسى مشاكلنا الشخصية لنتمكن من الاستفادة ، قالت هذا وطرقت الباب ، وسرعان ما فتح لنا فدخلنا الى الاستاذ .

وبعد أن استقر بنا الجلوس قال :

أرجو أن تكونا قد استمتعتما بقراءه "الكتاب ؟ فشعرت بشيء من الخجل لأنني لم أكمل مطالعة الكتاب ، ومما أخجلني اكثر هو أن سندس أجابت (ولاول مرة تجيبه بشكل مباشر) ولكن بشيء من الاستحياء قائلة :

أما أنا فقد استمتعت به واستفدت منه كما انني سجلت بعض ملاحظاتي او استيضاحاتي عنه وعن الكتاب الأول وقد اتيت بالدفتر معي لتطلع عليه اذا سمحت ، قالت هذا وقدمت دفترا صغيرا على شكل دفتر المذكرات ، فظهر الارتياح على الاستاذ وأستلم الدفتر قائلاً :

ان هذه بادرة تبشر بالخير وسوف اطالع الدفتر بكل دقة وعناية ان شاء الله ، ثم التفت الي ينتظر جوابي عما سأل وكأنه قرأ الجواب مرسوما على صفحة وجهي فلم يشأ أن يحرجني ولهذا انصرف عني بسرعة وقال :

والأن فلنعد الى الحديث لقد سبق منا القول بأن الدين المطلوب هو الدين الذي يشتمل على خصائص انسجامه مع الفطرة ، وذكرنا لذلك أمثلة استخلصناها من العقيدة الإسلامية كالإيمان بالغيب ، والنظرة الوحدوية للكون ، ولقد قلنا أيضاً أن من شروط الدين المطلوب هو ملائمته للعقل لأن الدين هو اختياري لا سبيل للجبرية فيه (لا اكراه في الدين) لأنه عقيدة يجب أن ترتكز في الصميم الصميم من العقل والقلب ، وما لم يكن الدين عقيدة راسخة في الفكر والقلب فهو لا يعدو ان يكون طقوسا وعادات وأسلوب من أساليب الحياة ، اذن فهو اختياري للإنسان ولا يمكن أن يؤخذ عن طريق الجبر ، فإن الاجبار قد ينجح في سبيل التطبيق أما في سبيل اليقين والاعتقاد فلا فائدة للاجبار بل ان المطلوب هو الاقتناع واليقين ، وعن طريق الاقتناع واليقين ، يحصل الاختيار للدين الاصلح ثم وان حسن الاختيار ومعرفة الاصلح ، وسبر أغوار كل حقيقة تعتمد على مدى تكامل الرشد وتصاعد الوعي لدى الإنسان ، وتصاعد الوعي ، وتكامل الرشد امران اختياريان للفرد ، إذن فإن الدين أمر اختياري يعتمد على العقل وينطلق منه ، والإسلام هو دين العقل ولا يوجد في احكامه وقوانينه ما يخالف قاعدة من قواعد العقل او يتنافر مع حقيقة من حقائق التصور الصحيح ، ولهذا فنحن نجده يتحدث الى

العقل ويدعو الى التدبر والتفكير ونبذ التقليد في العقيدة والتفكير كما جاء فى الآيات المباركة التي تقول :

﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ .

﴿او لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ .

﴿أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج﴾ وغيرها كثير من الآيات .

هذا هو الإسلام في آياته المباركة يدفع الإنسان الى التفكر والتعقل ثم يعطي للعقل حريته في الاختيار بعد ايضاح الحجة له وتقديم الدليل . . .

وبما أن طريق الاقتناع يحتاج الى وضوح في البيان ، ورسوخ وجلاء في البرهان ، وحكمة متكاملة الجوانب في الاستدلال فقد جمع الإسلام كل هذا في رسالته التي قدمها للبشرية وهي القرآن ، ولهذا فنحن نتمكن ان نقول ان هذا هو مما اختصت به رسالة الإسلام دون سواها من الرسالات ، فإن كل دين في حاجة الى بيان لطبيعة الرسالة والى معجزة تؤكد او تدعم وجود الرسالة ، أما الإسلام فإن بنيان رسالته هو أولى معاجزه وأهمها فقد عجز عن مجاراته اكابر علماء اللغة وافذاذ اصحاب البيان بعد أن تحداهم القرآن وطلب منهم :

أولاً : أن يأتوا بكتاب مثله ﴿قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ .

ثانياً: ولما عجزوا عن ذلك تحداهم بما هو أقل ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ .

ثالثاً: ثم وبعد أن عجزوا عن ذلك فبسورة مثل سورة ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ فلم يتمكنوا من مواجهة أي من هذه التحديات مع أنهم أرباب الفصاحة والبلاغة ، وكذلك أن كل دين في حاجة ايضاً الى رسالة ، والى برهان يستدل به على الرسالة ، والإسلام جمع هذين الامرين في رسالته التي هي ﴿القرآن﴾ فإن البراهين العلمية سواء منها الإجتماعية ، او الإقتصادية ، او الفلكية ، او ما يتعلق بجسم الإنسان كلها مجموعة ضمن هذه الرسالة فكم من الحقائق العلمية كشف العلم بعضها ولم يكتشف البعض الآخر بعد قد ذكرها القرآن الكريم منذ أكثر من الف وثلاثمائة سنة على لسان رسول امي لا يعرف الكتابة والقراءة .

وكم من الافكار الإجتماعية التي دعا اليها الإسلام قبل اكثر من الف وثلاثمائة سنة قد توصل العالم اخيرا الى

ضرورة تطبيقها مثل اعلان حقوق الإنسان ، ومحاربة الرق ، ووضع الحلول الإقتصادية التي تحول دون الاحتكار والاستغلال وغير ذلك مما تتمكنان من مراجعته مفصلاً في كتاب ـ الإنسان في القرآن ـ للعقاد و ـ التعصب والتسامح ـ للغزالي اذن ، فإن رسالة الإسلام قائمة بذاتها وهي تدل بنفسها على نفسها ويكون استقلالها هذا مستندا الى اسس قوية يرضاها العقل وتنسجم مع واقع طبيعة الإنسان لأنه ومن خلال نظمه يحفظ للإنسان كرامته وحريته في حسن الاختيار ، فلا يكبل افكاره بخيوط من الجهل ولا يخدر احاسيسه بحبوب من الشعور بالخطيئة والذنب والصغار ، ولا يملي عليه اطروحته مرتكزة على الجانب العبادي فقط متجاهلا حياته ومتطلباتها فيما عدا ذلك ، فهو يشمل بالتشريع مختلف النواحي ولا يهمل جانباً دون ان يضع له القواعد الصالحة لكل زمان ولكل فرد من الأفراد ويمكننا ان نقدم على ذلك دليلا صغيراً مستمدا من أسماء السور القرآنية ، فإن سور القرآن التي يبلغ عددها (١١٤) سورة وقد تعددت اسماء بعض السور فكان لها اكثر من اسم واحد ونحن لو راجعنا هذه الاسماء التي لم توضع بدون هدف وغاية وقد وضعها رسول الإسلام بأمر من الله تبارك وتعالى ، لو راجعناها لوجدنا ان قسما من اسماء السور تشير الى الكائنات الطبيعية مثل البقرة ، الرعد ، النحل ، النمل ، العنكبوت ، الذر ، الشمس ، النجم ، القمر ، الدخان ، الحديد ، وغيرها مما

تندرج ضمن الموجودات الطبيعية ، ثم ان قسما من اسماء السور ايضاً تشير معانيها الى المواقف الإجتماعية والسياسية مثل الاحزاب ، والمؤمنون والشورى ، والنساء ، والصف وهذه الأسماء تدور حول اوضاع واشكال المجتمع ، والقسم الثالث من الاسماء هو ما يحمل معه اثارا تاريخية مثل آل عمران ، الانبياء ، يونس ، هود ، يوسف ، ابراهيم ، سبأ ، محمد ، الروم ، مريم ، نوح ، وهذه الأسماء كلها تدور حول التاريخ وابطاله واحداثه ، والقسم الرابع تشير الى المصير وما وراء العالم مثل القارعة ، والحاقة ، والواقعة اما القسم الخامس فهو ما يشير الى المسائل الإقتصادية مثل الانفال والانعام ، والمائدة ، اما السادس مثل عبس ، والهمزة ، والمطففين فهي تدور حول الاخلاق وقواعد السلوك ، والقسم السابع من الاقسام هو ما يدور حول العبادات كالحج ، والسجدة ، اذن ، فنحن نتمكن ان نتوصل الى هذه النتيجة وهي ان اسم (٣٢) سورة وضع للكائنات والموجودات الطبيعية ، وان اسم (٢٩) سورة وضع للعقيدة والمبدأ الفكري واسم (٢٧) سورة وضع للمجتمع بما فيه من اصناف اجتماعية وسياسية واسم (١٧) سورة وضعت للتاريخ وفلسفته واسم اربع سور وضع للاخلاق والسلوك ، واربعة ايضاً للقضايا المادية والإقتصادية ثم سورتان فقط خصص اسمها للعبادات والشعائر الدينية ، وهذا مما يوضح لنا فكرة الشمول في رسالة الإسلام فهي حينما تريد أن تربط

الإنسان بالله لا تربطه عن طريق العبادة المحددة فقط ولكنها تربطه مع الله عن طريق مختلف أدوار حياته ووجوده حتى تستحيل العبادة من الجهاد في سبيل الله الى الإبتسامة في وجه الاخ المؤمن ، ونتمكن من هذا أيضاً ان نعرف أن هذا أيضاً هو مما يميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع حيث انها تجعل من جميع متطلبات الحياة الروحية منها والجسدية ، إذا أديت بالشكل الصحيح ، عبادة ، خلافاً للشرائع التي تجعل العبادة وقفاً على الجسد فقط ولهذا فهي لا تعدو ان تكون طقوس وعادات تنتهي بمجرد انتهاء ادوارها ولا تخلف أي أثر في حياة الفرد والمجتمع ولا تعنى بتربية الروح من قريب او بعيد وخلافاً ايضاً للشرائع التي تجعلها من خصائص الروح وعلى حساب الجسد حيث يفرض على الجسد أحكاماً صارمة قاسية من التعذيب والحرمان وفي أحاديث قادمة نوضح ذلك أكثر ان شاء الله . وسكت الاستاذ فسكتنا لسكوته لحظات ثم طلبت منه موعدا جديدا فقال انه بعد يومين في تمام الساعة الرابعة من بعد الظهر ، فنهضت ونهضت سندس معي وودعنا الاستاذ وخرجنا شاكرين معجبين .



ووقفنا وراء الباب لحظات وكل منا لا يعرف كيف يتصرف ، ثم كنت انا البادىء بالكلام فقلت :

هل تسمحين لي أن اسير معك قليلاً يا سندس ؟ فنظرت الي نظرة طويلة ثم قالت :

كلا ! قلت :

ولكن عندي ما أريد أن أقوله لك يا سندس فأنا لا أطيق منك هذا الصدود واريد أن تصارحينني بكل شيء ، لا شك أن هناك ما عكر صفاء روحك يا حبيبة الروح ، قالت :

ولكنني ذاهبة الى دار الطالبات ولا اتمكن أن أتأخر دقيقة واحدة ، قلت :

إذن فاسمحي لي أن أسير معك الى هناك على الأقل ، قالت :

كلا ! انني لن اسمح بذلك يا فؤاد فأنا أتمكن أن أذهب بنفسي الى هناك كما أنني اتمكن ايضاً أن أتي الى هنا بمفردي بعد يومين ، قلت متوسلا :

ولكن ما الذي يدفعك للمجيء اذن ؟ فرفعت رأسها بشيء من التحدي وقالت :

انني اصبحت صاحبة قضية في هذا الموضوع وما أنا الا باحثة عن الحقيقة لحسابي الخاص وانما هو انت الذي علي أن أسألك ، ما الذي يدفعك للمجيء اذن ؟ لأن الحقيقة ينبغي أن تكون واضحة لديك من قبل الآن ، قلت :

ولكنها لم تكن واضحة لدي في يوم من الأيام ، انني لم اكن اعرف عن الإسلام اكثر مما تعرفين ولهذا فأنا الان اريد أن اعرف من أجل المعرفة يا سندس ، قالت :

اذن فلنستمر بمتابعة المعرفة من أجل المعرفة قلت :

ومن أجلي أنا ايضاً يا سندس ، قالت :

من أجلك أنت ؟ قلت :

نعم أفلا استحق منك ذلك ؟ فسكتت لحظات ثم قالت :

الحقيقة انك كنت تستحق مني كل ما هو حسن وجميل ، قلت :

كنت ؟ قالت :

نعم كنت ، قلت :

وأي شيء جعلني عندك في خبر كان وأنا ما زلت اعيش فيك ولك خلال كل لحظة من لحظات حياتي ، فلم أعد أعرف للحياة معنا بدونك وبدون حبك يا سندس ، فصدرت عنها آهة جريحة ولم تجب فاردفت اقول :

واذا كنت لا تسمحين لي بساعة من وقتك فاليك هذه السطور عسى أن تكون شفيعتي لديك ، قلت هذا ومددت يدي نحوها بالرسالة التي كانت لا تزال في جيبي بعد أن رفضت استلامها عند الصباح ، فترددت لحظة قلت لها خلالها متوسلاً :

خذيها بالله عليك يا سندس فإنك لن تخسري شيئاً باستلامها ، ان من الحيف أن تتسبب فرية صغيرة بهدم كل ما بنيناه من صروح حب وحنان ، فمدت يدها واخذت الرسالة ثم قالت :

ما معنى الفرية يا فؤاد ؟ قلت :

الفرية هي الكلمة الموضوعة او الخبر المكذوب قالت :

وإذا حدث ما يؤكدها أو اذا وجد ما يدل على صدقها هل تبقى مجرد فرية او تتحول الى حقيقة يا فؤاد ؟ قلت :

ان الثقة اذا بلغت أتمها فلا ينبغي أن يوجد ما يزعزعها مهما كان قالت :

ولكن قد يشك الإنسان حتى بنفسه أحياناً ، قلت :

عند ذلك عليه أن يكون صريحاً مع نفسه فيحاسبها ويراجعها لكي يتوضح لديه الشك من اليقين فلماذا لا تكوني صريحة معي يا سندس فسكتت برهة ثم قالت :

دعني افكر اولا ، قلت :

شريطة ان تقرئي هذه السطور ، فعادت تقول بشيء من الضيق :

سوف اقرأها بعد أن انتهي من تفكيري في الأمر والآن مع السلامة ، قالت هذا واتجهت نحو بيتها في خطوات مثقلة . . .

أما أنا فقد عدت الى البيت وأنا أهدأ مما كنت عليه لأنها رضيت أن تأخذ الرسالة اخيراً ، ولهذا فقد تمكنت من مطالعة الكتاب الذي ارشدنا اليه الاستاذ ومن مراجعة دروسي أيضاً ثم تذكرت أبياتا شعرية كنت قد نقلتها قبل مدة عن احد الدواوين على أن أقدمها لسندس وكان مطلعها هو :

رأيتك في يومي وأمسي الذي انقضى
ولي حيثما أمضي اليك وصول

فخطر لي ان اخذها معي لاسلمها لها عند الصباح ولكنني افتقدتها من بين اوراقي ولما فتشت عنها لم اجدها بل افتقدت خلال التفتيش ايضاً صورة صغيرة لسندس كانت قد اهدتها لي في بداية علاقتنا وصورة صغيرة لي ايضاً ، فاستغربت ضياع هذه الصورة مع انها كانت محفوظة بين اوراقي المهمة في الجرار الذي الى جوار سريري وعلى كل حال فقد قضيت ليلتي تلك بين النوم والمطالعة والتفكير وعند الصباح ذهبت الى الجامعة انتظر سندس هناك ولكنها لم تحضر لا في ذلك اليوم ولا في اليوم الذي بعده ولم اراها الا عند باب الاستاذ في عصر اليوم الثالث .

تقدمت نحوها وهي واقفة امام الباب فحييتها بلهفة مصحوبة مع كلمات حب جمدت على شفتي وانا ارى جمود ملامحها واسمع جوابها المقتضب، ثم اردت ان اطرق الباب فقالت :

لقد طرقتها قبلك ، قلت :

إذن لماذا لم يفتح لحد الآن ؟ قالت :

انه مفتوح ولكن يبدو ان الاستاذ خارج البيت وقد طلب ان ننتظره حتى يعود ، قلت :

إذن دعينا ندخل فليس من اللائق وقوفنا هنا ، فسكتت لحظة ثم قالت :

نعم ليس امامنا غير هذا ، ففتحت الباب وكنا نعرف الطريق الى غرفة الاستاذ فتوجهنا اليها ، وهناك حاولت ان انتهز هذه الفرصة لاتحدث معها بشيء مما اريد ولكنها سبقتني الى الحديث حيث قالت بنبرة ساخرة مشوبة بالالم :

هلا اخبرتني ماذا رأيت في يومك يا فؤاد وماذا رأيت في امسك الذي انقضى ؟ فاستغربت منها هذا السؤال ولم افهم عنها شيئاً ولهذا فقد سكت لحظات ثم قلت :

ماذا تعنين بسؤالك هذا يا سندس ؟ قالت :

اقصد من الذي رأيت في يومك وفي امسك ؟ قلت :

ان من تختلف عن ما ولهذا فأنا اتمكن ان اقول بأنني لم ار سواك وهنا تذكرت الابيات الشعرية التي ضاعت مني ووددت لو كانت معي اذن لقدمتها اليها ثم حاولت ان اقرأ لها ما احفظه منها فقلت :

رأيتك في يومي وامسي الذي انقضى
ولي حيثما امضي اليك وصول
فانت معي فيما جهدت لنيله
وادركني منه ونى وخمول
وانت معي فيما احاول في غدي
ويصبو اليه خاطري ويميل
وانت معي في كل درب قطعته
وانفقت فيه العمر وهو طويل

اذا اخمـدت دنـيـاي كـل تـوثـب
واوشـك ان يـعـرو الـشـبـاب خمـول
تـراءيـت لي في كـل امـر اخـافـه
فـاشـرق مـربـد وضـاء سـبـيـل

وهنا قاطعتني سندس بشيء من النفور قائلة :

كفاية ، كفاية ارجوك فإن من المؤسف ان لا تكون هذه اول بادرة شعرية منك يا فؤاد . . ومن جديد لم افهم عنها ماذا تريد ان تقول فقلت :

ولكنني لم اتحدث معك بالشعر من قبل ! قالت :

نعم انك لم تتحدث معي انا بالشعر ولكنك بدأت تتحدث بالشعر مع الاخرين ، قلت :

وهل لي حديث مع سواك يا سندس وانت حديث نفسي الوحيد ؟ قالت :

يمكن للكتابة ان تعوض عن الحديث أحيانا ، فرددت عليها بلهفة قائلاً :

وهل عوضت كتابتي اليك عن الحديث يا سندس ؟ فهزت رأسها في أسف وقالت :

لو كانت قبل الأن لامكنها أن تعوض وتزيد لأنها منمقة الى أبعد حد ولكن . . . قلت :

أرجوك لا تقولي أنها كانت منمقة فأنا لم انمق كلمة منها وانما هي عصارة روح ونفثات قلب وسفيرة امال كبار عذاب ، انني لم اتكلف بتنميق كلمة منها يا سندس ثم لماذا تقولين ، لو كانت قبل الأن ، ماذا حدث الأن يا ترى ؟ لماذا تريدين ان تكوني صريحة معي وما أعتدنا على الغموض في عالم العلاقة والحب ؟ قالت :

بودي لو اتمكن أن اكون اكثر جرأة على التحدث بالحقائق المرة ولكنني جبانة وعندما أتألم من شيء لا أقوى على ذكره ولهذا فعليك انت أن تكون صريحا يا فؤاد ، قلت :

انك أنت التي يجب أن تكشفي لي ما تحسين وما تعانين ، قالت :

ولكن ليس من المعقول الا تكون قد عرفت ما يضنيني يا فؤاد ! قلت :

لك أن تعديني غبياً أو أي شيء اخر ولكنني لم أفهم على أي حال من الاحوال وأنا على استعداد لأن أقدم حياتي لمن يعرفني بذلك ، قالت :

آه اذن انت لم تخمن حتى الآن ، قلت :

كلا ولكنني تصورت قضية معينة سرعان ما استبعدتها فابعدتها عن ذهني ، قالت :

وما هي قضيتك هذه يا فؤاد ؟ فأردت ان أذكر لها مبيت فدوى عندي ولكن العهد الذي قطعته لها بالكتمان حال دون ذلك فبقيت ساكتا لحظات وأنا اعاني صراعا عنيفا بين الحديث وعدمه ، واذا بها تقول في صوت حزين :

ها انت لا تجرأ ان تذكر قضيتك يا فؤاد ومن حقك ان لا تجرأ على ذلك وها هو الاستاذ قد وصل ، وفعلا فقد كان الاستاذ يطرق باب الغرفة المفتوح برفق استعدادا للدخول ، فنهضت واقفاً لاستقباله وأنا شبه مشلول الحركة والحس وقد صممت أن أحدثها بكل شيء بعد انتهاء المحاضرة فإن قلب سندس أثمن عندي من الوجود بأسره ، واعتذر الاستاذ عن تأخره لأمر طارىء ثم جلس وسألنا عن مطالعتنا للكتاب الذي ذكره لنا أخيرا ثم أعاد دفتر سندس اليها بعد أن أجرى على ملاحظاتها بعض التعديلات واوضح لها بعض الشبهات ثم بدأ يحدثنا قائلاً :

لقد وقفنا في الحديث الماضي عند فكرة الشمول في الرسالة الإسلامية وكيف انها هي الرسالة الوحيدة التي تشد الفرد بخالقه عن طريق مختلف ادوار حياته الإجتماعية ، والإقتصادية ، والعاطفية ، والسياسية ، حيث تصبح جميع تحركاته في الحياة عبادة صغيرها وكبيرها مهما وبسيطا ما دامت جميعها منسجمة مع القانون الالهي لمسيرة الحياة سواء ما كان منها ايجابيا كأقامة الصلاة وايتاء الزكاة أو سلبيا

كاجتناب الظلم والابتعاد عن البغي ونبذ الفواحش ما ظهر منها وما بطن والتنزه عن النفاق وقول الزور ، او ما كان يستند منها الى الذهن كالتفكر في خلق السماوات والأرض وسبر حقيقة الخليقة انسانها وحيوانها جمادها ونباتها ، أو ما كان روحيا أي ما كان يرتبط بالروح من اعمال كالصيام والاعتكاف حيث يبرز فيه الجانب الروحي وتأثيره في حقل الروح والارتفاع بمعنوياتها بشكل اوضح ، أو ما كان ماديا بما يرتبط في الزكاة والصدقات ومشاريع البر والاحسان ، او ما يتعلق منها بتوجيه مشاعر الإنسان وسلوكياته من عقيدة وتفكر وعواطف وتنظيم لشؤون الأسرة وتصحيح ابعاد الروابط التي تربطه مع الكون والحياة ، قلت مستغربا :

وهل أن العبادة تشمل كل هذه الجوانب الواسعة ؟ قال :

نعم أن شمول نظرة العبادة في الإسلام وسعت كل هذا يا ولدي واعطت لكل جانب من جوانبه القيم الصحيحة وتكفلت بتقديم القدوة الصالحة ويمكنكما في هذا الخصوص مطالعة كتاب (نظرة عامة في العبادات) أما اليوم فنحن نريد أن نعرف مدى تكفل هذا الدين بطرح القيم التي من حقها أن تكون الإنسان الصالح ، وهنا سكت الاستاذ برهة فسألته قائلاً :

ما الذي تعنيه بالضبط من القيم يا استاذ ؟ قال :

القيم هي عبارة عن الاحكام يا ولدي ولهذا فانا أريد أن

أقول أن أحكام الإسلام أحكام بناءة تبني شخصية الفرد كفرد وتبني شخصيته على أساس انه جزء غير متجزء عن المجموعة البشرية أيضاً ، فالشريعة الإسلامية حينما تضع له الاحكام تراعي بذلك مصالحه كفرد ومصالحه كواحد ضمن أفراد المجتمع ، وبذلك نجد أن التشريع يشكل وحدة موضوعية يتجاوب بعضها مع بعض ويساند كل جانب منها الجوانب الاخرى . . . وهنا قالت سندس :

وما هو مثل ذلك يا استاذ ؟ قال :

أن أحد أمثلته هو تحريم الخمر والقمار فإن ذلك يتكفل بالإضافة الى تنزيه الفرد وتحصينه من مغبة اضرار ذلك وويلاته بالإصافة الى هذا فهو كفيل بسد باب واسع من أبواب الجريمة التي حرمها الإسلام ، الجرائم التي تكون نتيجة فقدان الشعور او الجرائم التي تترتب نتيجة الاعتداء على الحقوق في القمار أو الجرائم التي تأتي بسبب من التهالك على هاتين العادتين ، ولهذا نجد أن هذا الحكم . الحكم بتحريم الخمر والقمار . يتكفل بصيانة الفرد كفرد وصيانة المجتمع كمجتمع ، ومثال اخر هو فرض الستر على المرأة امام الرجال الاجانب ، عند هذا سكت الاستاذ فقالت سندس في صوت ينبىء عن اللهفة :

حقا لقد كنت اتمنى لو اسمع شيئاً عن مفهوم الحجاب في الإسلام واسبابه ودواعيه . . فابتسم الاستاذ ثم قال :

دعيني أولا أوضح لك سؤالك فانت في الحقيقة تريدين ان تعرفي أسباب ودواعي الستر الذي فرض على المرأة في الإسلام وليس الحجاب لأن الحجاب في الإسلام مفهوم هو اخص من الستر ولهذا فإن السؤال ينبغي أن يكون عن الستر الذي هو أعم في التشريع لأن كلمة الحجاب تحمل معها بالضمن معنى الاحتجاب ولم يكن هدف التشريع هو حجب المرأة عن الحياة وانما ستر مفاتنها فقط وفقط ولهذا نجد ان كلمة الحجاب لم تذكر في القرآن الكريم الا في الآية المباركة التي تقول ﴿وإذا سألتموهن متاعا فأسألوهن من وراء حجاب﴾ وهذه الآية خاصة بنساء النبي (ص) وهي تعني الحجاب بمعنى الاحتجاب وهو التزام تأدبي خاص بنساء النبي لرفعة مكانتهن وسمو مقامهن ، قالت سندس :

إذن فإن الإسلام عندما فرض الستر على المرأة لم يكن يريد من وراء ذلك عزلها عن الحياة وحبسها بين الجدران ؟ قال الاستاذ :

كلا يا ابنتي وأنا أتمكن أن أقدم اليك الدليل على ذلك من نفس آيات الحجاب فالآيات المباركة من سورة النور تقول :

﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن

الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن أو اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير أولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً اية المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ .

أفلا تلاحظي ان غض البصر جاء في البداية كحكم الزامي للرجل وللمرأة سواء بسواء فلماذا هذا الحكم يا ترى لو لم يكن من المفروض أن تعيش المرأة على مسرح الحياة كما يعيش الرجل سواء بسواء ؟ فلو كان الستر مما يحجب المرأة عن الحياة لما بقيت هناك ضرورة لغض البصر لا للرجال ولا للنساء ، قالت سندس :

آه نعم ان هذا صحيح يا استاذ ، قال الاستاذ :

ثم ان دور المرأة المسلمة في صدر الإسلام يؤكد ايضاً هذه الحقيقة فقد شاركت المرأة المسلمة خلال تلك الفترة في تحمل مسؤولية العمل من اجل الدين حتى انها احيانا كانت تشهد الحروب والغزوات لتداوي الجرحى وتسقي العطشى وتبعث الحماس في نفوس المتخاذلين ولهذا نجد أن فرض الستر على المرأة في الإسلام جاء كأجراء وقائي للمجتمع ككل بما فيه المرأة ، قلت :

وكيف ؟ قال :

لان مما لا ينكر هو ما تتمتع به المرأة من جوانب اثارة وفتنة للرجل وهذه الاثارة هي عبارة عن تحريك لغرائز معينة لديه وهنا يقف به الحال على مفترق طريقين ، فأما اشباع هذه الغرائز وتلبية رغباتها ومتطلباتها وأما وأدها والسيطرة عليها عن طريق الكبت وكل من هذين الطريقين وعر المسالك وخيم العواقب فاطلاق الغرائز على سجيتها دون حدود من دين او قيود من عرف لا تعني سوى الفوضى الجنسية والتشتت الاسروي والتفكك العائلي والويلات الإجتماعية كما دلت عليه بعض الأرقام في البلدان التي سمحت بالإثارة اولا ثم سمحت بحرية الغرائز المثارة ثانياً فقد جاء في بعض الاحصاءات انه (تتعرض تسع فتيات للغصب والاختطاف من أصل كل إثنتي عشرة فتاة في بريطانية . . .) وان (الجرائم ارتفعت بنسبة ٨٤ ٪ خلال سنوات قليلة بينما ارتفعت جرائم المراهقين الى خمسة اضعاف خلال النصف الأول من عام ـ ١٩٧٥ . . .) كما انه جاء في تصريح لمندوبة الأمم المتحدة التي كلفت بدراسة اوضاع المرأة في الشرق العربي عام ـ ١٩٧٥ ـ (ان ١٥ ٪ من السويديين مصابون بالامراض العصبية والنفسية و ٤٠ ٪ من الدخل في السويد ينفق على معالجة هذه الأمراض وذلك سببه الحرية التي نالتها المرأة في السويد بالشكل الذي تمارسه) كما انه جاء في تقرير اخر عن الاتحاد الامريكي للخدمات الاسرية انه

(اصبح انهيار الاسرة والذي وصل الان الى درجة وبائية هو المشكلة الإجتماعية الاولى فكل عام عام يفصل الطلاق بين اكثر من مليون شخص والمعدل الحالي هو سبعة اضعاف ما كان قبل مائة سنة واصبح عدد الاطفال غير الشرعيين ثلاثة اضعاف ما كان سنة ـ ١٩٣٨ ـ ويولد سنوياً أربعة ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة) بينما نجد ان نفس مندوبة الامم المتحدة تقول في تقرير لها (ان من حق المرأة السويدية ان تطالب بحريتها فإن المرأة في الشرق العربي قد وصلت الى قمة حريتها في ظلال الإسلام) هذه هي بعض الأرقام التي تعطينا فكرة عن مخاطر اطلاق الغرائز المثارة على حريتها ، إذن فلا يبقى امامنا سوى الكبت . . . والكبت مع توفر دواعي الاثارة امر مرهق للرجال نفسياً وعصبياً وفكرياً ، ولهذا فهو قد يدفعه الى مختلف الامراض النفسية والجسمية ، فلنفرض اننا جئنا بإنسان ووضعنا امامه مائدة جمعنا عليها كل ما لذوطاب مما يتصاعد عطره وتنتشر ر ائحته ثم ماذا ؟ ثم نمنح هذا الإنسان من الاكل نمنعه بالقوة او نمنعه بلطف ، فيمتنع نفسه هو تأدباً ، فالى اي شيء نتوصل ؟ نتوصل بالنتيجة الى منعه من الاكل لكننا لن نتوصل الى منعه من الرغبة في الطعام والشهية اليه لأن هذه مشاعر لا يمكننا ولا يمكنه هو ايضاً ان يحول دون استثارتها مع وجود هذه الأنواع الشهية من الطعام ، ووضع الرجل تجاه المرأة لا يختلف عن وضع هذا الإنسان تجاه الرغبة في الطعام ، إذن ، فإن الوضع

الوحيد الذي يجنب المجتمع مضار الأثارة وردود فعلها بشكليه هو ان تستر المرأة مفاتنها التي من طبيعتها ان تثير الرجل ، وبذلك تجنب نفسها وتجنب الرجل ويلات الأثارة ، قالت سندس :

إذن فإن ستر المرأة ما هو الا مصلحة اجتماعية ، وعملية وقائية ؟ قال الاستاذ :

نعم ولكن بالإضافة الى ذلك هو مراعاة لمكانة المرأة والحفاظ عليها وتجنبها عن الابتذال وان تصبح سلعة رخيصة تلتهمها كل عين وتملأ من مفاتنها انظار الرجال ، ويمكنكما مطالعة كتاب ـ العفاف ـ لزين الدين و ـ الحجاب ـ للمودودي ، قالت سندس :

ولكنني كنت قد سمعت ان الستر دخل في الإسلام عن طريق تسرب العادات الإيرانية بين المسلمين ؟ قال الأستاذ :

ولكن الستر شرع في الإسلام قبل فتح المسلمين لبلاد فارس بسنوات ، ثم ان الستر المفروض على المرأة في الإسلام يختلف عما كانت عليه المرأة في ايران ، قالت سندس :

كما انني كنت قد سمعت ان هذا الستر شرع لاسباب اقتصادية ، قال الاستاذ :

ماذا تعنين بالاسباب الاقتصادية يا ابنتي ؟ قالت :

اعني ان الرجل عندما اراد استغلال المرأة واستعبادها

فرض عليها هذا الستر ليحبسها في البيت ويستفيد من اعمالها وصناعتها : قال الاستاذ :

ولكن التشريع الإسلامي هو ابعد ما يكون عن هذا لأنه ضمن للمرأة حقوقها الكاملة واعطاها حق تملك كل تربح من العمل .

﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ .

﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ .

إذن فأي شيء يستفيد الرجل من تشغيلها ما دامت هي المالكة الحقيقية لما تكسب ؟ وبالمناسبة فإن هذا حق لم تحصل عليه المرأة الاوروبية الا مؤخراً حيث كانت تعمل بنصف اجرة الرجل ، قالت سندس :

لعلني لا اثقل عليك بالسؤال يا استاذ ؟ قال الاستاذ :

كلا تفضلي واسألي على الرحب والسعة ، قالت :

في خصوص موضوع الستر الذي فرض في الإسلام على المرأة لقد سبق ان سمعت انه تعبير عن نزعات الرهبنة وانكار الذات فهل لهذا شيء من الواقع ؟ قال الاستاذ :

انك يا ابنتي لو كنت قد تعرفت على حقيقة الإسلام اكثر لعرفت تلقائيا ان هذه دعوى لاساس لها من الصحة ،

وهنا بدت عني اول بادرة تدل على انني مسلم اختلف عن سندس حيث قلت :

ان نبي الإسلام هو الذي يقول لا رهبانية في الإسلام ، فابتسم الاستاذ ونظر الي مشجعا وهو يقول :

اسمعي ها هو ابن الإسلام يعرف ان لا رهبانية في الإسلام وهناك الآية المباركة التي تقول :

﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ وقد جاء في التاريخ ان عباس بن مضعون احد الصحابة الكرام حاول ان ينصرف الى العبادة فترك جميع ملاذ الحياة بما فيها النساء فذهبت زوجته الى رسول الله (ص) تشكوه اليه فأغضب ذلك رسول الله (ص) وخرج الى المسجد وصعد المنبر ونهى اصحابه عن ذلك وهو (ص) الذي يقول :

«حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقره عيني الصلاة» قالت سندس :

إذن فهو لا يعدو أن يكون اجراء وقائياً للمرأة والمجتمع ؟ قال الاستاذ :

نعم وانك لو طالعت الكتابين اللذين ذكرتهما لك لعرفت تفصيل ذلك بما لا يسعه المجال لضيق الوقت ، قالت سندس بشيء من الخجل :

هل لي ان اسأل اكثر ؟ قال نعم تفضلي واسألي ما

تريدين ، قالت : ما هو مقام المرأة او ما هي نظرة الإسلام للمرأة وهل هي في حقوقها مشابهة للرجل ام لا ؟ فابتسم الاستاذ وقال :

انها متساوية وليست متشابهة قالت :

وكيف ؟ قال :

لأن التساوي يختلف عن التشابه يا ابنتي فالتشابه امر غير ممكن لاختلاف تكوينهما وتباين استعداديهما ، اما التساوي الذي هو ما يقتضيه العدل فهو موجود فإن حقوق المرأة في الإسلام لا تقل عن حقوق الرجل بأي مجال من المجالات والفارق هو فارق الاختلاف فقط ، تصوري ان رجلا يملك اشكالا مختلفة من الثروات ثم اراد ان يوزع ما يملك على اولاده في حياته فهو لا شك سوف يضع القسمة على اساس من كفاءة اولاده واستعدادهم وميولهم فيعطي الأرض الزراعية لمن له ميول في الزراعة ويعطي الأموال التجارية لمن هو اعرف بالمعاملات المالية وهكذا فهو يحرص على ان يكون الناتج متساويا وان اختلفت طبيعته بأختلاف استعداد وخبرات كل من اولاده وهكذا الحال في المستوى الكلي لحقوق المرأة والرجل فهما متساويان ولكن غير متماثلان نظرا للاختلاف التكويني الموجود بينهما ولهذا نجد ان للمرأة ما للرجل وعليها ما عليه في كافة مجالات العمل الدنيوية منها والاخروية فإن ما تجنيه المرأة من اجر على العبادة هو عين ما

يجنيه الرجل وما تعاقب به المرأة على تركها للعبادة هو عين ما يعاقب به الرجل ، وهذا يدلنا على ان حق المرأة مساوٍ ومماثل لحق الرجل في حال ومساوٍ وغير مشابه لحق الرجل في حال آخر ، فهي تتشابه وتتساوى في مسيرة الإنسان لله مسيرة المخلوق للخالق وتتساوى ولا تتشابه في مسيرة الاحكام من الله للناس مسيرتها من الخالق للمخلوقين ، هذا من ناحية حقوقها ولعلك لو قرأت كتاب ـ المرأة في الإسلام ـ ـ للعقاد و ـ الاسره المسلمة ـ للبكاء لتمكنت من استيعاب ذلك اكثر اما سؤالك الثاني حول نظرة الإسلام للمرأة ومدى تقييمه لوجودها فإنا ارجو اولا ان تحددي الشبه الموجودة لديك عن ذلك قالت :

هل ان الإسلام يعتبر المرأة هي رأس كل خطيئة وانها هي التي اغوت آدم فاكل من الثمرة المحرمة ؟ قال الاستاذ :

كلا يا ابنتي فإن الإسلام لا يحمل المرأة هذا الوزر وقد ذكرت قصة آدم (ع) في القرآن الكريم والآيات التي تذكرها تقول ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ ﴿فدلاهما بغرور﴾ ﴿فاسمهما اني لكما من الناصحين﴾ وهذه الآيات تدل بوضوح ان الغواية كانت لكليهما والاستجابة ايضاً من كليهما سواءا بسواء ولا تحمل حواء اية مسؤولية خاصة ، قالت سندس :

ان هناك من يقول ان المرأة انما خلقت من اجل ايجاد

الرجل فوجودها مقدمة لوجود الرجل وليس وجودا قائماً بنفسه فما هو موقف الإسلام من هذا ؟ قال :

ان هذا مما لا يوجد في الإسلام فإن الله تبارك وتعالى لم يخلق المرأة من اجل الرجل فقد كان يتمكن عز وجل ان يوجد الرجل بطريقة اخرى وان يخلق عند الرجل الغرائز التي تجعله في حاجة للمرأة ولكنه خلقها كموجود مستقل يستند الى وجود الرجل بالمقدار الذي يستند وجود الرجل اليه والآية الكريمة تدل على ذلك حين تقول . . .

﴿هن لباس لكم وانتم لباس لهن﴾ .

والآية الاخرى التي تقول :

﴿وجعل منها زوجها ليسكن اليها﴾ ثم الآية المباركة التي تحكي عن سبب الخليقة من غير تمييز بين رجل وامرأة .

﴿وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون﴾ . . قالت سندس :

وما هو دورها بالنسبة للاولاد ؟ هل يعتبرها الإسلام كأناء تفريغ فقط كما تعتبر في بعض المجالات ام لا ؟ قال الاستاذ :

ان الإسلام يعطي للام مقامها الرفيع ويضع لها الحقوق الكاملة بالنسبة لأولادها ويعترف لها بدورها في اعداد الجنين مثل الآية المباركة التي تقول .

﴿يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى﴾ .

ثم ان الإسلام قال على لسان نبيه (ص) ان الجنة تحت اقدام الامهات وبهذا وضع طريق الوصول الى رضاء الله تعالى هو رضاء الأم وهذا يدل بوضوح على تركيز وجود الام في حياة الابناء والاعتراف بدورها الفعال في ذلك ، وانا ارجو ان تطالعي كتاب ـ الطفل بين الوراثة والتربية ـ وكتاب ـ مع الولد ووالديه ـ للسيد حسين الصدر عند هذا كان موعد أذان المغرب قد حان فسكت الاستاذ فقلت له :

متى سوف يكون اللقاء القادم ؟ قال :

بعد اسبوع حيث تتمكنان من مطالعة الكتب التي ذكرتها لكما .

وخرجنا من عند الاستاذ ووقفنا في الشارع لحظات لاحظت خلالها ان عيون الرجال كانت تلتهم سندس بنظراتها وهذا شعور لم أكن لأفطن اليه من قبل فعز علي ذلك وتمنيت لو حلت دونه بأي شكل ، وأحسست أن سندس بدأت تشعر بالحرج حيث كانت تلم أطراف فستانها بتحفظ ، ومرت فترة صمت ثم قطعتها سندس قائلة :

مع السلامة والى اللقاء هنا عند الاستاذ ، ثم استدارت فقلت لها انتظري فإن لدي ما أريد أن أقوله لك ، ولكنها لم تنتظر فمشيت نحوها وانا أقول :

سندس ، سندس ، دعيني احدثك بأمر لعله يلقي ضوءا على الموقف ، وفي تلك اللحظة مرت سيارة أجرة فاستوقفتها وركبت فيها دون أن تنظر إلي ، فما كان مني الا انّ رجعت الى البيت مخذولا ، وفي البيت حاولت أن أهدأ ولكن ثورة روحي كانت عنيفة جدا فعدت الى الشارع اتجول فيه على غير هدى ثم مررت على السوق واشتريت الكتب التي ذكرها الاستاذ وفي ساعة متأخرة من الليل عدت الى البيت مرهقا جسما وروحا ولكنني وفي الأيام الاخرى حاولت ان أقرأ الكتب وان أقنع نفسي بالأمل فحصلت على شيء من الهدوء النسبي مع ان تفكيري في سندس لم يبارحني لحظة وأنى له أن يبارحني وقد ملك علي جميع المنافذ فلم تكن سندس بالنسبة لي صديقة فقط ولكنها كانت حياتي التي لا غنى لي عنها . . .

ثم مرت الأيام وأنا اتلهف الى يوم اللقاء وفي الوقت المحدد كنت عنده وقد وصلت سندس بعدي بقليل ، وكان يبدو متعجلا اذ شرع بالحديث بعد دخول سندس مباشرة فقال :

نعود اليوم لنعطي مثلا جديداً عن القيم البناءة التي في الإسلام فالإسلام قد حرم الصلاة في الأرض المغصوبة ، والدار المغصوبة ولهذا التحريم جانبين ، جانب خاص ، وجانب عام ، أما الجانب الخاص فهو أن من أهم العبادات في الإسلام هي عبادة الصلاة حيث تسمو بها الروح منطلقة من عقال العالم المادي مقرة بالعبودية الخالصة لله الواحد القهار ولهذا ولكي تكون صادقة وطاهرة ونزيهة ينبغي لها أن ترتفع عن انسان صالح وصادق ونزيه ومن مكان طاهر ونزيه لم يدنسه الظلم الغاشم ولم يشوهه الاستغلال الظالم فإن

لصفاء الروح اثر بصفاء العطاء وروح المصلي في المكان المغصوب بين حالتين: فهي أما ساخطة على الظلم منكرة له وأما راضية به مؤيدة لوجوده، وسخطها عليه كفيل بتكدير صفحتها واعاقة صفاء انطلاقها ورضائها به كفيل أيضاً بطمس معالم أثارها في نفسه ومحو اثبات وجودها عند ربه لأنه خلط طاعة الله مع معصيته وتقرب الى الله في حال بعده عنه ، هذا من الناحية الخاصة ، أما من الناحية العامة فهو ما يترتب على ذلك من استنكار للغصب ورفض لقبوله والاستكانة له ، وفي هذا حماية لحقوق الإنسان واحترام للملكية . . . وسكت الاستاذ فخطر لي أن أسأل :

لماذا اختيرت سورة الفاتحة من بين سور القرآن جميعها لكي تكون الجانب الرئيسي في الصلاة ؟ قال :

لان الفاتحة قد جمعت في اياتها مجمل العقيدة الإسلامية من حمد وتسبيح ، واطاعة وتوحيد واعتقاد بالبعث والنشور ، وطلب للهداية الى اخر ما زخرت به هذه السورة المباركة من مفاهيم . . . قلت :

لماذا كانت ايات الصلاة غير موجهة لله تبارك وتعالى عدى الآيات الثلاث في نهاية سورة الفاتحة ؟ قال :

لكي يفهم الإنسان المصلي ان الصلاة هي له اكثر مما

هي لله تبارك وتعالى وانه هو الذي سوف يستفيد من عطاءاتها الروحية والعقائدية والتربوية ، قلت :

بالمناسبة لقد جاء في آية كريمة ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر مع اننا نجد الكثير ممن يؤدون الصلاة لا يتناهون عن المنكر ؟ قال :

أن الصلاة يا ولدي تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا تمنع عنه ، فهي لا تكبل الإنسان تجاه الفحشاء والمنكر بأغلال من حديد ولكنها تتكفل باعطاء القيم التي تحول بينه وبين الفحشاء والمنكر وجانب العطاء فيها ثابت ولكن جانب القبول في نفس المصلي غير ثابت فهناك من يتقبل هذا العطاء بقبول واع يردعه عن التردي بمزالق الفحشاء والمنكر وهناك من لا يتقبلها أو لا يعي ما تقبل منها فتراه لا يتجنب عن منكر ولا يتوقى من فحشاء كما جاء في الحديث الشريف «ليس لك من صلاتك الا ما وعيت» قلت :

وهل ان جميع أشكال العبادة هي للعبد اكثر مما هي لله ؟ قال :

نعم ولو قرأت كتاب نظرة عامة في العبادات بدقة لعرفت الجواب مفصلاً ، كما انه من مميزات الشريعة الإسلامية هو بروز الصفة الإنسانية في قوانينها وتنظيم قواعدها ، فلا اقليمية ولا عنصرية ، ولا طبقية او شعور بالانانية وهذا هو الشيء الذي يبدو واضحاً وجلياً في نظمها

وتشريعاتها روحاً وموضوعاً كما جاء في القرآن في خطاب الآية المباركة للرسول ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾ وكذلك فإن في الأمثلة التي تدل على تكفل التشريع الإسلامي بتقديم القيم التي تكون الإنسان الصالح كفرد وبالتالي لتكوين المجتمع كمجموع هو توزيع المسؤولية على الأفراد «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وفي هذا اعطاء فرصة لكل فرد لأن يبني نفسه ويبني من حوله وما حوله ، وشتان بين مجتمع تغذي روحياته بروح الانفرادية ، والاتكالية ، واللامبالاة ، وبين مجتمع تقوم قواعده على اسس من الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية ، ان تشريعاً يقلد المسؤولية لكل فرد من أفراد المجتمع بشكل يحسسه فيه بأنه هو بنفسه صاحب قضية وحامل رسالة ، تشريع كهذا جدير ببناء المجتمع الفاضل المتماسك الجوانب وايضاً ان مما يميز التشريع الإسلامي هو دمج الاخلاقية ضمن قوانينه والتأكيد على احترام الاخلاق والاهتمام بالحفاظ عليها وجعلها قاعدة من قواعد تثبيت الشريعة حتى قال نبي الإسلام «انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» وقال أيضاً «اكملكم ايمانا احسنكم اخلاقاً» ويمكنكما أخذ فكرة عن ذلك بمراجعة كتاب ـ الاخلاق ودورها في الحياة ـ للسيد حسين الصدر .

الى هنا سكت الاستاذ ونظر الى ساعته فعرفنا ان وقتنا معه قد انتهى فاستأذنا للخروج وطلبنا موعدا جديدا فكان بعد اسبوع ايضاً فودعناه وخرجنا . . . وأمام باب البيت لفت

نظري أن سندس لم ترفع الغطاء عن رأسها في هذه المرة كما كانت تفعل سابقاً وأردت أن اتكلم وان احدثها عن مبيت فدوى عندي ولكنها عاجلتني أن سلمتني مظروف أزرق مغلق ثم انصرفت مسرعة في خطوات مرتبكة قلقة ، فاردت أن أفتح الرسالة ولكن وجدتني في حاجة لأن أقرأها وحدي لأنني لم أخمن ردود فعلها علي ولهذا فقد أسرعت للبيت وقبل أن أخلع ملابسي جلست على حافة السرير وفتحتها بيد مرتجفة فقرأت فيها ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا فؤاد ورحمة الله وبركاته .

كثيراً ما ترددت قبل أن أكتب اليك هذه السطور ولكن وجدت ان الموقف اصبح حرجا اكثر مما يطاق وان هذا الوضع القلق أخذ يؤثر علي ويلون شتى جوانب نفسي ، فأنا كنت اخمن كل شيء واتوقع كل شيء عدى ما حدث فلماذا حدث هذا يا ترى ؟ لماذا تناسيت في لحظات جميع ما عقدنا من عهود وما ابرمنا من مواثيق ؟ لماذا ضعفت يا فؤاد فاستهنت بكل هذه الكنوز من الحب وتجاهلت عيون العواطف الدفاقة التي طالما تدفقت في قلوبنا من قبل ؟ لماذا هدمت يا فؤاد تلك الصروح الشامخة من الامال والاحلام لماذا ؟ نعم لماذا ؟ ولعلك عرفت الأن ماذا أعني وماذا اقصد وستجد مع هذه الرسالة الأدلة التي وصلتني على ذلك

بالاضافة الى ما حمله سمعي الي من دليل فأنا لا أريد أن احتفظ بدلائل خيانتك ولك بعد هذا ان تعلم كم تعذبت وكم اتعذب لولا ما يربط على قلبي من النور الذي بدأ يلون حياتي بشكل جديد ، واعلم بأنني حينما أعرض عنك لا يعني هذا بأنني سوف أتوجه الى سواك فإن هذا مالا يكون ابدا لأنك أنت . . .

سندس

وفتحت المظروف الثاني فإذا به صورتي الصغيرة التي أفتقدتها وصورة لسندس كانت قد اهدتها الي والابيات الشعرية التي افتقدتها ثم الشيء الذي هو أدهى وأمر صورتي وانا أقف أمام باب بيتي وامامي فدوى وأنا اشير اليها ادعوها للدخول ، عند ذلك عرفت كل شيء وتكشفت أمامي خيوط المؤامرة التي حبكوها ضدي وانا سادر في غيي وغفلتي حتى كدت أن أخسر سندس بعد أن خدعت بشكل فظيع فلم تكن حادثة فدوى سوى قصة مفتعلة صمم أدوارها باسم الذي التقط لنا صورة في حال دعوتي لها للدخول وتذكرت الضوء الذي لمح أمامي حين ذاك ثم يبدو أنها لما قضت ليلتها في غرفتي فتشت في كل مكان حتى حصلت على صورتي وعلى صورة سندس التي اهدتها لي وعلى الابيات الشعرية التي كنت قد كتبتها من أجل سندس وفهمت في تلك اللحظة أيضاً معنى سؤالها لي أن ماذا رأيت في يومك وفي أمسك ؟ إذ كان

هذا هو مطلع الأبيات التي حسبت انني قدمتها لغيرها ، وخمنت انهم اتصلوا بها وطلبوا منها أن تتصل بغرفتي في الصباح الباكر ولا شك ان فدوى هي التي ردت عليها والله اعلم بما قالت وهكذا تكشفت امامي الحقائق المرة دفعة واحدة ، ولم احاول أن استسلم للالم وانهار أمام المفاجأة ، فنهضت مسرعا وخرجت متوجها نحو سندس لكي أشرح امامها كل شيء ولكن وفي منتصف الطريق فطنت الى حقيقة كنت قد غفلت عنها وهي الطريقة التي اتمكن ان اثبت بها براءتي أمامها مع هذه الأدلة الحسية التي تدينني أمامها ، وشعرت بالتردد ثم أحسست بالانهيار وخطر لي ان أعود الى غرفتي أفكر في الموقف الذي علي ان اتخذه معها فعدت وأنا في أشد حالات الحيرة والالم وجلست في غرفتي افكر ، وشعرت بحاجة شديدة الى من يهديني لما ينبغي لي أن أصنع وفجأة أمتدت يدي الى القرآن الكريم الذي كان موضوعا على أحد رفوف المكتبة وهو في داخل علبة مذهبة وكان قد وضع هناك الى ذلك الحين للزينة فقط اما خلال أزمتي الروحية تلك فقد شعرت انه منقذي الوحيد ، وفتحته في لهفة فإذا بالسورة التي تطالعني فيه هي سورة محمد فرحت أقرأ وقد كان لمعاني السورة وايقاعها الساحر اثر عظيم في نفسي فشعرت بشيء من الراحة وبعد ان اكملت السورة نهضت لاضع القرآن الكريم في مكانه فإذا بعيني تقع على مجموعة من شرائط التسجيل فتذكرت انني حينها كنت احاور

فدوى وراء الباب كان جهاز التسجيل يعمل بيدي ولا شك انه سجل الحديث كله ، وفعلا فقد اخذت اجرب الشرائط ابحث عن ذلك الشريط حتى وجدته ووجدت فيه تسجيلاً كاملا لما وقع منذ أن فتحت الباب لفدوى الى أو ودعتها وذهبت لأنام في الصالون فحمدت الله على ذلك وشعرت بامتنان عظيم لخالقي الذي دبرني دون ان أشعر ، وكان الوقت قد تأخر بشكل لا اتمكن فيه من زيارة سندس فأحلت الموضوع الى الصباح ونمت مطمئن البال وفي الصباح بكرت في الذهاب الى الجامعة وانا ارسم في فكري صورا عديدة لما سوف أقوله لسندس عند اللقاء ، تصورت نفسي أركع أمامها مقدما لها شريط البراءة كما قدمت لها قلبي من قبل وكانت جميع خلجات جسمي ونبضات قلبي قد استمالت الى كلمات حب وهناك عرفت انها لم تداوم في ذلك الصباح فاتصلت بالقسم الداخلي اسأل عنها فقيل لي انها مسافرة الى اهلها فاستغربت ذلك منها وعدت خائباً الى البيت .

ومرت الأيام وأنا أسأل عنها في كل يوم فيكون الجواب أنها ما زالت مسافرة وفي اليوم المحـدد ذهبت الى الاستاذ واخذت معي الشريط والرسالة شرحت لها فيها كل شيء وكنت امل ان أجدها هناك وفعلا فقد وجدتها قد سبقتني بدقائق ولكنني فوجئت ان رأيتها تلبس ملابس الحداد وقد غطت رأسها بغطاء أسود زادها فتنة وجمالا وتمنيت في تلك اللحظة أن لا تقع عليها عين رجل سواي وعجبت لنفسي ولا مثالي كيف كنت لا اشعر بهذا الشعور من قبل ؟ وسلمت عليها فاجابتني بشيء من التحفظ فقلت لها وانا اشير الى ملابس الحداد متسائلاً :

خيراً ؟ ماذا أرى ؟ فاطرقت قليلا ثم رفعت وجهها وقد أغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول :

أبي قد توفي ! فهزني حزنها واثـر علي صـوتها الكئيب وشعرت ان دموعها قد انتقلت الى عيني وخرج صوتي متهدجا وأنا أقول :

انا لله وانا اليه راجعون ، وسكت لا اعرف بماذا أزيد ومرت فترة صمت قصيرة كان لا بد لأحد أن يقطعها وكان العالم الديني ساكتا احتراما لحزنها وانا كنت ساكتا افكر بحالها وبموقفي منها أما هي فقد بادرت الى قطع حبل الصمت حيث وجهت الحديث الى الاستاذ قائلة :

أرجو أن تبدأ حديثك يا أستاذ فقد خلفت ورائي العديد من الاسباب التي تدعوني للبقاء واتيت من أجل الاستفادة منك وليس من أجل الجامعة كما انني تمكنت أن أقرأ الكتب التي ذكرتها لنا ولم تصرفني عنها الالام والاحزان لانني أصبحت أجد أن متابعة هذا الأمر هو أهم شيء في حياتي ولهذا فأنا أرجو ان تمارس حديثك كالعادة ، قال الاستاذ :

بارك الله فيك يا بنتاه وارجو من الله عز وجل ان يلهمك الصبر والاجر وانني ابارك فيك هذا الشعور الصالح البناء والحقيقة انني قد أطلت عليكما مع انكما كنتما تتعجلان الأمر ولولا مساعدتكما لي بالمطالعة لاحتجنا الى مدة اطول ، قالت سندس :

الحقيقة انني لولا رغبتي لأن اسمع منك اكثر واكثر لتمكنت أن أقول بانني قد حصلت على القناعة الكافية ولكنني لا أريد أن أخسر بذلك قسما من الحديث ونحن ما زلنا ننتظر حديثك عن الإسلام وتمكنه من تقديم قدوة صالحة او مثل اعلى او وسيلة ايضاح ، قال الاستاذ :

نفد سبق أن مررنا في حديثنا بمراحل :

أولها: توضيح ان الدين ضرورة حتمية في حياة الانسان .

وثانيها: تناول وصف للدين الصالح وكيف انه ينبغي ان يكون ملائماً للعقل ومنسجماً مع الفطرة ومتمكنا من تقديم القيم التي تبني الإنسان والمجتمع وان يكون قادراً على تقديم قدوة ومثل أعلى .

وقد تحدثنا بإيجاز عن كل مرحلة من هذه المراحل وعرفنا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتكفل بذلك وبقي علينا أن نذكر ما قدمه الإسلام من قدوة أو وسيلة ايضاح ، لأن الفكرة التشريعية واي فكرة كانت لا يمكن أن يكتب لها النجاح مالم تقدم مثالا معبرا عن طبيعة ما تدعو اليه وموضحا ابعاد الخطوات التي وضعها ، فإن عدم تقديم القدوة او وسيلة الإيضاح يعني عدم واقعية هذا التشريع واستحالة تطبيقه على الوجه الصحيح ، ولكن الحقيقة ان الحديث عن القدوة طويل وطويل جداً فإن أول قدوة وهو نبي الإسلام محمد بن عبد الله (ص) كما جاء في الآية المباركة ﴿ولكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ والحديث عن الرسول (ص) وحده يحتاج الى ساعات وساعات بالاضافة الى القدوة الثانية ابن عمه وخليفته علي بن أبي طالب (ع) والأئمة الاحد عشر من ولده (ع) ويمكنكما مطالعة كتاب ـ عبقرية محمد ـ للعقاد ـ

وكتاب ـ حياة امام أمير المؤمنين ـ للسيد محمد صادق الصدر وكتاب ـ الإمام علي ـ لعبد الفتاح عبد المقصود وسلسلة ـ في رحاب اهل البيت ـ لبحر العلوم ، ثم هناك أيضاً شخصيات اسلامية اخرى يستحق كل منها ان يكون قدوة صالحة على مدى التاريخ امثال عمار بن ياسر وابا ذر الغفاري ومصعب بن عمير وميثم التمار ويمكنكما لدراسة شخصية هؤلاء العظام مطالعة كتاب ـ بين يدي الرسول ـ و ـ من مدرسة الإمام علي ـ لبحر العلوم ولهذا فنحن نؤجل اللقاء القادم الى بعد مطالعتكما لهذه الكتب عند ذلك يمكنكما ان تتصلا وتحددا موعدا أرجو أن يكون هو الموعد الأخير ان شاء الله . . .

عند هذا شكرنا الاستاذ واستاذنا للخروج وفي الخارج وقفت أمام سندس وأنا أريد أن أقول لها شيئاً ، ولكن وقفتها المحتشمة الوقور وابرادها السوداء التي تلف جسمها وتغطي رأسها اضاعت علي الكلمات فلم أعد اعرف ماذا أقول ؟ ورحت افتش عن عبارة أبدأ بها ولكنني عجزت عن الحصول على شيء فبدأت الحديث قائلة :

مع السلامة يا فؤاد ثم استدارت لتذهب وهنا خرج صوتي مبحوحا وهو يقول :

كلا لا تذهبي يا سندس فإن لدي ما أقوله لك ، فوقفت هنيئة ثم قالت :

ماذا لديك يا فؤاد ؟ قلت :

اني أريد أن أثبت لك برائتي اريد أن تعرفي انني لك انت وحدك يا سندس وانني لم اخنك غمضة عين ، فشحب وجهها قليلاً ثم قالت :

آه وكيف تثبت ذلك يا فؤاد ؟ قلت :

انني أريد أن أحدثك بكل شيء ولكن ليس هنا وعلى قارعة الطريق ، قالت :

إذن اين ؟ قلت :

في أي مكان تقترحين ، قالت :

لا اعرف مكانا مناسباً اقترحه ، قلت :

ما رأيك ان تأتي معي للبيت ؟ قالت بصوت يفصح عن التأثر :

أنا اتي معك الى البيت كما جاءت فدوى ؟! كلا انني لن اتي ، قلت :
لو اتيتي لعرفتي عن فدوى كل شيء ، قالت باصرار :

ولكنني لن اتي يا فؤاد قلت :

وذهابي معك الى القسم غير ممكن بطبيعة الحال وجلوسنا في مكان عام غير ممكن ايضاً لأن لدينا احاديثا خاصة فماذا نصنع إذن ؟ فالتفتت سندس الى بيت العالم الديني وكأنها

تريد أن تقول شيئاً وبقيت ساكته ، فخمنت ماذا تريد أن تقول فسألتها :

ماذا خطر لك ؟ قالت :

لماذا لا نعود الى بيت الاستاذ ؟ قلت :

ونطلب منه خلوة نتحدث بها ؟ قالت :

خلوة ؟ كلا بل نتحدث أمامه اوليس هو أبونا الروحي وباعث النور في حياتنا اذن فلماذا لا نجعله شاهدا على ما نقول ؟ والحقيقة اني ارتحت لهـذه الفكرة ولكنني شعـرت بالحرج لتنفيذها ، قلت :

ولكن كيف سوف نعود اليه وما انصرفنا عنه الا الأن ؟ قالت :

إذن فليس لدينا وسيلة ثانية وليذهب كل منا الى مكانه ، فشعرت بقلبي وهو يهوي خشية ان تتركني قبل ان تعرف براءتي ولهذا قلت لها بتوسل :

انتظري دقائق فقد يفتح الله علينا يا سندس ، فابتسمت بمرارة وقالت :

وهل ترى أن الوقوف على قارعة الطريق مما يستساغ يا فؤاد ؟ قلت :

صحيح انه أمر بعيد عن اللياقة ولكنني سوف أطرق

باب الاستاذ فهو انسان نبيل ولن يحرجنا على أي حال من الاحوال قلت هذا وتقدمت نحو الباب بضع خطوات واذا بالباب يفتح ويخرج منه العالم الـديني ، وما أن رآنـا حتى استغرب وقوفنا هناك طيلة هذه المدة فسألنا باهتمام قائلاً :

ماذا ؟ هل كنتما تنتظران سيارة ؟ وجرأني سؤاله وما بدا عليه من اهتمام بامرنا لأن أقول له بشيء من الارتباك :

الحقيقة بأننا في حيرة يا سيدي فإن لدينا مشكلة خاصة لا نعرف المكان المناسب لعرضها ثم خطر لنا اخيرا ان نختار بيتك فهل تأذن لنا ؟ فمد يده يفتح الباب وهو يقول :

تفضلا وادخلا الى نفس الغرفة التي كنا فيها قبل قليل ولن يضايقكما أحد ، قلت ولكننا أردنا أن نعرض مشكلتنا أمامك لتبارك لنا حلها ، قال :

أما الأن فإن لدي موعدا ولكنني سوف أعود اليكما بعد ساعة أرجو أن تكونا خلالها قد توصلتما الى الحل الصحيح .

* * *

واستقر بنا المقام في الغرفة وهنا كدت ان انكر نفسي فقد وجدتني وفي حال كوني فانيا في حب سندس لا أجرؤ حتى ان امس يدها ووجدت هذا الحب الذي يملأ وجودي كله قد غلف بقدسية كان يفتقدها من قبل ، فأنا الأن اغار عليهـا حتى من نفسي ، وانا الأن اهـاب حتى النظر الى عينيها ، ولا اجرأ حتى عـلى لمس اطراف انـاملها ، وقـد ضاعفت هذه المشاعر من رغبتي فيها وحرصي عليها ، فقد اصبحت احس انها بالنسبة لي امل كبير وكبير جدا علي ان اسعى لتحقيقه واجتهد لنيله وقد كان هذا الاحساس كفيل باعطاء حبي شكلا جديدا يزيده روعة وحرصا واصرارا ، وتمنيت ان ابقى صامتا مندمجا مع مشاعر الحب الطاهرة التي نورت جنبات روحي بنورها المشرق ولكن كانت امامي مهمة اثبات براءتي وغسل الشوائب عن قلب سندس وفعلا فقد بدأت التحدث بحديث تلك الليلة وكانت تستمع الي بهدوء حتى انتهيت وكأن الصدق الذي كان يبدو على كلماتي وعلى تعابير وجهي قد اغناها عن طلب الدليل ولهذا فقد بدا عليها الاقتناع بعد أن انتهيت من الحديث ، وانتظرت ان تطلب مني الدليل ولكنها لم تطلب وقالت بصوت يعبر عن الراحة والفرحة :

الحمد لله ، نعم الحمد لله الذي لم يخيب املي فيـك واعادك الي وانت احسن مما كنت ، قلت :

اراك لم تطالبيني بالدليل على ما ذكرت ؟ قالت :

لقد اقتنعت بدون دليل لأنك مسلم والمسلم لا يكذب ، قلت :

ولكنني اريد ان اقدم الدليل لكي ارتاح انا يا سندس ثم قدمت لها الشريط قائلاً :

هذا هو الشريط الذي يحكي عن موقفي في تلك الليلة والذي كان يعمل داخل المسجلة التي كنت احملها بيدي ، قالت :

كلا انني لا اريد ان اسمعه لكي تعلم بانني ما زلت اثق فيك ، قلت :

إذن دعي الشريط لديك يا سندس ، فاخذته وهي تقول :

استجابة لرغبتك يا فؤاد ، وبعد هذا بدأنا نتحدث فترة عاد خلالها الاستاذ فشرحنا له أمرنا بإيجاز فبارك لنا صلاح حالنا وودعناه وانصرفنا وكلانا يشعر براحة كان قد افتقدها منذ زمان .

* * *

ومرت الأيام ونحن دائبان على مطالعة الكتب التي ذكرها لنا العالم الديني وكنت عند الفراغ من مطالعة كل كتاب ازداد حبا بديني وايمانا به واعجب لنفسي لماذا وكيف كنت ادعي الإسلام دون ان اعرف عنه شيئاً ، اما سندس فكانت قد التزمت بالحجاب بعد ان التزمنا معا بالصلاة ، وبعد أن انتهينا من مطالعة الكتب اتصلنا بالاستاذ نطلب منه موعدا فحدده لنا في اقرب فرصة ، فذهبنا اليه وعندما استقر بنا الجلوس قال :

هل قرأتما الكتب التي ذكرناها ؟ قلنا بصوت واحد :

نعم لقد قرأناها ، قال :

وهل تعرفتما على المثل التي قدمها الإسلام ؟ فأجبنا قائلين :

نعم لقد تعرفنا عليها وتمنينا ان نسير على خطاهم .. فالتفت العالم الديني نحو سندس وهو يقول .

والآن فإذا حصلت لديك القناعة الكافية بحق الإسلام فتفضلي وأسلمي يا بنتاه ، وهنا بادرت أنا قائلاً :

ارجوك يا مولاي ان تلتفت الي اولا فالتفت نحوي قائلا باستغراب :

انت ؟ قلت :

نعم أنا فإن علي ان اسلم اولا فلم اكن اعرف عن اسلامي ما عرفت ولم اكن مسلما الا بالاسم فقط ، فابتسم الاستاذ ونظر الي نظرة عميقة ثم قال :

ولكنك لا تحتاج الى ان تردد الشهادتين يا ولدي ويكفيك ان تكون مؤمناً ايماناً صادقاً بالإسلام وبما جاء فيه ، قلت :

انني مؤمن به كل الإيمان يا سيدي قال :

وهل انت مستعد لأن تضحي من اجل الإسلام ؟ قلت مؤكدا :

نعم وبكل شيء ، قال :

اعطني مثلا عن ذلك ، قلت :

انني الأن لو علمت ان سندس غير مؤمنة بهذا الدين لروضت نفسي على تركها مع انها أحب الي من نفسي ومن الوجود وما فيه ، فعاد يلتفت الى سندس وهو يقول :

وانت يا ابنتي ؟ قالت :

انني اشعر تجاه الإسلام بنفس الشعور فأنا لم أعد ارضى بفؤاد لو لم يكن مسلماً واقعياً مع انه اعز انسان عندي واغلى ما في الوجود لدي ، قال :

إذن فبارك الله فيكما ووفقكما لمراضيه وجعلكما نواة صالحة لجيل صالح خير وبعد هذا شهدت سندس شهادة الإسلام وقدم لها الاستاذ مصحفا كريماً مذهب الحروف كما انه قدم لي علبة من الحلوى النادرة فشكرناه من صميم قلوبنا وودعناه وخرجنا بعد أن ولدنا على يده من جديد ، وبعد فترة تم عقد قراننا وعشنا في اسعد حال . وعندما رزقنا الله ولدا اسميناه باسم العالم الديني تيمنا به ولكي لا ننسى فضله علينا .

* * *

﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ .

صدق الله العلي العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

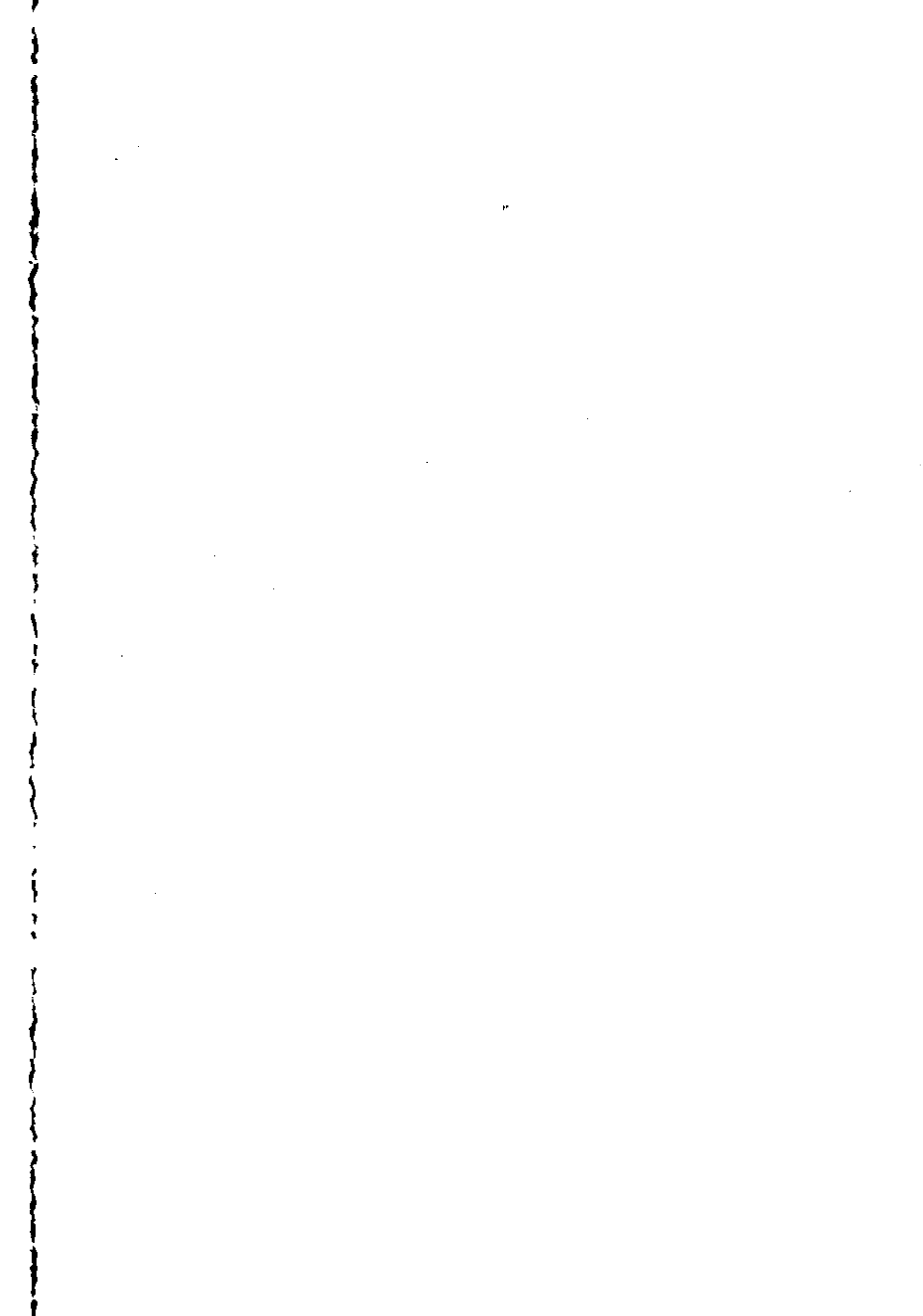
والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .



بنت الهدى

٩

كلمة ودعوة

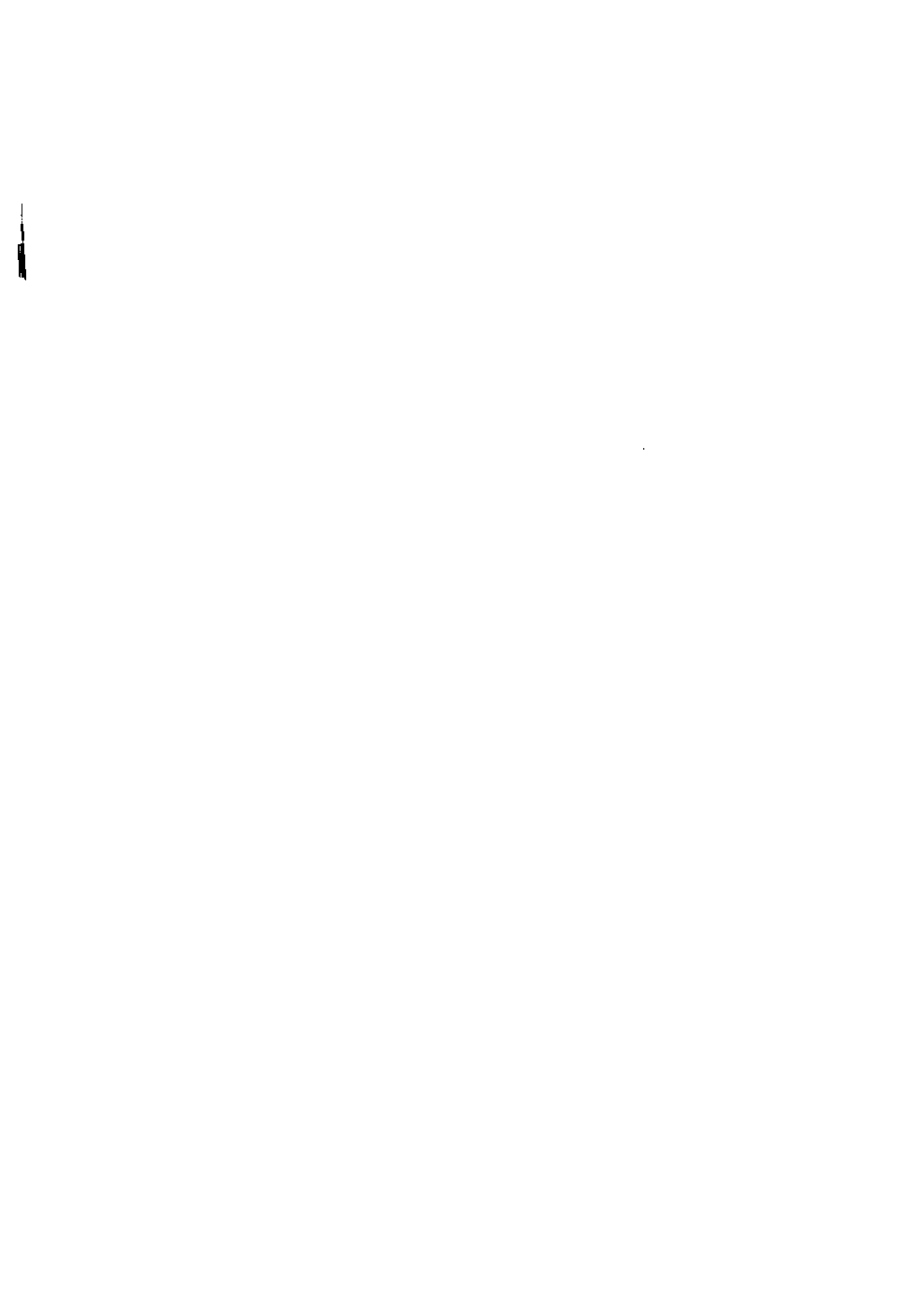


بسم الله الرحمن الرحيم

إلى المجد يا فتيات الهدى
لنحيي مآثرنا الخالدات
ونمضي سوياً إلى غاية
لأجل لقاها تهون الحياة
ونكتب تاريخنا... ناصعاً
مضيئاً بأعمالنا الزاهرات
فأما مقام العلى نرتقيه
وأما قبوراً تضم الرفاة

النجف الأشرف

بنت الهدى



الاهداء

إلى: فتاة الاسلام المفدى...

إلى: من استحالت برسالة السماء إلى سيدة وقائدة ـ بعدما كانت مسودة وموؤودة! إلى حفيدة حاضنات الاسلام خديجة والزهراء وبنت سكينة والحوراء. إلى المتطلعة لحياة سعيدة خيرة تنشد بها سعادة الدنيا والآخرة.

إلى أختي المؤمنة في كل مكان أهدي هذه البضاعة المزجاة والمجموعة الاسلامية، كمذكرة أخوية تزداد بها مناعة ووقاية من السموم الأجنبية الفاتكة، وهي بالوقت نفسه بلسم لجراحها وشفاء لصدرها وقوة جبارة لبعض نقاط ضعفها بعون الله تعالى.

النجف الأشرف **بنت الهدى**



تمهيد

من أنت

كتبت إليَّ أخت مسلمة وسألتني قائلة: لماذا بالله عليك لا تصرحين عن اسمك الصحيح لنعرف من أنت ومن تكونين؟

فإليك يا أختاه جوابي لعلك تعرفين منه من أكون أنا؟.

فأنا أولاً وبالذات أختك المخلصة الدائبة على تتبع آثارك وتعقب خطواتك بدافع الحب والعطف، وأنا أيضاً متطوعة مختارة لأجل قضية الاسلام وحمل مشعله الوهاج ما وسعني حمله وعلى قدر طاقتي وامكانياتي في الجهاد، وأنا أيضاً من أريد أن أجعل من نفسي مثلاً ونموذجاً أجري عليه تجارب أدب الاسلام التي قد يظن البعض الجاهل أو المتجاهل أنها تجارب فاشلة، فأنا أريد أن أثبت بنفسي ما يحدثنا به التاريخ الاسلامي عن أمهات وأخوات لنا في صدر الاسلام ناهضن بثقافتهن أعاظم الرجال مع تمسكهن بالاسلام وتعاليمه.

ولا يخفى عليك يا أخية أني لم أكن لأقول هذا وشبهه لو أنك كنت تعرفين اسمي الصغير التافه، وهذا أحد الدواعي

لعدم ذكري لذلك الاسم الذي أكاد أنساه أنا نفسي فلماذا لا تنسينه أنت أيضاً يا عزيزتي؟.

فأنا في أكثر أوقاتي أصبحت مندمجة معكن ومنصرفة عن نفسي إليكن ولهذا فأنا في أكثر أوقاتي أكون بنت الهدى تاركة ورائي تلك الحروف التي لا دخل لها بما أنا في سبيله.

نعم حروف لا تتعدى الأربعة فيا خطرها إذن؟ وما شأنها بالنسبة للغاية التي أبتغيها؟ فلك أن تتصوريني كما تشائين.

تصوريني سيدة عجوزاً قد اكتمل عمرها وتقدمت بها السنون فهي تضع النظارات على عينيها وتدني النور اليها، أو تدنو هي من النور، ثم تمسك القلم وتقرب نحوها الدواة وتباشر الكتابة اليك، وهي بين حين وآخر تعيد ترتيب أوراقها ثم تضع القلم جانباً برهة لتريح يدها ورأسها، ثم تعود مرة أخرى لتكتب وتستأنف ما قطع عليها التعب. وأخيراً. . . وعندما تنتهي من الكتابة تستلقي على ظهرها لتستريح وهي تشعر بدوار واعياء.

ولك أيضاً أن تتصوريني امرأة قد تخطت الشباب أو كادت قليلة الكلام كثيرة الفكر، لا تكتب إلا بعد طول ترو وتأمل إذا كتبت اقتضبت، وإذا تحدثت اختصرت، ومن رأيها الخاص أن الكتابة لا يمكن أن تجتمع مع أي شيء آخر، فهي إذا كتبت تركت كل شيء، وإذا كان لديها أي شيء تركت الكتابة، وإذا أرادت أن تكتب تنفرد بنفسها في غرفتها

الخاصة فتجمع فوق منضدتها شتى الكتب لتختار من بينها الموضوع الملائم. فهي حريصة جداً على أن لا تكتب إلا في مكانها الخاص، وفي جو ملائم هادىء وهي حريصة أيضاً أن يدل مظهرها على شخصيتها وأن يرسم في خطوط جبينها وحركاتها خطوط أفكارها وميولها.

ولك أيضاً أن تتصوريني فتاة شابة في ريعان الشباب ضاحكة الثغر، طلقة المحيا تندمج في كل موضوع ولا يفوتها شيء مما حولها ترضي كل جليس، إذا كتبت تكتب بسرعة وبدون أي مقدمة، وإذا تكلمت تتكلم بهدوء وتحسب لكل كلمة حسابها ليس عندها أي مكان خاص بها تستنزل فيه الالهام، أينما خطرت لها خاطرة أو عنت لها فكرة سجلتها على ورقة أو أي شيء آخر حتى ولو كان علبة سيجارة، وهي حريصة على أن لا يتأثر مظهرها بأفكارها وميولها وأن لا تكتب أفكارها على قسماتها وحركاتها ولهذا فهي بين ذلك كله فتاة كباقي الفتيات لا تتميز عنهن بشيء إلا بقوة الارادة وسمو الروح، وهي تستطيع أن تتحمل كل شيء، وأن تجاري كل أحد سوى جهل الجاهلات بأحكام الاسلام ولكنها مع هذا لا تكاد تعرف أنها هي تلك الغيورة الصارمة في تعاليم دينها، فان لها طريقتها الخاصة باتباع هذه التعاليم لا يتأثر منها مظهرها تصوري هكذا إذا شئت.

وتصوريني: إذ أكتب إليك أفترش الأرض والحصير

وأجعل من رجلي منضدة أريح فوقها أوراقي المبعثرة لأملي عليها أفكاري! نعم تصوريني هكذا وإذا شئت فتصوريني شابة تشعر بشعورك وتمر بالمرحلة التي تمرين بها وتنظر إلى كل ما تنظرين إليه ولكن من وراء منظار الواقع والحقيقة، لا تغشها المظاهر الخلابة ولا تغريها كل أساليب الاغراء تصوريني هكذا إذا شئت بل تصوري أية صورة من هذه الصور حيث تجديها أقرب إلى فكرك فاختاري منها إحداها، أو اختاري غيرها، وكوني مثلي فأنا لا أنظر إلى الانسان تحت إطار اسمه أو مظهره أو ملبسه، وإنما أنظر إلى روحه وقلبه وأفكاره، وتذكري دائماً وقبل كل شيء أني أخت لك متواضعة وقريبة منك كثيراً وأكثر مما تتصورين، لأن القرب قرب للروح والفكر والرأي:

قد يجمع الرأي أشخاصاً وإن بعدوا
وقد يفرق خلف الرأي إخواناً

وأخيراً فرجائي إليك أن تنسي تلك الحروف القليلة، واذكريني أنا بشخصي الروحي لأكون فخورة بذلك وثقي أن ليس لاسمي أي دخل فيما أكتب وفيما تقرئين، ودومي للمخلصة لك إلى الأبد.

النجف الأشرف **بنت الهدى**

مقَدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة، والسلام على مصدر الهدى والحكمة، «سيدنا ونبينا محمد نبي الرحمة».

وعلى آله ومن والاه من الأصحاب والأمة... ربي اغفر لي ولأخواتي اللاتي سبقنني بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، وثبتنا على دينك.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

أختاه...

ها أنا ذي ألتقي بك في هذه المذكرات لأحدثك حديث الأخت المحبة ولأناجيك مناجاة الصديقة الناصحة، ولأناديك نداء الصاحبة المشفقة فاجهدي بالله عليك يا أخية أن يداعب أذنيك الرقيقتين صدى كلماتي، وأن يصل إلى قلبك الفتي المتفتح للحياة الحرة الشريفة لحن أنغامي.

وكلي أمل وكلي رجاء أن تهبيني شيئاً من ذات نفسك

وفكرك فتقبلي على مطالعة هذه الصفحات شاعرة باحساسك المرهف بأن هذه الكلمات ليست إلا هتافاً أخوياً من أخت مؤمنة ناصحة مشاركة لك في مشاعرك ملتقية معك في عواطفك، فهي تحس ما تحسين به، وتدرك ما تدركينه وتفكر في كل ما تفكرين لأجله من شعب الحياة وألوانها، وقد جاءت لتلتقي معك بروحها وبأفكارها على صفحة قرطاس، وكلها حب لك واخلاص ولا تحمل لذاتك إلا تقديراً واحتراماً.

فاسمعيني إذاً يا أختاه... وأنا أناجيك بلسان الاسلام ديننا المفدى الحبيب، ومبدئنا العادل الخالد.. انصتي لي يا أخية، وأنا أناجيك بلسان القرآن العظيم الذي ارتفع بالمسلمين عامة وبنا نحن النساء خاصة إلى درجة عالية وعالية جداً.

فاسمعيني ما أقول: وغلفي سمعك العزيز عن الكلمات الفارغة الجوفاء، التي ربما تسمعينها من قوم مغرضين متهمين هم أقسى من يكون عليك وأبعد الناس عن رعاية حقوقك وعقباك، أو جهلاء بعداء عن مفاهيم الاسلام وآدابه «فان العلم يدعو للايمان» ـ وهو فريضة على كل مسلم ومسلمة.

فهيا معي إلى در س هذه المفاهيم السماوية الخالدة، وهلمي بنا للتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها لنرتفع إلى حيث شاء الله تعالى لنا من العزة والكرامة والحشمة.

حقوق المرأة في الاسلام

أختاه . . .

مرحباً بك وأنت تلتقين معي على هذه الصفحة لنراجع السير ونتابع السور، ولنرجع بذاكرتنا معاً إلى أزهـر عهود البشرية: عهد الاسلام في فجره المشرق السعيد، لنستقرىء دور المرأة المسلمة في ذلك العصر الذهبي ولنتطلع إلى موقعها في الاسلام ونظامه الاجتماعي.

هذا الاسلام الذي ركز للمرأة كيانها في ذلك العصر الرهيب الذي كانت الفتاة به موؤودة! تسود وجوههم إذا بشروا بها.

نعم في تلك الفترة المتبقية، وبين معترك تلك الأفكار الهوجاء وافانا الله تعالى بـدين الاسلام، فـأشاد بـالمرأة في القرآن، وجعلها في صف واحد مع الرجل، لها ما له وعليه ما عليها، كما جاء في الآية الكريمة: ١٩٥ آل عمران ـ ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى بعضكم من بعض﴾.

وهكذا خلق الاسلام من المرأة المسلمة خلقاً اجتماعياً جديداً، وركز لها مكانتها في الأوساط الاسلامية، وارتفع بمعنوياتها حتى شهدت الحروب ونزلت إلى سوح الجهاد، وكتبت لها أنصع صفحة في تاريخ الأمة الاسلامية منذ عهد خديجة أم المؤمنين أول حاضنة للرسالة المحمدية، واستمر التاريخ يحدثنا عن أمهاتنا اللاتي استنرن بنور الاسلام السماوي فقدمن الضحايا والشهداء من إخوانهن وأفلاذ أكبادهن، ولم يكن المصاب ليزيدهن إلا غيرة وحماساً وتفانياً في سبيل تركيز راية إسلامهن الخالد!

فما أجدرنا اليوم إذ تمتحن رسالتنا الحبيبة بشتى المحن أن نرفع مشعل الدعوة الاسلامية، ونستثمر علومنا وتعلمنا في سبيل الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نذكر دائماً وأبداً أن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أوصانا بطلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة لكي يكون للمرأة المسلمة نصيبها من الدعوة إلى مبدئها ونظامها الخالد، ولكي تكون قادرة على صد هجمات المغرضين، ورد دعايات المرجفين. لا لتتلاعب مع الريح مصفرة أو محمرة شرقية كانت أو غربية ولكن لكي تسير على الطريق المهيع السوي وتتمسك بالاسلام ديناً ومبدأ ونظاماً ولكي تتفهمه لترى فيه كل ما تطمح إليه من تقدم ورقي وازدهار فلا تعود تتطفل على المبادىء الدخيلة والأفكار المستوردة الضحلة.

ومن ثم أرادها أن تتعلم لتعرف جوهر الاسلام على حقيقته الرائعة لا لتتعرف على انحلال الغربيات وتحجر الشرقيات. أرادها أن تكون شعلة من نور سماوي ويحاول المجتمع الفاسد أن يحيلها إلى لفحة من نار أرادها أن تكون ريحانة عطرة ويريدها المفهوم الحيواني أن تغدو كورقة صفراء ذابلة تتلاعب بها الريح خلقها لتكون ربان سفينة فجعلتها الحضارة الكاذبة لعبة ساعة من الزمان خلقها لتصبح مدرسة أجيال! ولكن قوى الشر تجهد لتحويلها إلى آلة صماء...

فإلى الاسلام يا فتيات الاسلام وإلى الدعوة إليه يا حفيدات خديجة والزهراء وبنات سكينة والحوراء فان فيه الأمن والأمان وهو أعذب معين ننهل منه وأصفى غدير نرد فيه ولن ينخذل أو يرتد (فاشلاً) من يدعو إليه - وإليه فقط - أبداً فقد مرت على اسلامنا الحبيب أهوال وأهوال على مر العصور، ومنذ أشرق نوره في مكة (أم القرى) ولكنه خرج منها جميعاً أوسع دعوة وأقوى حجة وأصلب عوداً!

فالله قد وعدنا النصر، والله لا يخلف الميعاد.

والسلام على من اتبع الهدى.

تقصير المسلمات

جمعتني الظروف مرة مع بعض فتيات من بنات الاسلام وهن لا يحملن من الاسلام إلا اسمه، ولا يعرفن منه شيئاً أللهم إلا اسم نبيهن صلى الله عليه وآله لا أكثر ولا أقل! ولذلك فلم يسترعين انتباهي من قريب أو بعيد فما علي منهن، وكيف لمثلي أن تتسلل إلى حيث قد تسلل قبلها الشيطان ولكن بعض كلماتهن استرعت انتباهي بصورة خاصة جعلتني أحس بمرارة ما فوقها مرارة فقد كن يذكرن في حديثهن الراهبات المسيحيات، ويشدن بتمسكهن بالتقاليد الدينية عندهن، ويذكرن لباسهن ومسوحهن بكل إكبار واجلال واعجاب في الوقت الذي ينظرن فيه إلى المتمسكات بالاسلام على أنهن شبح رجعي مخيف!فلماذا؟وهل هذا يرجع لشيء سوى لتقصيرنا نحن المسلمات ولتقاعسنا عن التبشير بديننا والدعوة إليه وعلى وجهه الصحيح؟ وهل هذا لشيء إلا لانطوائنا على أنفسنا كل يعمل على شاكلته؟ ناسين أن من ورائنا نشء يجب أن نغذيه بمعتقداتنا، ونفهمه معالم ديننا الواضح المستقيم، ولكن الراهبات المسيحيات لا يفتأن يبشرن

ويدعون ومن ورائهن قوى تبشيرية هائلة تجند لدعوتها القوة، والمال، والجاه وكل شيء! والراهبة لها نظام خاص ولها مسؤولية معينة تعرف منها مواهبها، وتدل على واقع شخصيتها! على العكس تماماً مما نحن فيه! فنحن أما خائفات جبانات، وإما جاهلات عاجزات، وأما مسالمات خجولات، وأما مقيدات محكومات هذا عدى من خالفت الطريق وانحرفت عن ركب الدعوة. فنحن لو لم نكن على هذا الحال من الفرقة، والتشتت والغفلة، والجهالة واختلاف الآراء والأهواء، وتضارب الأفكار والميول، لو لم نكن هكذا لاستطعنا أن نحفظ مكاننا وكياننا كمثل أعلى للمرأة المسلمة المتمسكة بالاسلام، ولتمكنا من فرض شخصيتنا على بنات جنسنا جميعهن ولما تركنا بنات الاسلام ينجذبن إلى قوة شخصية الراهبات ويعجبن بصمودهن وثباتهن فنحن فينا من تستطيع أن تقهر العالم بصمودها! وفينا من تتمكن أن تقف أمام كل تيار رافعة الرأس راسخة القدمين، واثقة من الفوز الأخير، ولكن من أين لأمثال أولاء الفتيات أن يتعرفن على هذه وأشباهها؟ وهن كثيرات والحمد لله! نعم من أين لهن أن يعرفن ونحن على ما عليه من فرقة وعدم تنظيم ولهذا فلن نتمكن أن نصل من دعوتنا المستوى الذي نريده لها وتستحقه وكيف لنا أن نرفع صوتنا عالياً على كل صوت إسلامي وغير اسلامي ما دمن بنات الاسلام جاهلات بنا غافلات عنا؟! فإلى متى نظل على ما نحن عليه من غفلة وسبات، أما آن لنا أن نفيق؟!

ضحية المجتمع

أختاه..

دعيني أحدثك اليوم عن واحدة من أخواتنا المسلمات، وهي صديقة حميمة لي كانت تجمعني وإياها صلة وثيقة تتعدى القرابة والصداقة! ولهذا فقد عرفتها عن قرب وعن قرب جداً فرأيتها مثال الفتاة الطيبة الطاهرة فضميرها ناق كالبلور، وفؤادها خال من كل عوامل الحقد والخداع، وفكرها صاف كصفاء صفحة السماء، وروحها عذبة رقراقة كالزهرة المتفتحة في الأكمام! لم تكن تظن بأحد السوء ولم تكن تضمر سوء تجاه أحد. وأكاد أتمكن أن أقول أنها لم تكن تعرف الحقد والبغضاء بمعناها الصحيح! كانت تخدعها البسمة وتسحرها الكلمة العذبة. وتتملكها عبارة واحدة محببة كانت تثق بكل رفيقاتها ثقتها من نفسها تماماً! هي وفية مخلصة تبذل يد المعونة لكل محتاجة من اخواتها المسلمات. كانت تنتهز الفرصة للمشاركة بأعمال الخير في نطاقها الخاص وعلى القدر الذي تستطيعه. كانت متواضعة في سلوكها

وتصرفاتها وإن تكن في الواقع جديرة بكل تكبر واستعلاء إذا كان التكبر والاستعلاء دليلاً على سمو المكانة. أو أصالة المنبت. فان لها من أصالة المنبت ما تتمكن أن تباهي به النجم في السماء! كانت تعطي من نفسها أكثر مما تأخذ بكثير، فهي وبدافع من غريزتها الطاهرة كانت تشعر أن الحب شيء مقدس لا يساوم عليه ولا يقابل بمثيل. كانت تحسن حباً بالاحسان واشباعاً لرغبتها في مساعدة الغير وثقة منها أنها بهذا ستكون الرابحة في الدارين... وعلى كل حال فقد كانت فتاة مثالية قل أن رأيت لها مثيلاً في بنات حواء!.

ثم حدث أن ابتعدت عنها مدة من الزمان لم أتمكن ابانها من مطالعتها ومراجعتها. ثم عدت ولقيتها مرة ثانية وكانت قد بلغت في شبابها قمة الفتوة وريعانها شباب ناضج وعقل مكتمل ورأي مستقيم نعم رأيتها غير التي عرفت من قبل! وقد طالعني منها أول ما طالعني منظارها القاتم الذي أصبحت لا ترى الدنيا إلا من ورائه. ثم عرفت منها أنها وفي هذه المرحلة الدقيقة الحساسة من العمر قد اكتشفت في مجتمعها نواح كانت تجهلها منه. وأطلعت على مفاهيم خاطئة لم تكن تخطر لها على بال. وقد تعرفت إلى كل هذا عن طريق غير مباشر فهي ما سمحت لنفسها يوماً أن تنزل عن أفقها العالي ولكن وعلى أي حال عرفت كيف يقابل الوفاء بالخيانة والحب بالحقد والنصح بالخديعة واكتشفت كيف أن المفاهيم الخيرة تنعكس في نظر المجتمع إلى مفاهيم عدائية! وكيف

تنعكس المثل وتقابل بالنقيض! فهي لم تستشعر في يوم من الأيام أن هناك فيمن حولها من يفرق بين المحسن والمسيء في كل ظرف وحين خلافاً لما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام (لا تجعل المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهدا لأهل الاحسان بالاحسان وتحريضاً لأهل الاساءة على الاساءة) وهكذا ولهذه النواحي وأشباهها أخذت تتبرم بالحياة وتسعى إلى العزلة والانفراد وتراب بعواطفها وألطافها على أن تضع الأشياء في غير موضعها اللائق بها. وقد تبدل لهذا سلوكها وتغيرت طباعها وفقدت تلك الراحة النفسية التي كانت تتمتع بها من قبل! وعلى هذا الوضع رأيتها كما قدمت فما رأيك بالله عليك يا أختاه؟ أليست هذه المسكينة ضحية من ضحايانا نحن بنات حواء؟ نحن اللواتي لا نفتأ نشيع في المجتمع روح النفرة والبغضاء. والحسد والصدأ لا يطيب لنا السمر إلا بأكل لحوم اخواتنا بالغيبة. ولا نسمع كلمة عن أحداهن إلا وحسبنا لها سبعين حساباً كل واحد أسوأ من الثاني! فإلى متى وحتى متى نبقى سائرات في هذا الطريق الشائك المعوج؟ أما آن لنا أن نستفيق من سباتنا فنعقم نفوسنا ونطهر سريرتنا؟ أما آن لنا أن نثبت بأن المرأة المسلمة يمكن أن تكون قدوة لغيرها من النساء وأنها متبوعة لا تابعة. أما آن لنا أن نميز الخبيث من الطيب والعمل الصالح من العمل الفاسد حتى لا نخسر أرواح فتياتنا الطاهرة ونحافظ على سريرتهن النقية. وأخيراً فلا يخفى أني أنا أيضاً واحدة

من بنات حواء مثلي كمثلهن وعلى هـذا فلا مؤاخـذة من أخواتي ولا عتاب. ثم سألت صاحبتي هذه قائلة: هل ندمت يا عزيزتي على ما قدمت يداك من احسان وما وهبه قلبك من حب؟ وهنا شعرت أن صراعاً عنيفاً قام بين عقلها وعاطفتها وكنت آمل أن يتغلب العقل فترد علي (لا). ولكنها وكأني بها لم تتمكن من مقاومة أي من الدافعين فسكتت ولم ترد علي فأجبت أنا بدلاً عنها فقلت: قولي لا يا عزيزتي فان عمل الخير في نفسه شيء جميل، وصفاء النفس بذاته شعور مريح، فلا تأسفي على شيء منهما ويكفيك سعادة أنك تطالعـين صفحات ماضيك فترينها بيضاء ناصعة خالصة من دن ؛وب فقولي: أني لست نادمة يحفظ الله لك أجر ما فعلت فتربحي بذلك الربح الكثير، لا تندمي يا صاحبتي ولا تيـأسي فما زالت الدنيا في خـير، ولا يزال هنـاك من يحفظ الجميل ويقـدر الفضل، ولهذا فأني أرجوك بل ألح عليك أن لا تدفعـك الخيبة من المجتمع إلى الحقد عليه. يجرنك الفشل في عمل الخير إلى الزهد فيه، بل استمري على السير في طـريقك الواضح، وحاولي أن ترفعي عن عينيك هذه الغشاوة القاتمة لتعودي كعهدي بك فتاة طيبة رقيقة مرهفة، حلقي في سماء الكمال ولا تهبطي إلى حضيض النقص، فان اهم ما ينقص من المرأة ويحط من مكانتها هو الحقد والظن السـوء، فلا تحقدي وتظني بأحد السوء احملي أختك على سبعـين محمل خير، وسوف ترين راحتك النفسية، وقد عادت إليك كأروع

ما تكون!! وهكذا رأيت أن أحدثها أشباه هذه الأحاديث ولم أفارقها إلا وأنا على ثقة أنها سوف تكون في مستقبلها كماضيها، ولكن ما يدريني ولعل لبنات حواء الأخريات تأثيراً معاكساً يعود بها القهقرى مرة أخرى عصمها الله وخرسها منهن. ولا بد أن أراجعها مرة ثالثة إن آجلاً أو عاجلاً إن شاء الله.

يا فتاة القرآن

أختاه،

ما أسعدني وأجدرني بالفخر وأنا أراك معي في حقلنا هذا بروحك الفياضة وقلبك الفتي يا بنت الاسلام العظيم. ويا فتاة القرآن الخالد ويا نبعة المجد، وزهرة العز الشامخ، وسليلة الجهابذة من الآباء والأجداد، نعم معي في هذا الحقل لنمضي في سيرنا نحو الامام، لا يعيقنا كسل ولا وهن، ولا يقعدن بنا ملل أو سأم فنحن مع الله، ونور الله لا يطفأ ونحن في سبيل الحق، حتى نصل المرفأ الأمين وليس الدرب ببعيد بل أنه سهل يسير لا يتطلب إلا صموداً كصمود الأولين، ودعوة حسنة إلى ديننا الحبيب، فاسلامنا ـ والحمد لله ـ بخير، وفيه من الطاقات ما يصمد بها أبد الدهر.

ولكننا نحن، نحن الذين جرفتنا الحضارات المختلفة، واندفعنا في تقليدنا الأعمى لكل ما هو أجنبي غريب، فنسينا أن لنا من مبدئنا السامي ما يرتفع بنا عن وهدة التطفل، وأن فيه من الامكانيات الاصلاحية ما يصوننا عن التذبذب بين

الأفكار المستوردة والاصلاحات المعكوسة التي يوحيها الينا الاستعمار بشتى أنواعه وأشكاله والتي لا يراد منها إلا تفسيخ مجتمعنا الاسلامي، ليسهل النفوذ اليه من ثغراته المفتوحة، ومن جوانبه المفككة.

فالمجتمع ـ أي مجتمع كان ـ لا يمكن أن يتركز إلا على روحيات أفراده ومعنوياتهم، فإذا سمت الروحيات سما المجتمع، وإذا ارتفعت المعنويات ارتفع واعتصم من الادران، وهذا ما يريده الاسلام للمجتمع الاسلامي، حياة حرة نظيفة كلها صدق واخلاص وتعاون ووفاق لا تشوبها البغضاء، ولا يعكر صفاءها الحقد والخداع، حياة طيبة طاهرة يكون المسلمون فيها إخواناً والمسلمات أخوات تسودهم المحبة وتظلهم راية القرآن قلوبهم واحدة، وأيديهم واحدة، واتجاههم واحد.

نعم هذا الذي يريده الاسلام للمسلمين، وهذا ما لا يريده أعداؤه والحاقدون، بل وهذا هو ما يرغب الاستعمار والطامعون لأنهم يريدون أن يسيطروا علينا تحت ستار من التضليل والخداع ملون بألوان حضاراتهم البراقة ـ لننجرف وراءهم بدافع التجديد والتبديل!.

وفعلاً فقد انجرفنا بقصد أو بدون قصد، مع كل الأسف. فالواحدة منا نحن المسلمات تدخل معاهد العلم لتتعلم وهذا ما يرحب به الاسلام بل ويدعو إليه... ولكن

في نطاق من الحشمة والفضيلة طبعاً، فلا بد للمرأة أن تتعلم لكي تسمو بالنشء الذي تعده للغد. ولكي تكون جديرة بتحمل أخطر مسؤولية في المجتمع، لكونها المدرسة الأولى في الحياة إذن فلتتعلم المرأة المسلمة ولتجتهد في طلب العلم أيضاً، فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (أطلب العلم ولو في الصين) فالعلم أينما كان هو العلم لا يتحول ولا يتبدل ولا تتغير نتائجه ومعانيه، ولذلك فنحن نرى أن كثيراً من علماء العالم قد توصلوا إلى غايات واحدة في اكتشافاتهم العلمية، ولكل منهم فكرته في الحياة، إذن فقد يجمع العلم أشتاتاً متباينة وقد تتفق عليه أفكار متضاربة... ولكن الثقافة، هذه الثقافة الأجنبية التي غزت بلادنا ظلماً وجوراً، والتي لا يمكن لمتبعيها إلا الابتعاد عن روح الاسلام ومعانيه! هي نقطة الداء في حياتنا الاجتماعية والفكرية، فالعلم شيء والثقافة شيء آخر، وفي عدد قادم سوف أوافيك يا أختاه، بشرح واسع للفرق بين المفهومين وموقف الاسلام من كل منهما إن شاء الله وإلى اللقاء.

منزلة المرأة الصالحة
عند الامام الصادق عليه السلام

أختاه . . .

دفعتني رواية مقدسة وردت على لسان الامام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أن أعود فألتقي بك ثانية بعد أن كنا افترقنا فترة كنت فيها تلك الفضولية الملحاحة المستطلعة عليك أنت وحدك لا غير وكنت أتفاءل أيضاً بأنك سوف تشبعين فضولي بما سوف تطالعين به من إنتاج أدبي اسلامي، تتبين فيه كفاءتك في هذا الميدان، ولكنني ومع الأسف لم أزدد إلا فضولاً، ولم أكتسب إلا حسرة وألماً؛ فكلما قلبت صفحات وطالعت وريقات افتقدت صوتك بين الأصوات! ولم أكد أنحس مكانك في مفترق التيارات، ولست ادري وايم الحق ما الذي حدا بلبوات الاسلام الى هذا السكوت المشين وألعي أعيذهن منه!؟ أو لتجاهل بعمق رسالتهن في الحياة؟ أو الجهل لخصوصيات اسلامهن لا قدر الله؟ أو لدواع أخر يمليها عليهن مجتمع فاسد في إفراطه أو تفريطه؟ هذا المجتمع الذي ندعو إلى اصلاحه اصلاحاً جذرياً كي لا يكمم أفواه

النساء بأكمام التحلل الأجنبي أو التعنت الجاهلي والله ولي التوفيق... والآن وبعد أن أستميحك العذر إذ كنت قد أسأت إلى مشاعرك العزيزة فما أنا إلا أختك الناصحة التي تأبى أن تكون دائماً على هامش الحياة مدعوة وليست بداعية.

أعود الآن إلى الرواية التي جاءت على لسان الامام العظيم أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام إذ يجدد فيها مفهومه عن المرأة الصالحة فيقول: (المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح) وهو يقصد بها أن يقرر بأن الانسانية في نظر الاسلام لها قيمة واحدة، وميزان واحد للكرامة ـ بقطع النظر عن كل الصفات الطبيعية التي يتميز بها الأفراد ـ وهذا الميزان الوحيد في نظر الاسلام هو الصلاح والتقوى، فمهما كانا متوافرين كانت الانسانية أفضل وأكمل، ومهما ابتعد الانسان عنهما خسر بذلك كرامته في مفهوم الاسلام كائناً من كان، فلا الرجل بما هو رجل يفضل المرأة، ولا المرأة بما هي مرأة تفضل الرجل في حساب الانسانية العامة، بل قد تكون المرأة الواحدة خيراً من ألف رجل إذا كانت صالحة! ولا يتعارض هذا مع الوظائف التي وزعت على الرجل والمرأة في الأسرة الاسلامية، ولا مع القيمومة التي أعطيت للرجل على المرأة فيها، فان هذه القيمومة التي اضطلع الرجل بموجبها بادارة معاش البيت والحفاظ على وحدته لا تعبر إلا عن توزيع طبيعي للوظائف في مجتمع صغير وهو الأسرة المتكونة من أب يعيل ويحافظ، وأم تلد وتربي، فهي ليست قيمومة أفضلية

وإلا لكان كل رجل قيماً على المرأة التي يعايشها وإن كانت أمه وأخته وليس الأمر كذلك. هذا بعض ما عناه الامام عليه السلام في قوله: (المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح) والصلاح هنا معنى عام يمتد إلى كثير من النواحي والمجالات فصلاح المرأة لنفسها هو تطبيقها لأحكام الاسلام على سلوكها الخاص. فصلاح المرأة لبيتها أن تشيع روح الاستقرار والسعادة، وتكفل أولادها إذا كان لها أولاد كفالة تتيح لهم اكتساب الشخصية الاسلامية الحقيقية وتبث في نفوسهم بذور الورع والتقوى والأدب، وصلاحها للانسانية أن تساهم في الحقول النافعة التي لا تتعارض مع وظائفها الأولية. وأهم تلك الحقول هو تبني الدعوة إلى أشرف مبدأ عرفته الانسانية ألا وهو الاسلام.

فإلى هذا الصلاح يا أخواتي المسلمات، إلى الصلاح والاصلاح في مختلف الميادين والمجالات لتكون الواحدة منكن خيراً من ألف رجل غير صالح، وألف امرأة غير صالحة والسلام عليكن وعلى من اتبع الهدى.

لماذا ابتعدنا عن الاسلام

أختاه . . .

أراني حريصة في لقائنا اليوم على أنْ أوجه ندائي الأخوي هذا إلى كافة المسلمين بدافع من الغيرة الاسلامية والأخوة الايمانية، فأقول: يا أيها الأخ المسلم الكريم لقد أصبح الاسلام وديعة عندك وأمانة لديك وقد حرصت الرسالة الاسلامية على أن تكون داعية لها وممثلاً لنواميسها ومثلها، ومرآة لاشعاعها الخالد وكمالها المعجز وقد شملك النداء السماوي (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) والرعاية تختلف باختلاف الظروف والحيثيات، فاجهد أن تكون نعم الراعي الذي يمثل جوهر الدعوة الاسلامية الخالصة ولا تنحرف بها عن طريقها المعبد، ولا تفقدها روحها المعنوية التي عجزت القرون، واتعبت الأيام، واحرص على أن لا تضيف اليها هوامش من فكرك الخاص، أو عواطفك المحدودة فأنها هي الرسالة السمحاء التي جاءت لاسعاد البشرية جمعاء، وأتت لترفع الثقل المقيت عن كواهل الانسانية عامة وعن المرأة خاصة!.

فقد انبثقت رسالة محمد (ص) لتمحق الحيف وتـزيل الضيم وتفك القيد الأثيم عن مخذول ومظلوم، وقد شملت اصلاحاتها المرأة المسلمة التي كانت رهينة لعادات همجية، وقوانين جائرة، وتحت سجن من القيود الظالمة الجاحفة. فتعالى صوت المصلح الأول (ص) مدوياً في الآفاق: (ان الله لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى بعضكم أولياء بعض) وتردد صوته صلوات الله عليه وآله (النساء شقائق الرجال) فعند ذلك فقط نظر المجتمع إلى المرأة نظرته الى مخلوق بشري له مكانته اللائقة في الحياة! وله قدسيته في المجتمع الانساني! وبوسعه أن يفيد ويستفيد. نعم لم يحملها الاسلام أعباء الجاهلية ولم يفرض عليها قيوداً قاسية، ولكنه صانها باكرام من الحجاب يقيها شر الذئاب وجعلها درة مصونة في الأصداف. والأكرام لا تمنع انتشار عبق الزهور، والصدف لا يحجب تلألؤ الدرة البيضاء. وكذلك الاسلام الحبيب، فلم يفرض على المرأة المسلمة قيوداً تسحق شخصيتها كما تفعله القوانين الجائرة التي ترجع بكيانها القهقرى إلى عهد الظلام والجهل، وقد قال حامل رسالته المقدسة (ص) وما ذلك إلا طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ليعدها كما أعد الرجال للدفاع عن رسالتهم المباركة وليمكنها من تبيان ما خفي على الجهلاء من كمال الشريعة الاسلامية فما الذي يدعوكم يا أنصار المرأة المتحررة إلى مثل هذا الضجيج؟ وإلى المتزمتين أوجه خطابي: لماذا

فرضوا على المرأة قيوداً وحدوداً لم ينزل الله بها من قرآن، فالضغط يولد الانفجار، والتزمت يدعو إلى النقمة على جميع الأمور حتى الشرعية الضرورية، وقد ينأى بالمرأة عن تعاليم الاسلام الحقيقية لا سيما إذا كانت ناشئة فتية، وفي هذا ما فيه من أخطار تواجه فتياتنا المسلمات! فان العقيدة أي عقيدة كانت لا تقوم إلا على أساس من الفهم والحب والمرونة لكي تكون راسخة ثابتة لا تطيح بها زوبعة. ولا تزعزعها كلمة سامة مغرية. فالله الله يا اخواني المسلمين لا تدخلوا في روع فتياتكم انهن أسيرات من جراء كونهن مسلمات متمسكات بتعاليم محمد الرسول العظيم (ص) فينظرن إلى المنحرفات المتحللات نظرة الأسير إلى الطلق فان الاكثار في الشيء صنو الاقلال منه. والافراط توأم التفريط. فاسمعني يا أخي المسلم ولا تتحكم مع ميولك. ولا تندفع وراء أهوائك تحت ستار من الدعوة إلى تطبيق الاسلام فالاسلام سمح سهل لا يريد للمرأة إلا العزة والكرامة والمكانة اللائقة. فالاسلام مثلاً يفرض على المرأة إطاعة زوجها وأبيها في بعض الأمور التي لا تتلاءم مع مصلحتها العامة. ولكنه لم يجعل منها ألعوبة في يد الرجل يفرض عليها سيطرته فرضاً بدافع من قرابة أو سمو مكانة فيتحكم بتصرفاتها وحركاتها وسكناتها، وبهذا تزهد المرأة حتى في الطاعة المفروضة للأزواج والأباء. فرجائي منك يا أخي المسلم أن تبذل قصارى جهدك لبث روح الاسلام الحقيقية في نفوس فتياتنا الحبيبات.

رأي المرأة في الزواج

أختاه . .

ضمني وبعض بنات الاسلام مجلس جرنا الحديث فيه إلى حقوق المرأة في البيت والمجتمع ومدى تركيز كيانها في الأوساط المسلمة فإذا بأحداهن تنبري لتقول بحرارة وألم أن المرأة في الاسلام مهضومة الحق، مهيضة الجناح، لا تعدو أن تكون سلعة في أيدي الرجال تتقاذفها أهواء الآباء والأزواج فهي: أما أن تباع للزوج بيع الاماء أو تقدم له هدية متواضعة كعلبة من الشوكولاته!

وكنت استمع إليها وهي مندفعة بثورتها الظالمة التي قامت على مفهوم خاطىء وتولدت نتيجة إهمال المسلمين العارفين بحقيقة الاسلام لاظهار صفحته المتبلورة البيضاء وبعد ان أتمت ترجيع كلماتها التي أخذتها عن ألسن السوء بدون وعي أو قصد قلت لها وكلي اشفاق على هذه الزهرات اليانعات التي أطاحت بها الريح السامة الى حيث الوحل قلت: على مهلك يا صاحبتي انك المسكينة دعيني

احدثك حديث الاخت الناصحة التي لا تريد لك وأمثالك الا الخير والصلاح والعزة والكرامة فما أنا الا انثى مثلكن أشعر بما تشعرن به وأحسن ما تحسنه، وطالما ثرت لكرامتنا المضاعة على أيدي رجال ظلموا الاسلام حقه، فانتسبوا اليه وهو منهم براء ! وما أكثر ما نقمت على الأوضاع الهمجية التي سيطرت على بعض اخواتنا الضعيفات! هذه الاوضاع التي لم ينزل الله بها من سلطان، والتي خلقها بعدنا عن روح الاسلام وتعاليمه الحكيمة. نعم ثرت كما تثورين، واندفعت وراء غضبي كما تندفعين، ولكن لا على الاسلام الحبيب ولا على رسالته القدسية. بل على المجتمع الفاسد وعلى ابناء وبنات الاسلام العاقين له، المارقين عن مثله وتعاليمه، والذين كان سلوكهم المعوج مبعثا لهذه الصيحات الباطلة، لاستبدادهم بمصير الفتيات وفرض سلطتهم القاسية في تقرير مستقبلهن على ميولهم ورغباتهم الخاصة! وحسب مصالحهم الذاتية دون استشارتهن ؟.

ولكن الاسلام يا اختاه مبدأ زاخر بجميع ما تصبو اليه النفس البشرية، حامل في تعاليمه شتى أنواع السعادة والهناء، وقد انبثقت رسالته لتمحق الظلم لا لتظلم، وجاءت لعقاب الظالم لا لخلق جيل ظلوم وقد حمل - في أكثر ما حمل - الخير للمرأة المسلمة التي كانت من قبل ضائعة بين أنياب الجاهلية ! والعادات القبلية في الشرق ! والقوانين الزمانية في الغرب ؟ حتى قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قولته

الخالدة: (النساء شقائق الرجال). وقد أعطاها الامكانيات التي تخولها حفظ جميع حقوقها الاجتماعية في جميع الميادين التي تتفق وكيانها الخاص! ولنضرب لذلك مثالا بالامر الذي ذكر، في مطلع حديثك وهو حريتها في اختيارها الزوج:

فقد ورد عن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه وقد ذكر حديث تزويج فاطمة (ع)، وانه طلبها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا علي انه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهية في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج اليك، فدخل عليها فأخبرها وقال: (ص) ان عليا ذكر من أمرك شيئا فما ترين؟ فسكتت، ولم تول وجهها، ولم ير منها رسول الله (ص) كراهة فقام وهو يقول: (سكوتها اقرارها) وقد جاء في الحديث عنه: صلى الله عليه وآله وسلم (تستأمر البكر ولا تزوج الا بأمرها)، وقد جاءت فتاة اليه (ص) فقالت: (ان أبي زوجني من ابن أخ له ليرفع خسيسته وأنا له كارهة) فقال (ص) لها: أجيزي ما صنع أبوك: لا رغبة لي فيما صنع أبي قال صلى الله عليه وآله وسلم: فاذهبي فتزوجي من شئت فقالت: (لا رغبة لي عما صنع ابي الخ).

وقد استشار رجل الامام موسى بن جعفر عليه السلام في تزويج ابنته من ابن أخيه فقال: «افعل، ويكون ذلك برضاها، فان لها من نفسها حظا». نعم هذا هو الاسلام

بمعناه الصحيح. وهذه هي احكامه العادلة التي ارتفعت بالمرأة الى افق الحرية والكرامة في عصر ما كان يقيم للمرأة أي حساب، ولكن الذنب ذنبنا نحن المسلمين! بعد اذ انحرفنا عن جادة الاسلام، وتجاهلنا ان لنا في اسلامنا حقوقا قلما ظفرت بها حضارة من الحضارات وحتى الآن والجرم جرم الذين عرفوا الحق ولم يظهروه، وسكتوا عنه وتركوكن لابواق الدعايات المغرضة، وللتعاليم العدائية التي تصل اليكن تحت مسوح التمدن والتحضر ولكن لي وطيد الأمل انكن سوف ترجعن الى أحضان الاسلام الرحب ان عاجلا او آجلا ان شاء الله.

بعد ان تفشل جميع الانظمة عند التطبيق، وسوف تجدن في نظام الاسلام نظاما مثاليا خالدا يحقق للمرأة سعادتها وكرامتها، وقد وعدنا الله نصره والله لا يخلف الميعاد.

في عيادة الطبيب

اختاه . . .

ها انا ذي التقي معك وقد هزتني حادثة مررت بها اذ زارتني احدى اخواتي المسلمات، وهي شاكية من ظلم بنات الاسلام المتطرفات مستعبرة من ضلالهن، فقد جمعها مع بعضهن مجلس (في عيادة طبيب) في بغداد أجبرت على المكوث فيه مدة طويلة للانتظار مكنت لجاراتها المخدوعات ان يكشفن لها عما آلت اليه روحياتهن، وعما انحططن له من درك مظلم مخيف، فهن يستهين بالمثل، ويكفرن بالقيم، ويرين فيما كانت قد التزمته الاخت المؤمنة من أحكام الاسلام اساليب رجعية جاهلية، وقد تكشفن لها على حقيقتهن المرة فاذا هن جاهلات يدعين المعرفة بلا معرفة تائهات ويتظاهرن بالهدى والرشاد وصاحبتنا المسلمة في كل ذاك تدافع وتجادل ما وسعها الدفاع ولكن أنى لصوتها أن يصل الى مسامع غفلت عن الحق وصمتت عن الحقيقة، وأنى لكلماتها ان تخترق الحجب السود التي حجبتهن عن الصواب والتي حالت بينهن وبين الهدى، وكيف لصوت ان يعلو على ابواق جهنمية ترجع ألحانها على أوتار القلوب الفتية وتسكبها

في الآذان الغافلة التواقة؟ وكيف لكلمة واحدة أن تقف امام التيار الخاطىء الذي جرف الكثيرات من بناتنا البريئات؟ وهل يمكن لصرخة مؤمنة ان تكشف الغبار الأسود الذي غلف المجتمع ولونه بلونه القاتم المغبر؟ فلسنا أول ضحية من ضحايا المجتمع العليل الذي تجرد عن قيمه ونأى عن قوانينه وأحكامه ولن يصلح المجتمع هذا، ولن يتركز كيانه في الوجود الا اذا رجع الى صوت الاسلام في ندائه الملائكي وتمسك بدستوره السماوي وتباعد عن التبعية المبغضة لكل ما هو اجنبي غريب. فهل يمكن لامة أيا كانت ان تتقدم وتتحضر بحضارات اجنبية لا تمت لها بصلة لتكون بذلك متقدمة، فانها لم تتقدم خطوة، ولم تزدهر لحظة، وانما الافكار الخارجية والدعايات الاجنبية هي التي تقدمت. وازدهرت على حسابنا نحن اعداءها الحقيقيين. فيا حرقة قلبي على زهرات يانعات نالت منهن الافاعي فشوهت أريجهن العذب الفواح، ويا أسفي على لبوات خدرهن الافيون الاستعماري بشتى أشكاله فأطفأ فيهن شعلة الاسلام، وأفقدهن نور الرشاد، وتصرف فيهن تصرف اللاعب بالدمى لا حول لهن تجاهه. ولا طول في الوقت الذي قد غنين فيه بما لهن من مبدأ زاخر بالحضارة السامية، وعامر بالاصلاحات الجذرية حاملا لهن السعادة والعزة والكرامة، واستطردت صاحبتنا المسلمة كلامها فقالت: انهن قلن لي: انك رجعية قديمة متوحشة فأجبتها: لا عليك يا اخية فهذه أنغام سمعناها وسنسمعها أيضا ما دام

المكروب الاجنبي يسري في عروق مجتمعنا المسكين، وما دمنا متمسكين بمبدئنا الحق داعين الى نهجه القويم. ونصيحتي لك يا أخية ولجميع أخواتنا المسلمات: ان لا تقعد يكن هذه التخرصات ولا تثنيكن أمثال هذه النغمات المشؤومة بل تزيدكن عزما وقوة ، وشدة ومضاء، لتثبتن لهن صواب نهجكن وخطأً سيرهن المتعرج ذات اليمين واليسار ، وأوضحن لهن أنهن هن اللواتي رجعن بسلوكهن الى أبعد عصور الجاهلية حيث لا أحكام ، ولا قوانين ، ولا مثل ، ولا مفاهيم ، المرأة والرجل والحيوان في عرفهم سواء ، غايتهم الماء ولقمة العيش !

وأما نحن فسنصل الى حيث ما وعدنا الله من نصره (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

بنت الهدى

ذكر الله في الليل والنهار

سألتني واحدة من الاخوات المسلمات عن معنى ما جاء في دعاء كميل بن زياد (رض) وهو من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام كقوله: (يارب أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك واسمائك ان تجعل اوقاتي في الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة).

وقالت: هل أن هذا منسوب وغير صحيح ؟ او ان البشر جميعا قد خرجوا عن هذه القاعدة ؟ فليس فينا من يتمكن ان يقتصر في حياته على ذكر الله تعالى والتسبيح والتهليل. فنحن اذ نعيش (وبحكم لزوم التعاون مع الآخرين مهما أمكن)لا بد لنا ان نباشر شتى الاعمال في الحياة ولا يمكننا بأي حال من الاحوال التنصل وان نترك كل شيء ونلتزم بالتعليل والتكبير فحسب فقلت لها: على مهلك يا أخية فليس هذا الدعاء بمنسوب او غير صحيح بل هو صحيح ومعروف ولكن المعنى ليس كما تظنين فقط اذ لسنا بمكلفين بالتسبيح والتهليل

والتكبير » كقول: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر في كل أوقاتنا وليس ذكر الله وخدمته هو ما ذكرتيه ونحوه كما تفهمين منه ويتبادر النظر السطحي اليه فهو أي كل من التسبيح أو التهليل والتكبير وان كان من الذكر المأثور ومن الباقيات الصالحات لكن ليس هو الذكر كله أو كل الذكر وليس هو أي الذكر وقفا على ادارة حبات المسابح او تقليب وتصفح كتب الادعية لا ليس هذا وحده كما قلت ذكر الله تعالى وليس ذكر الله هذا لا غير.

فكم يوجد من يذكر الله بلسانه وينساه بقلبه وافعاله!! فنحن نستطيع وبسهولة ـ ان نجعل اوقاتنا من الليل والنهار بذكر الله معمورة دون أن نعطل شيئا من أعمالنا للحياة أو نقعد عن المباشرة لمهامنا المعتادة فانت مثلا اذا كنت زوجة صالحة وربة بيت خيرة تكونين بذلك دائما وابدا ذاكرة لله مطيعة لأوامره فقد جاء في الاخبار ان امرأة سألت الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم عما عندنا نحن النساء في قبال الجهاد وثوابه عند الرجال؟ فقال صلوات الله عليه: الزوجية الصالحة وادارة البيت الناصحة الطاهرة!

ثم أن المرأة وكيفما تكون سيدة أو آنسة تتمكن ان تكون دائما وأبدا ذاكرة لله تعالى خاضعة لأوامره متبعة لتعاليمه فكل يد معونة تسديها المرأة ولو لاقربائها الاقربين اذا كانت خالصة لله تكون ذاكرا لله تبارك وتعالى وكل لفتة طيبة تبديها تجاه

الغير بدون أي غاية دنيوية تكون ذكرا لله وكل سحابة ضيق تتحملها بصبر لا مجبرة ولا مغصوبة على ذلك تكون ذكرا لله، وكل فكرة صالحة تفكر فيها لأجل الخير دون أي شيء آخر تكون ذكرا لله، وأي نعمة تحدثت بها لا مباهية ولا متعالية تكون ذكرا لله، وحتى البسمة والضحكة اذا جدت بها خالصة من كل شائبة رياء أو ملق تكون ذكرا لله الخ.. !

وكم يحدث لاحدانا ان تسمع كلمة عن اخرى قد تحمل على خير وقد تحمل على شر فاذا أخذناها بمأخذ الخير وحملناها عليه نكون بذلك ذاكرين لله، ولكن يتفق لنا أن تحين لنا فرصة نتمكن فيها من افشاء سر أو جهر بسوء يكون لنا من ورائه نفع، او لنا به مصلحة شخصية ثم لا نأتي بشيء من ذلك بوازع ديني لا غير فنكون ذاكرين لله تعالى مطيعين لأوامره! وعلى العكس من هذا (لو سرنا في حياتنا لا سمح الله) نكون ناسين لله غافلين عنه ولو تتبعنا جميع اساليب القدس المبطن! فإن ذكر الله ليس كما تظنين يا اختاه. ولعمري ان حقيقة ذكر الله تبارك وتعالى (لو تفكرنا وتأملنا) تعقيم النفوس من الادران، وتطهير الغايات والدوافع أي غاية كانت وأي دافع كان ولهذا جاء في المأثور عن الأئمة الاطهار عليهم السلام: (ان الاعمال بالنيات) ـ فنوعية العمل من نية صاحبه ـ (وان نية المرء خير من عمله) فقد فضلت النية الصالحة وحدها ـ وان لم يتفق تحققها في الخارج ـ

على العمل الصالح ظاهرا ولكن بلا نية صالحة ولا غاية مرضية طاهرة!

فجدير بنا أن نبتهل الى الله العلي القدير ان يجعل أوقاتنا في الليل والنهار بذكره معمورة، وبخدمتـه موصوله والله ولي التوفيق.

المرأة بين الاسلام والجاهلية

اختاه...

تحية اسلامية عطرة...

ما أحلى ان نعود فنلتقي مرة ثانية لنتابع ما وقفنا عنده، ولنمضي في سيرنا المستقيم الى مطلع النور واشراقة السعادة الهائلة المتبلورة في صفحات سجل اسلامنا المتلألىء الـذي بعث به محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا للعالمين، وجاء ليكون المربي الاول للمجتمع العليل آنذاك الذي كان يرزح تحت وطأة العادات القبلية والحزازات والمشاحنات العصبية وحتى في البلدان المتحضرة آنذاك كالروم والفرس، فقد كانت القوانين الجائرة قائمة هناك على قدم وساق.

والأجدر بنا في لقائنا هذا ان نتطرق الى احدى نواحي انحلال ذلك المجتمع فنراجع حال المرأة في تلك الفترة المغبرة لنرى ما كانت عليه من انعدام معنوي، وتفاهة روحية. ففي الروم والفرس ـ مثلا ـ كانت المرأة لا تعدو كونها آلة انتاج كأنها خلقت لتفيد المجتمع لا لتستفيد منه ومن ثم كانت

وسيلة لعقد الصداقات وحل المخاصمات تقدم هي فيها كهدية متواضعة لا حول لها على المنع ولا طول.

وأما في جزيرة العرب فقد كانت تسود وجوههم اذا بشروا بها ويتوارون من الخجل كأنها قد ارتكبت بقدومها عليهم أبشع جريمة في الوقت الذي جاءت لتلد رجالا، وتنشىء أجيالا. وفجأة وفي غضون ذلك العصر المغبر، وبدون سابق مقدمات انبثقت رسالة محمد الامين صلى الله عليه وآله، لتكون رحمة للعالمين (للملايين)، ولتكون رسالة عالمية تصلح العوج بالهداية، وتقيم الحق بدستورها السماوي، وهناك جاء دور المرأة المسلمة لتكون عضوا فعالا في المجتمع، ولتشعر بمكانتها المعنوية التي سلبت منها فيما مضى، وكيف لا نكتسب روح الثقة بانسانيتها وكرامتها؟ والآية الكريمة تنص على وجودها الادبي والمعنوي والكلمات النبوية الخالدة التي نأخذ بيدها لنرفعها الى أوج العزة والكرامة فهي مخلوقة كالرجل سواء بسواء (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر) ثم يقول نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم قولته المأثورة: (النساء شقائق الرجال).

وهكذا أخذت المرأة تحتل مكانها الطبيعي على أساس آيات القرآن وكلمات الرسول (ص)، وأخذ المجتمع الانساني

يؤمن بقدسيتها وجدارتها بالحياة ويقر لها بممارسة كل الحقوق التي تنسجم مع طبيعتها كأنثى، ومن جانبها أيضا أخذت تبني شخصيتها على أساس المفاهيم الاسلامية الكاملة من الفضيلة، والعفة، والاخلاق، ادركت مهانة الرذيلة فارتفعت بروحها ومشاعرها عنها، واحتفظت بنفسيتها نقية صافية متألقة وفهمت بشاعة الكذب فعملت على ألا تكذب؛ وتعرفت على مواطن الضعف في الخداع فحرصت على ألا تخدع، وملكت ان تخلق لنفسها كيانا خاصا فجهدت على ابداع ذلك الكيان، وضربت المثل العليا على الامومة الحنانية والزوجية السعيدة المخلصة.

ثم انها عرفت ايضا ان تفي الاسلام حقه فمشت مهدية بهداه تحمل راية التبشير والدعوة اليه، وقد زخرت نفسها بالعقيدة الاسلامية الفياضة، واندفعت في عروقها دماء التضحية والمفاداة، وكانت كلما ادلهمت الخطوب ازدادت حماسا واندفاعا وايمانا بقضيتها، فهذه (الزرقاء بنت عدي) تقف بين صفوف المجاهدين تبث روحها ووعيها وتقوم بأداء رسالتها قائلة: (يا ايها الناس انكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها من فتنة عمياء صماء) . الى ان تقول : (ان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء). وهذه (أم الخير بنت الحريش تخطب في الصف الاسلامي المجاهد من ابنائها واخوانها لتأجج فيهم نار البطولة وتفجر نور الايمان فتقول (ايها الناس لولا ان تبطل

الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان لما اخترنا المنايا على خفض العيش وطيبه).

لك الله يا أم الخير ما أروع كلماتك وأسماها، انت في هذه الكلمات تلقنين النساء من بناتك المسلمات دروسا في التضحيةللمبدا والعقيدة فلم يكن اندفاعك الثوري لأجل مكسب رخيص ولا موجة عاطفية مبتذلة وانما كان غضبة للحق، وانتصارا للمثل الاسلامية العليا، وتحديا للظالمين المنحرفين عن جادة الاسلام السوي، الذين عطلوا الحدود وأبطلوا الحقوق.

هكذا كانت المرأة تحتل مركزها اللائق في المجتمع الاسلامي وتشارك في مسؤليات الدعوة والتوجيه وتعتبر نفسها عضوا فعالا مسؤولا عن تركيز دعائم الحق، واعلاء كلمة العدل، وتباشر مسؤولياتها بالاساليب التي تتفق مع طبيعتها.

ولكن على مر الزمن وتعاقب السنين أخذت المرأة المسلمة تفقد شخصيتها مرة اخرى، وتبعد عن دورها الذي أتاحه لها الاسلام، وذلك بنتيجة سوء فهمها الاسلام والبعد عن روحه ومفاهيمه من ناحية وبنتيجة تغذية الثقافة الاستعمارية المسمومة المناقضة للاسلام، والتي لا تنطوي في الحقيقة الا على القضاء على اصالة المرأة وانوثتها وكرامتها كأنثى.

هكذا ضاعت المرأة بين الفهم الخاطىء للاسلام والمفاهيم الوافدة من الغرب ! وأصبحت المرأة المسلمة بين أمرين فاما أمرأة لا حظ لها من الوجود الاجتماعي ولا نصيب لها من المساهمة في كل الحقول الاجتماعية والكفرية، واما امرأة متفرنجة قد تجردت من انوثتها واعتبرتها شينا وعارا، وراحت تزاحم الرجال بمناكبها وتسترجل لتكتسب حقوقها في الحياة العامة . .

والاسلام لا يقر هذا ولا ذاك فلا هو يفرض على المرأة ان تكون كمية مهملة تماما في الوجود الاجتماعي كله لا لذنب جنته الا انوثتها، ولا هو يفرض عليها التجرد عن أنوثتها ويعتبر انوثتها عارا يجب ان تتخلص منه لتلتحق بقافلة الرجال، بل هو النظام الوحيد الذي أقر للمرأة بخصائصها الطبيعية، واعترف بها كأنثى ثم لم يجعل هذه الانوثة عيباً أو معيقا عن حصول المرأة على حقوقها وكرامتها الانسانية، او عن مساهمتها في الحياة الفكرية والاجتماعية في حدود العفة والفضيلة.

فالاسلام يحفظ للمرأة حقوقها وكرامتها لا انه يجردها من أنوثتها ليهبها تلك الكرامة كما تصنع الحضارة الغربية.

المرأة بين مفهومي العلم والثقافة

اختاه. . .

كنت قد تحدثت في احدى الاعداد السابقة عن الثقافة والعلم واختلاف مفهوميهما وموقف الاسلام من كل منهما، وقد افترقنا آنذاك على ان نعود فنلتقي ثانية لنتابع ما وقفنا عنده من بيان خطورة غزو الثقافة الاجنبية لبلادنا الاسلامية، واستيلائها على مفاهيمنا ومثلنا العريقة وتخديرها لافكارنا بأفيونها الاستعماري البغيض، وتشويهها لصفحة نتاجنا الاسلامي الذي هو مرآة حضارتنا العميقة.

ولنأخذ ـ على ذلك مثلا ـ الرسم فهو في حد ذاته شيء حسن وحسن جدا، وقد خلد وخلد كثيرا ممن نبغوا فيه وأصبح عنوانا لحضارات مختلفة توسعت في الرسم بشتى أنواعه وأشكاله من نحت، وتمثيل وتصوير، ولكنه في الوقت ذاته يطبع متتبعيه وهواته بطابعه الخاص لأنه مرتبط بوجهة النظر العامة عن الحياة والكون والمفاهيم المأثورة عنها، فإذا أخذت خطوطه وقواعده عن فنان يؤمن بوجهة النظر المادية عن الحياة والكون ومدلولاتها الاخلاقية والاجتماعية أصبحت الصورة مادية متحللة من القيم الروحية.

وأما اذا بني الفن على وجهة النظر الصحيحة للحياة والكون أصبح ناطقا معبرا عن الانسانية السامية، ومشيرا الى المفاهيم الحكيدة العالية وكذلك الادب بشعره ونثره وهو الشيء الذي لا غنى لنا عنه لتنوير أفكارنا، وتهذيبها ، وابراز مشاعرنا وتنسيقها، قد اصبح عند بعض الادباء المتطرفين سلعة رخيصة تأخذ عن الادب الغربي مباذله ، وتكشفه ومن الادب الشرقي ماديته وانحرافه وكفره بالقيم والاخلاق الفاضلة الخيرة !

وقد استحال بعض ادبائنا مع كل الاسف ، الى مترجمين وناشرين لا أكثر ولا أقل!!، أفكارهم غريبة عنهم بعيدة عن واقعهم ومجتمعهم تستهويهم الصيحة، وتطربهم نغمة، وتسكرهم رشفة ، فيغنون بأمجاد الاعداء وهم في غفلة ساهون، ويهللون للافكار السامة وهم لا يكادون يفقهون منها شيئا، وقد تشبعوا بالثقافة الاجنبية التي أدخلها الاستعمار الى بلداننا منذ عهد بعيد وهي التي انحرفت بجيلنا الناشيء ذات اليمين وذات اليسار ، وحرصت على تشويه انتاجاتنا الادبية بكل أشكالها ونواحيها، ومن جراء هذا الفهم الخاطيء للثقافة وهذه الثقافة الدخيلة انتشر في ربوعنا مفهوم استعماري عدائي موجه نحونا نحن بنات الاسلام بالذات ! فشوهوا علينا دعوتنا لطلب العلم واستجاباتنا لدعوة الرسول اذ جعلوا من التعلم والسفور توأمان لايفترقان !!

فكأنما التعليم ليس بممكن الا اذا برزت بغير غطاء ! في الوقت الذي يكون ذلك سهلا ويسيرا اذا طبق النظام الاسلامي، وتطهرت معاهدنا من النفوذ الاجنبي، وارتفع شبابنا عن وهدة الجنس وتسامى عن حضيض الرذيلة ، واذا عمت النظرة الاخيرة وشاعت الفكر الانسانية الفاضلة بين المجتمع الاسلامي، واذا اكتسبن فتياتنا شيئا من صمود امهاتهن المسلمات وراجعن عهودهن الزاهرات ، أيام كن يعقدن النوادي الادبية ويفحمن اعاظم الرجال ! من وراء حجاب ، أيام كن يشهدن الحروب الدامية! وهن كالزهرة في الاكمام لم يعقهن الخمار عن خوض الميادين ولم يقعد بهن الحذر عن الانطباع بطابع الثقافة الاسلامية الصادقة وما أحلى ابيات وردت عن لسان شاعرة نابغة اذ تقول:

بيد العفاف أصون عز حجابي
وبعصمتي أسمو على أترابي
وبفكرة وقادة وقريحة
نقادة قد كملت آدابي
ما عاقني خجلي عن العليا ولا
سدل الخمار بلمتي ونقابي

بنت الهدى

دور المرأة المسلمة في الطف

أختاه. . . .

وبعد، فما أروعه من لقاء يجمعنا على صفحة قرطاس وفي غضون هذه الأيام أيام محرم الحرام، وبعد أن عشنا الأسبوعين المنصرمين مع أعظم كارثة اسلامية نستعيد ذكراها المستقرة في أعماق نفوسنا نحن المسلمين، ونمجد خلودها الصاعد على مر العصور، ونتابع حوادثها البطولية الرائعة، لنستمد منها أسمى معاني الكفاح المتبلور بالاشعاعات السماوية، والزاخر بالمثل الروحانية، المليء بكل المعاني الخيرة التي تمثلت في يوم الطف ـ من عاشوراء ـ ، ذلك اليوم الذي لم يزل ولن يزال عبرة في صدور المسلمين، وغرة في تاريخ الاسلام. ومشعلاً وهاجاً ينشر معالم العزة القعساء والايمان الصحيح. وطريقاً مهيعاً للخلود الروحي، والبقاء الأدبي المعنوي! .

وأني لحريصة في لقائنا هذا أن أغتنم هذه الفرصة لأتحدث فيها عن دور من أهم أدوار هذه الذكرى المقدسة، والذي يجيء أثر دور الامام عليه السلام مباشرة. فأذكر

السيدة (زينب عليها السلام) زينب بنت علي (ع) وأخت الحسنين (ع) سليلة البيت الهاشمي العريق. وعقيلة الطالبيين. وزهرة أهليها الأعلين وريحانة النبوة السماوية. وقداحة الشجرة المباركة. التي أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء (زينب) هذه التي دبت وترعرعت في مهد الجنان الفاطمي والعطف المحمدي. والتي هيأت منذ اليوم الأول لتسجل أروع صفحة في جهاد المرأة المسلمة والتي أحاطتها ظلال عاشوراء منذ الفجر الأول لولادتها. فهذا التاريخ يحدثنا صادقاً وحتى على لسان المستشرقين أمثال (رونالدسون) في كتابه (عقيدة الشيعة) و (منس) في كتاب (فاطمة وبنات محمد) نعم يحدثنا أن البيت النبوي كان يرى في وليدته الصغيرة جيشاً صامداً أمام حوادث الدهر المقبلة فأخذ يهيؤها لذلك. وعندما لمح لها الامام (ع) في يوم من الأيام عن دورها المقبل أجابته في جد رصين: (أعرف ذلك يا أبي، أخبرتني به أمي لتهيأني لغدي). يالله ويا لروعة عقيلة بني هاشم... ويا لعقيدة الاسلام... التي تهب الروح المسلمة طاقة تقاصر دونها الطاقات.

ثم درجت زينب (ع) وتقدمت بخطاها نحو صباها الحزين بعد فقد الرسول الكريم (ص) والأم الرؤم (ع) ومضت منطلقة بوصية الأم النائية فأصبحت للحسن والحسين عليهما السلام أماً ثانية لا يعوزها حنان الأمومة بما فيه من إيثار وتضحية. ثم تتابعت الحوادث وتعاقبت وعقيلتنا تتابعها

عن بعد أو قرب وقد اندمجت مع رسالة جدها الخالدة تستمد منها النور الوهاج والقبس المضيء حتى وقفت بها عجلة الزمن في يوم النور الخالد، ويوم الجهاد الشامخ فكانت هي أول من تحسس مواطن الخطر في كربلاء! وحينما سمعت الامام (ع) يقول: (يا دهر أف لك من خليل...) فرجعت إليه وهي تقول: (واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة...) فيروح أخوها الحبيب يسليها ويواسيها، ثم يشرح لها الوضع الراهن على حقيقته، ويوصيها بوصاياه...

ومنذ تلك الساعة أخذت على عاتقها تحمل المسؤولية الكبرى واضطلعت بأروع مهمة تاريخية، وهي تركيز نداء الحق الذي استشهد لأجله الميامين!، فنراها وقد خرجت من المعركة، بعد إذ فقدت فيها أعز ما يفقد، نراها شامخة كالطود، راسخة كالجبل الأشم! تخاطب يزيد فتقول: (أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى ان بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأمور متسقة... فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم، إنما نملي لهم ليزدادوا أثماً ولهم عذاب مهين﴾. (آل عمران ١٧٨) فوالله ما فريت الا جلدك، ولا حززت إلا لحمك... ولأن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك...).

هكذا خرجت بنت علي (ع) من الطف وهي أرفع ما تكون روحاً، وأرسخ ما تكون من عقيدة وثبات.

ولقد كانت خطبتها المأثورة في الكوفة هي الشرارة الأولى للأخذ بالثأر، ولحركة التوابين! فلقد كفكفت دموعها وهي تلمح الكوفة مهد صباها اليانع، وعاصمة عزها الشامخ وأشارت للجموع الباكية بالسكوت، ثم قالت: (أما بعد يا أهل الكوفة... أتبكون، فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً، تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم... ألا ساء ما تزرون... أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، أتعجبون لو أمطرت السماء دماً، ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون...).

واستمرت بنت الرسالة تدعو إلى رسالة الاسلام على يقين وبصيرة لم يشغلها المصاب الهائل! ولم تقعد بها الشدائد عن المضي قدماً في طريق الدعوة والهداية! حتى أنها كانت امتداداً لحياة أخيها الشهيد (ع) وآلها الأطهار، فلنقتبس ومضة من روحها الجبارة، ولنستمد طاقة من طاقاتها المثالية لنحتفظ بكياننا الاجتماعي، الذي بنته لنا، هي وآلها الميامين، تحت راية الاسلام الشامخة، ولواء القرآن المظفر، ولا يقعدن بنا

وهن أو كسل فهذا الغد المشرق يفتح ساعديه لاستقبالنا لنرقى إليه وبيميننا القرآن وبشمالنا كلمة (لا إله إلا الله فالغد لنا إن شاء الله).

غـد لـنـا لا لمـبـادىء الـعـدى
ولا لأفـكـارهـم الـقـاحـلـة
غـد لـنـا تـزهـر في أفـقـه
أمجـادنـا وشـمـسـهـم مـائـلـة
غـد لـنـا إذا تـركـنـا الـونى
ولم تـعـد أرواحـنـا خـامـلـة
غـد لـنـا إذا عـقـدنـا الـلوا
لـديـنـنـا في الـلحـظة الـفـاصـلـة
لا وهـن، لا تـشـتـيـت، لا فـرقـة
نـصـبـح مـثـل الحـلقـة الـكـامـلة
إذ ذاك لا نـرهـب كـل الـدنـا
ولا نـبـالي نـكـبـة نـازلـة
غـد لـنـا ومـا أحـيـلى غـد
كـل الأمـاني في غـد مـاثـلة
إذ يـنـتـشـر دسـتـور اسـلامـنـا
تهـدي الـورى أفـكـاره الـفـاضـلـة

بنت الهدى

المغالاة في المهور

أختاه . . .

ما أسعدني وأنا أتوجه إليك بهذا النداء، وما أشد فخري واعتزازي إذ أكتب إليك من جديد وأنا واثقة هذه المرة من أنك تقرئين ما أكتب، وتستمعين إلى ندائي بقلبك وفكرك وعواطفك. وقد كنت أنتظر هذا اليوم بفارغ صبر، والآن وقد تحقق حلمي الذهبي، وأصبحت واثقة من وصول صدى صوتي إليك ونفوذه إلى صفحات قلبك الطاهر بعدما تحسست بقلبي وعيني المحصول الرائع لسنتين خضناهما معاً جنباً إلى جنب، وقلباً مع قلب، ويداً واحدة وفكراً واحداً حتى تبلورت أفكارنا، وتعقمت من الادران وخلصت من كل شائبة، وغدوت أرى فتياتنا الناشئات وقد تبدلت نظرة أكثرهن نحو واقع الحياة، واكتسبت أفكارهن إطارات جديدة تشعرهن بالمسؤولية وتنبههن إلى رسالتهن الغالية.

والآن وبعد أن أبعدتني الظروف عنك شهوراً قليلة في حساب الزمن، كثيرة في حساب قلبي وعواطفي، أعود إليك

وأنا أكثر ما أكون لهفة وحنيناً إلى لقائنا هذا، وعلى صفحات نشرتنا الغالية الأضواء وهي قد تخطت عامها الثاني موفورة الكرامة، مكللة بأكاليل الفخر الواقعي والمجد الحقيقي المترفع عن كل مادة أرضية غلت أو رخصت! فأنا أشعر وكأن الأضواء قد أصبحت جزء من حياتي لا يتجزأ! لأنها تقربني إليك، وتجمعني بك في أول كل شهر، ولأنها أيضاً تستطيع أن ترفع عن كاهلي بعض ما أحسه من مسؤولية تجاه ديني أولاً وبنات جنسي ثانياً، وأنا واثقة أيضاً من أنك تشعرين نحوها نفس الشعور فان نسبة القارئات والمشتركات في الأضواء نسبة مبشرة بكل خير والحمد لله.

أختاه... أنا أريدك معي في هذا اللقاء لنعالج معاً نقطة حساسة في حياتنا نحن المسلمات تمس كرامتنا وعزتنا بالصميم. وتجعل من فتيات الاسلام سلعة رخيصة كالاماء في سوق الرقاق! فأنا أريد أن أتحدث وإياك عن المهر أو الصداق بعد أن أصبح الغلو فيه موضة ومظهراً من مظاهر البذخ والدلال والاعتزاز بالفتاة، متى أصبحت الفتاة سلعة يساوم عليها؟ وأي ضمير انساني يسمح أن تكون للفتاة قيمة معينة قد تزيد وقد تنقص؟. وهي المخلوقة الطاهرة التي جاءت لتنشىء أجيالاً وأجيالاً! وأنا إذ أكتب هذا إنما اكتبه للآباء أولاً وبالذات فهم وحدهم المسؤولون عما وصلن إليه بناتهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فهم في الوقت الذي يريدون فيه أن يرتفعوا ببناتهم ينزلون بهن إلى مصاف

الأماء! جاهلين أو متجاهلين جميع الأضرار الاجتماعية التي تنتج عن غلاء المهور وفي عصر كعصرنا هذا!! فهم يظنون أن البنت مهما غلت بنفسها غلت بمهرها في الوقت الذي يعلمنا فيه الاسلام، وواقع الحياة، أن الفتاة مهما غلت بنفسها رخصت بمهرها وقبلت الزواج على أنه شركة روحية لا أكثر ولا أقل.

ولكن فتاتنا المسكينة لا تزال تحت وطأة بقايا الجاهلية فهي أما فتاة متحررة منطلقة من كل قيد وشرط، وأما فتاة مسكينة لا حول لها ولا طول ولا تتمكن حتى من إثبات وجودها وإبداء رأيها في هذا المضمار! فأنا لا أكاد أصدق أن هناك فتاة واحدة تقبل بكل عواطفها أن يحدد لها قيمة عقد الزواج. ولكن العرف الأعمى والتقاليد الظالمة هي التي انحرفت بنا عن طريق اسلامنا وما جاء به من تعاليم. أو ليس لنا في رسول الله (ص) وابنته أسوة حسنة إن كنا مسلمين؟ فان فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وبنت سيد الأمة وحامل الرسالة والنبوة، كان صداقها درع باعه ابن عمها ليشتري بدراهمه مستلزمات المعيشة! وقد زفت إلى بيت ليس فيه إلا حشية من قش وبعض الأواني ومطحنة للطحين! ولم تكن صلوات الله عليها مغصوبة في ذلك أو مجبورة عليه، فقد استشارها أبوها فوافقت ولم يكن يبت في أمرها بغير رضاها، نعم وافقت وهي تعلم أن عريسها فقير في ماله متواضع في بيته ولكنه علي أمير المؤمنين (ع) وكفى بذلك

فخراً. كانت تتمكن أن تخطب إلى أثرى رجـل في مكة، وكانت تتمكن لو أرادت أن تأخذ الدنيا زاهية براقة، فهي بنت رسول الله قبلة أنظار الخاطبين وكعبة الطالبـين لكنها اختارات السعادة الواقعية وفضلت الراحة الروحية وأرادت بهذا بنفس الوقت أن تعطينا درساً نعتبر فيه في كل عصر وزمان فهل نحن معتبرون؟.

بنت الهدى

النفوس العالية

أختاه...

تحية وإخلاصاً ودعاء،

وبعد، فأراني وأنا مدفوعة في هذه المرة إلى أن أخصص ندائي وأوجهه إلى أخت واحدة لا غير، أخت عرفتها من بعد ولم أتعرف إليها عن قرب، وأغلب الظن أني لن أتعرف اليها عن قرب ولن تتعرف إليَّ هي أيضاً عن قرب، فهي أخت مسلمة لا تجمعني وإياها سوى الوحدة تحت راية الاسلام والالتفاف حول كلمة لا إله إلا الله ولكني واستجابة للدافع الروحي الذي يهيب بي أن أكتب اليها وأن أخصها في هذا اللقاء سوف أوجه إليها ندائي ساحقة جميع الاعتبارات التي قد لا تجوز لي مخاطبة من لا أعرف عنها أي شيء أللهم سوى كونها مسلمة ومحافظة على تعاليم الاسلام، وسوى ما قيل عنها أنها من كربلاء أو من أسرة تنتسب إلى كربلاء، ولا أدري مقدار الصحة من هذا ولكنها قبل كل شيء شريكة لي في المبدأ والعقيدة، وأختي في الله وفي الاسلام فان لي الفخر بأن اعتبر نفسي أختاً متواضعة لكل مسلمة، وأن أعتبر جميع

المسلمات أخوات لي عزيزات وكفى بهذا سبيلاً يبرر لي الكتابة وأني إذ أكتب هنا اعتمد بايصال ما أكتب إليها على كل أخت مسلمة، وأخ مسلم يعرف عنها أكثر مما أعرف.

فلعلها ليست ممن يقبلن أمثال هذه الصفحات، أو لعلها لا تعرف عن نشرتنا الاسلامية شيئاً والآن فإليك يا أختي ندائي فاسمعيني بالله عليك واستمعي إليَّ بروحك وقلبك معاً، فقد بلغني عنك يا أخية أنك طرقت أبواب العلم عن طريق المدارس والمعاهد سواء أكنت مدفوعة إلى ذلك بدافع المجتمع والمحيط أو بدافع الرغبة الشخصية حتى انتهيت في سيرك إلى كلية الحقوق لتحصلين على أكبر رقم من الثقافة. وإلى الآن فليس في هذا ما يسترعي الاهتمام أو يستوجب الانتباه، فما أكثر الفتيات اللاتي حصلن على معدلات فتحت لهن أبواب الكليات فاندرجت أسماؤهن في سجل المتعلمات، ومشين في ركب الثقافة الحديثة التي تتطلب السير وراء كل معالم الحضارة المستوحاة من الخارج، فأصبحن في هذا كغيرهن من ملايين الفتيات لا يفرقن عنهن! فأصبحن في هذا كغيرهن إلا أنهن تابعات والأخريات متبوعات ولكنك أنت يا من لا أعرف عنك حتى اسمك، أنت نعم أنت وحدك وبالذات دخلت الكلية مرفوعة الرأس ثابتة الأساس، صريحة في غايتك واضحة في سلوك طريقك، إذ أنك دخلتها وأنت متمسكة بأكمامك الغالية وأمتها وأنت حريصة على حجابك الطبيعي (فمرحاً لك يا أختي، ومرحاً لنفسك

العالية) التي لم تهن ولم تنكل ولم تتراجع أو تتقهقر أمام التيارات والاغراءات، والتهاويل، والأباطيل! وأنك وبصمودك هذا لتثبتين للمجتمع الغافل أن هناك من بنات جنسك من تسعى وراء العلم بمفهومه الصحيح لا لما يتطلب من مقدمات تستوجبها الثقافة الجديدة! وأني إذ أوجه اليك هذا النداء أراني حريصة وحريصة جداً على أن يصل اليك بأي طريقة ممكنة، ولا قصد في كل ما اقصد إلا تشجيعك ومساندتك فحسب، فأنت، وكما ستشعرين والحمد لله غنية عن التشجيع وإن كنت محتاجة إلى مساند ومعاضد، ولكني أريد وغايتي الحقيقية هي أن أهمس اليك بكلمات أحب أن تأخذينها بمأخذ الحقيقة، وتنظرين إليها بمنظار الواقع فاعلمي يا أخية أن هناك من يترقب بك وسلوكك الفرص، وان هناك من يود أن يزحزحك عن رأيك بأية وسيلة ممكنة ولو عمل المستحيل، وان هناك ممن لم يساعدهن الحظ على تعقيم أرواحهن يودن لو يشترين سفورك بنصف أعمارهن كما وأن هناك من لم يجدن لديهن القوة الكافية، والجرأة الوافية لمواجهة التيار المنحرف يتمنين بل ويسعين إلى فل صمودك، وإلى تضعضع روحياتك بأي ثمن لكي لا يكون لك السبق عليهن، فان الغد لك لا محالة (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) النساء ٨٩ نعم أن الغد لك ولنا إن شاء الله، وهذه طلائعه البيضاء أخذت تنتشر في الأفق والحمد لله فكم فتاة في عمر الزهور تلج المدارس وهي

في أبراد الحجاب، وكم من اللواتي مشين وراء النفير الأجنبي ونـزعن حجابهن في غفلة وغـرور أخذن يتـراجعن وبـدأن يستفقن من كـابوس المفـاهيم الخاطئـة التي أملاهـا علينـا الاستعمار الغاشم بعد أن أراد أن يستعمرنا في كل شيء حتى في أعز وأطهر ما عندنا وهو المرأة! نعم هذه كلها بوادر خير وبواكير نجاح فامضي يا أخية في طريقك غير هيابة ولا وجلة، ولا تدعي للمتربصات بك سبيلاً إلى تشف أو مدخلاً إلى نقد، كوني مثلاً يقتدى به ولا تكوني ألعوبة تقتدي، كوني متبوعة لا تابعة قاومي الاغراءات أصمدي أمام كل شيء فأني لأعلم أن العقبات أمامك كثار وأن دربك لا يخلو من شوك وعثار! ولكن النكوص عار والتراجع شنار، فالموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار!!.

ثم أني أريد أن أهمس في أذنيك أيضاً بأني قد سمعت وأكثر الظن أنك أيضاً تسمعين أن الحجاب والتستر يسترعي الانتباه أكثر من السفور، ويستوجب لفت النظر أكثر من التكشف، ولكن لا، فما هذه سوى دعوى الرجال المتعطشين إلى التطلع إلى محاسنك، ومحاسن بنات جنسك المسكينات، فدعيهم وما يقولون وسيري على بركة الله ولا تهني فأن لك الغلبة في الغد، وليس الغد ببعيد والآن فلا أدري هل سوف يصل ندائي هذا إلى أعماق قلبك وفكرك؟ أم هل سوف يصل إليك على الأقل؟.

أسأل الله أن يكون كذلك، ودمت للمعجبة...

أختاه...

غـد لـنـا مـهـما ادعـى مـلحـد
وارتجـلت مـبـادىء وافـده
غـد لـنـا إذا صـمـدنـا ولم
نـضعـف أمـام العـصبـة الجـاحـدة
فـالله قـد واعـدنـا نـصـره
والحـق لا يخـلف مـن واعـده

موقف المرأة في الاسلام

أختاه. . .

مرحباً بك وأنت تلتقين معي على هذه الصفحات فلنراجع السير ولنتابع السور ونرجع بذاكرتنا معاً إلى أزهر عهود البشرية. عهد الاسلام في فجره المشرق السعيد. لنستعرض دور المرأة المسلمة في ذلك العصر الذهبي ولنتطلع إلى موقعها في الاسلام ونظامه الاجتماعي هذا الاسلام الذي ركز للمرأة كيانها في ذلك العصر الجاهلي الرهيب الذي كانت الفتاة فيه موؤدة تسود وجوههم إذا بشروا بها. نعم في تلك الفترة المقيتة وبين معترك تلك الأفكار الهوجاء وآفانا الله تعالى بدين الاسلام فأشاد بالمرأة في القرآن وجعلها في صف واحد مع الرجل لها ماله وعليها ما عليه كما جاء في الآية الكريمة ـ١٩٥ سورة آل عمران ـ ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ وبهذا خلق الاسلام من المرأة المسلمة خلقاً اجتماعياً جديداً وركز لها مكانتها في الأوساط الاسلامية وارتفع بمعنوياتها حتى شهدت الحروب ونزلت إلى سوح الجهاد وكتبت لها أنصع صفحة في

تاريخ الأمة الاسلامية منذ عهد خديجة أم المؤمنين أول حاضنة للرسالة المحمدية، واستمر التاريخ يحدثنا عن أمهاتنا اللاتي استنرن بنور الاسلام السماوي فقدمن الضحايا والشهداء من إخوانهن وأفلاذ أكبادهن ولم يكن المصاب ليزيدهن إلا غيرة وحماسة وتفانياً في سبيل تركيز راية اسلامهن الخالد.

فما أجدرنا اليوم إذ نمتحن رسالتنا الحبيبة بشتى المحن أن نرفع مشعل الدعوة الاسلامية وننشر علومنا وتعاليمنا في سبيل الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن نذكر دائماً وأبداً أن رسول الله (ص) كان قد أوصانا بطلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة لكي يكون للمرأة المسلمة نصيبها من الدعوة إلى مبدئها ونظامها الخالد ولكي تكون قادرة على صد هجمات المغرضين ورد دعايات المرجفين لا لتتلاعب مع الريح مصفرة أو محمرة شرقية كانت أم غربية ولكن لكي تسير على الطريق المهيع السوي وتتمسك بالاسلام ديناً وعقيدة ونظاماً ولكي تتفهمه لترى فيه كل ما تطمح إليه من تقدم ورقي وازدهار فلا تعود تتطفل على المبادىء الدخيلة والأفكار المستوردة ومن ثم أرادها أن تتعلم لتعرف جوهر الاسلام على حقيقته الرائعة لا لتتعرف على انحلال الغربيات وتحجر الشرقيات أرادها أن تكون شعلة من نور ملائكي، ويحاول المجتمع الفاسد أن يحيلها إلى لفحة من نار بهيمية أرادها أن تكون ريحانة عطرة ويريدها المفهوم الحيواني أن تغدو

كورقة صفراء ذابلة تتلاعب بها الريح، خلقها لتكون قائدة سفينة فجعلتها الحضارة الكاذبة لعبة ساعة من الزمان خلقها لتصبح مدرسة أجيال ولكن قوى الشر تجهد لتحويلها إلى آلة صماء.

فإلى الاسلام يا فتيات الاسلام، وإلى الدعوة إليه يـا حفيدات خديجة والزهراء وبنات سكينة والحوراء فـان فيه الأمن والأمان وهو أعذب معين ننهل منه وأصفى غدير نرد فيه ولن ينخذل أو يرتد من يدعو إليه وإليه فقط أبداً.

فقد مرت على إسلامنا الحبيب أهوال وأهوال على مر العصور ومنذ أشرق نوره في مكة ولكنه خرج منها جميعـاً أوسع دعوة وأقوى حجة وأصلب عوداً فالله قد وعدنا النصر والله لا يخلف الميعاد والسلام على من اتبع الهدى.

ستـرفـع رايـة اسـلامـنـا
نـحـو الـعـلى خـفـاقـة صـاعـدة
ويـنـتـصـر دسـتـور قـرآنـنـا
رغـم أنـوف الـزمـرة الحـاقـدة

الطلاق في نظر الاسلام

أختاه...

قالت صاحبتي وهي تحاورني بأسلوبها التهكمي: هبينا جاريناك بما تدعينه للمرأة المسلمة من تركيز وسمو في محيطها إذا كان مسلماً حقيقياً فما عساك أن تقولي أنت في الطلاق وتشريعه وفيه ما فيه من هدم للسعادة الزوجية وتخريب للعش الهانىء وهو لا يعدو أن يكون كلمة ينطق بها الرجل متى شاء وأنى رغب، أفليس في هذا اجحافاً بالمرأة ووأداً لحقوقها الطبيعية؟ فقلت لها وبصوتي رنة المرارة والأسى عليها وعلى جميع مثيلاتها من التائهات المخدوعات، قلت: فاتك يا أخية أن تراجعي أحكام الطلاق كما شرعت وعلى حقيقتها الناصعة الواضحة وأن لم يفتك مراجعة أحدث أزياء باريس لهذا العام. فهكذا أنت ومثيلاتك المسكينات تتسابقن لتحرزن قصب السبق في أضاليل الأعداء ولتتفاخرن بتفاهات الاستعمار التي لا يراد منها إلا تخدير أرواحكن بأفيونها السام فهل فاتك أن الاسلام حمانا إذ شرع الطلاق جاء به كآخر دواء لحياة مريضة موبوءة. وبعد إذ تشغل جميع الأساليب

الحكيمة لترميم ما تصدع من الحياة الزوجية كما جاء في الآية الكريمة ـ ٣٥ النساء ـ ﴿وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها أن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما أن الله كان عليماً خبيراً﴾ فان تشريع القضاء يضع الحل الوحيد والنهائي للمشكلة أو الانحطاط إلى درك الرذيلة، وتسد أمام الزوجين أبواب الخلاص والفراق مع استحالة الحياة والانسجام بينهما وانعدام الروابط الروحية والمعنوية وفاتك أيضاً يا صاحبتي أن الطلاق أبغض الحلال عند الله تعالى كما قد روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ما من شيء أبغض عند الله من بيت يهدم بالفرقة ـ، وكما روي عنه صلوات الله عليه أيضاً تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش!! ـ ولكن الاسلام أراد أن يهيء للزوجين غير المتكافئين، أو غير المتوافقين طريقة سليمة تقيهما شر الهبوط إلى الرذيلة، ولذلك فقد شدد فيه ووكد لكي لا يستهين به الرجال، ولا يعتبرونه مضغة في الأفواه، كما جاء في الرواية: ـ ان الله عز وجل إنما شدد في الطلاق وكرر القول فيه من بغضه للفرقة ـ، وان الله عز وجل يحب البيت الذي فيه العرس ويكره البيت الذي فيه الطلاق ـ. والاسلام كما أنه أباح للرجل الطلاق عند الضرورة أباحه للمرأة أيضاً في حالات معينة إذا رفعت شكواها إلى حاكم الشرع المسلم وأقرها على ذلك، كما وقد أباح لها أن تشترط في العقد على زوجها فرض الطلاق عليها متى شاءت، إن

كانت على غير ثقة وركون من زوجها المقبل، مع قلة ما يتفق هذا في مجتمع اسلامي لا يفرض على المرأة إرادة تتعارض ومصلحتها الخاصة.

وأني لآسفة جداً لكونكن تأخذن أحكام الاسلام من مجتمع فاسد لا يعرف من الاسلام إلا اسمه، فيخيل للرجل فيه أنه وقد خول هذه السلطة، وله أن يستعملها وفقاً لأغراضه الشخصية، ويتخيل للمرأة فيه أنها أسيرة مهيضة الجناح لا حول لها ولا طول إلا إذا نقمت على الاسلام وكفرت بمثله وتراكضت وراء المبادىء المستوردة، فتروح تسعى لتثبت وجودها تحت بريق متكهربة كاذبة، ولو كانت تعلم الحقيقة لاستطاعت أن تثبت كيانها الأدبي والاجتماعي على ضوء منهج الاسلام التربوي والاجتماعي تستطيع أن تشترط الطلاق، وهي تتمكن من الفسخ إذا اكتشفت في زوجها عيباً شرعياً وهي حرة في إثبات شكايتها أمام الحاكم الشرعي المسلم ليحكم لها في الطلاق وهي قبل ذلك كله حرة في اختيار الزوج الذي ترضاه لنفسها في محيطها ومجتمعها الاسلامي الحقيقي! لا في محيط متأرجح متحلل لا يمكنها من ذلك إلا بعد أن تسف إلى حيث الوحل اللزج، وبعد أن تفقد عبير أنوثتها وتملأ منه أنوف الشباب ولهذا فلن يصلح المجتمع، ولن تنال المرأة حقوقها كاملة إلا إذا تم تطبيق الحكم الاسلامي الحقيقي كما هو لا أكثر ولا أقل وعلى حقيقته الناصعة البيضاء وليس هذا ببعيد. (نصر من الله وفتح قريب).

ستـــرفـــع رايـــة اســلامــنــا
نــحــو الــعــلى خــفــاقــة صــاعــدة
ويــنــتــصــر دســتــور قــرآنــنــا
رغــم أنــوف الــزمــرة الحــاقــدة

نفثة الصدر للمرأة المسلمة

أختاه . . .

وأخيراً طوينا صفحة عام كامل من حياتنا معاً على صفحات الأضواء عام كامل ضم في حناياه الكثير الكثير من الآلام والأمال واليأس والرجاء والكسل والنشاط .

عام كامل خضناه بحراً أجاجاً تارة وشربناه كأساً رقراقة أخرى فحوادث الدهر نشر ولف وللأيام أقدار وآراء .

عام كامل كنت أسعى فيه إلى لقائك على هذه الصفحات عند مطلع كل شهر، وطالما تلهفت واستعجلت هذا اللقاء الذي يشدني إليك، ويدنيني من أخواتي المسلمات اللاتي يستشعرن معي خطورة مسؤولياتنا في الحياة وعمق واجبنا أمام مبدئنا السماوي .

نعم كنت أتلهف وأتشوق واثقة من أن كثيراً من بنات الاسلام كن يتلهفن ويتشوقن بدورهن أيضاً، وذلك لما دل عليه هذا الاقبال المشكور من السيدات والأنسات للحصول على مجلة الأضواء، ولكن الذي حزّ في نفسي وآلمني هو ما تحسسته في غضون هذه المدة من روح انطوائية تقمصتهابنات

الاسلام، وفكرة يائسة خاطئة قعدت بهن عن مجال الدعوة والتبشير في الوقت الذي يتحتم به علينا أن نكون أكثر تماؤلاً بالمستقبل من أي وقت مضى بعدما دلت عليه نتيجة الأرقام في فشل المجتمعات الغير إسلامية، وعجز الأنظمة الأخرى عن استيعاب تحقيق حاجات الانسانية. فمن بين نظام رأسمالي يرزح تحت وطأة الرأسمال ويئن من سياط الطبقية والعنصرية ويتحدر أثراً لانعدام المعنويات واضمحلال القوى الأدبية، أو مجتمع الحادي مادي يفتقر إلى الروح. ويفتقد حتى حرية التفكير أو تقرير المصير! وأنا لا أريد هنا أن أعدد نقاط الضعف في الأنظمة المرتجلة، أو أثبت عجزها عن القيام بالمجتمع البشري في الوقت الذي انبعثت فيه دعوة الاسلام عالمية شاملة، الناس عنده كأسنان المشط، لا فضل لأحدهم إلا بالتقوى. وهذا ما عجزت عن ادعائه أحدث الأنظمة العصرية، نعم لا أريد أن أدخل في هذا فلقد بحثه قبلي كبار الأدباء والفلاسفة الاسلاميين وأثبتوا صدق فكرتهم بدراسات موضوعية خالية من شوائب العاطفة والعصبية!. ولكنني أريد أن أقول أننا يجب أن نكون أكثر تفاؤلاً بالمستقبل ويقيناً بحاجة المجتمع إلى الاسلام، لما أصبح واضحاً جلياً خيبة المجتمعات الغير الاسلامية ولا أقصد هنا مجتمعات أجنبية فقط، بل أعني مجتمعات في قلب الدول التي تسمى الاسلامية وهي أبعد ما تكون عن روح الاسلام ومعناه الصحيح فهي إذ تضج بالمشاكل وتصبح تعج بالعشرات

والكبوات كانت تتمكن وببساطة أن تتجنبها باتباعها الطريق السوي. نعم هذه المجتمعات المنحلة التي قنعت بأقعنة الحسد والنفاق وبطنت ببطانات الغش والخداع، والآلام والحسرات، كما نراه على صفحات المجلات في كل يوم وأسبوع. نعم هؤلاء الضالون الذين ألقوا بأنفسهم مختارين إلى أنياب هذا الوحش الضاري الذي يسمونه الحضارة الحديثة! هؤلاء جاهلون أو متجاهلون مدى ما جلبوا على أنفسهم ومجتمعهم وتربيتهم الغالية من شقاء وبلاء!. ولكن التجارب التي أخذت تمر بهم والأزمات الشائكة التي أخذوا يمرون بها سوف توقظهم وتوقفهم على الواقع وتدلهم على طريق الخلاص والنجاة وهو طريق الاسلام لا غير!.

وأنا لا أريد أن أنكر وجود مجتمعات اسلامية أيضاً ولكنني أقول أنها من نقاط ضعف متركزة أولاً وبالذات على المرأة المسلمة في هذا المجتمع، فهي أما أن تكون جاهلة قانعة بالجهل صابرة على ظلمة الفكر لا تعرف للثقافة باباً إلا أبواب التهتك والتحلل فهي غافلة عن كونها مدعوة للتثقف ولطلب العلم الذي جعله الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وهي غافلة أيضاً عن قدرتها على تنوير أفكارها وتوسيع معارفها بطرق صحيحة تكون فيها كالزهرة العطرة بين الأكمام وأما أن تكون متعلمة مثقفة ولكنها منطوية على معارفها لا تتعدى نطاق دراستها الخاصة ولا تشعر بأية مسؤولية موجهة نحوها لاستثمار تعلمها

لخدمة المجتمع المسلم فهي تفخر لكونها مسالمة لا تعرف للنقاش والجدل سبيلاً وقد فاتها أن الجدل الشريف والنقاش الهادىء الناشىء عن عقيدة صحيحة مفخر يقلد صاحبه أكاليل الفخار لا كالجدل والنقاش حول قشور وسفاسف وعصبيات وعنصريات فالساكت عن الحق شيطان أخرس.

ولنأخذ على هذا مثلاً: فقد كتبت على صفحات الأضواء مواضيع كثيرة ولم تكن كتاباتي كلها مثالية، ولا يمكن أن تكون خالية من هفوة أو غفلة ولو من وجهة بعض النظريات فقط، فما الذي قعد بالعارفات من بنات الاسلام عن أن يصححن ما كتبت؟ أو ينبهنني إلى ما غفلت عنه؟ أو يبدين وجهة نظر فيما ادعيت؟ فهل هذا العجز فيهن وما أكثر القادرات منهن أم الجهل وفيهن والحمد لله العارفات المتنورات أو الخمول والكسل؟ نعم لخمولهن وعدم شعورهن بالمسؤولية! وإلا فما أحلى وما أبهى أن تجتمع أصواتنا نحن المسلمات لننبعث صرخة واحدة لا تنطق إحدانا إلا عن لسان وأفكار الباقة اليانعة من بنات الاسلام ولا تكتب إحدانا إلا بعد أن نثق أن هناك من بنات جنسنا جيشاً صامداً يقف أمام الصدمات وينبهها على الهفوات. ولست أعني بهذا أو ابتغي استجداء أدب أو فكرة، فهذا لا يكون مني إن شاء الله تعالى، وإنما أقصد توحيد الآراء وتحديد الأفكار فأني إذ أكتب هنا لا أهدف إلى أي غرض أو مصلحة شخصية، فأن لي من اكتفائي الذاتي المعنوي والأدبي ما يكفيني مشقة الخوض في

هذا المضمار ولكني أكتب لأكون قريبة منك دانية إليك عساني أن أسمع لك صوتاً أو أحرك من مشاعرك وتراً والله من وراء القصد.

أختاه هيا للجهاد وللفدا
وإلى نداء الحق في وقت الندا
هيا اجهري في صرخة جبارة
أنا بنات محمد لن نقعدا
انا بنات رسالة قدسية
حملت لنا عزاً تليداً أصيدا

المرأة والعمل

أختاه...

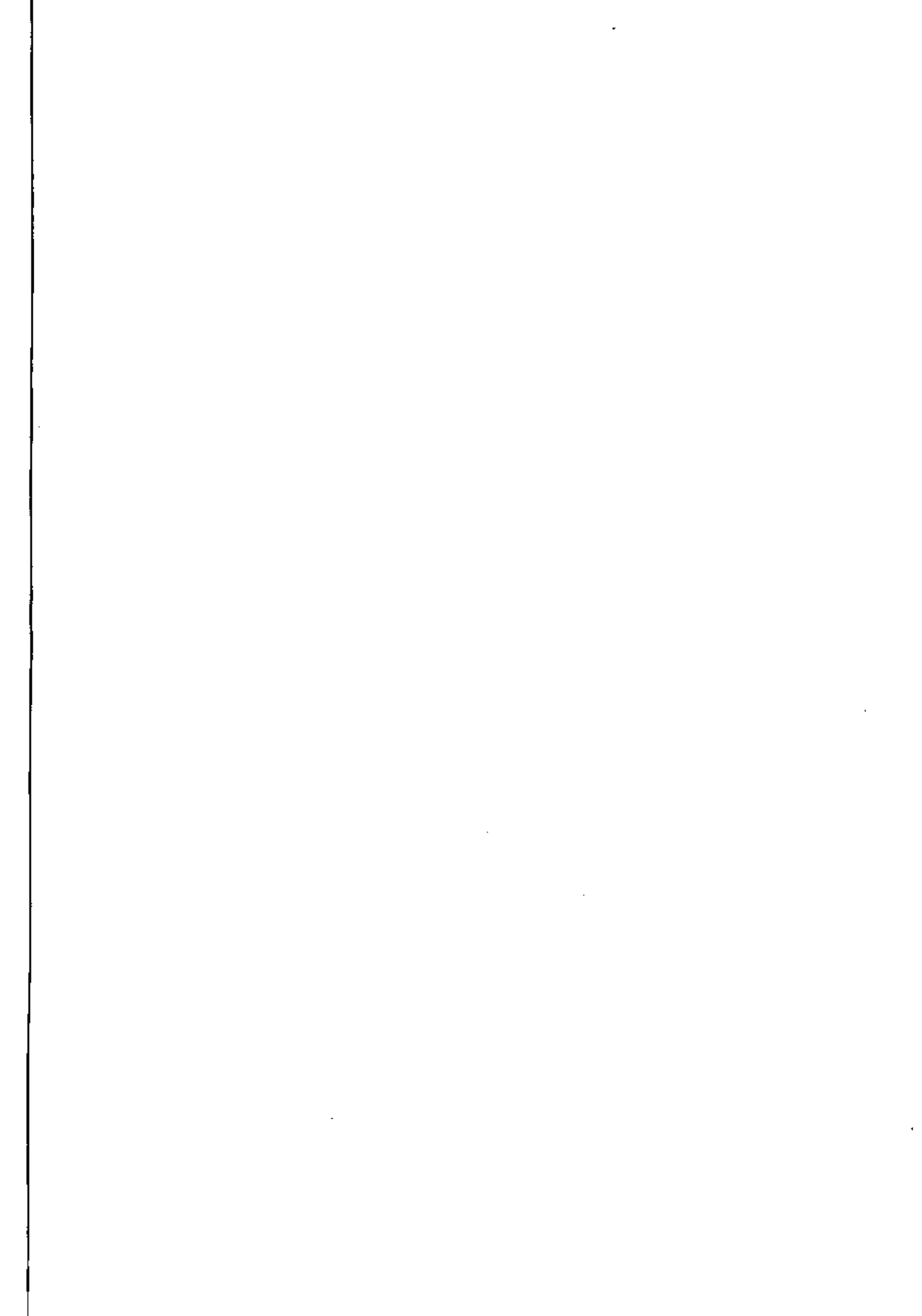
وبعد فتعالي معي لأطلعك على ما بعثت به إليَّ إحدى أخواتنا العزيزات وما تفضلت بسؤاله مشكورة فليس هناك شيء أحب الي من أن يتهيأ لبنات الاسلام الجو الملائم لابراز بعض مرتكزاتهن الوهمية لتتبلور فكرتهن وتتعقم من الأدران بما يتلقى من أجوبة وتصحيح. نعم بعثت إليَّ لتقول بعد أن تلطفت بالأطناب بمجلة الأضواء وكتابها قالت: أنك ذكرت غير مرة أن الاسلام يفتح أمام المرأة المسلمة أبواب العمل ولكن كيف لها أن تعمل وما عساها أن تعمل دون أن تخالف تعاليم الاسلام ومن ضرورات العمل أن تسير في صف واحد مع الرجل كأن تصبح دكتورة أو مهندسة أو إدارية فنحن حينما نراجع أحكام الاسلام نرى أنه يمنعها باحكامه وقوانينه من ممارسة أمثال هذه الأعمال فهو على هذا يريد أن يجعلها مستضعفة لا تصلح إلا للنسل وطبخ الطعام إلى هنا انتهت كلمات الأخت المتعلقة بالموضوع فإلى هذه الأخت العزيزة وإلى كافة أخواتنا المسلمات أوجه جوابي الذي أرجو أن يكون

وافياً بالمقصود، والآن دعيني أولاً أن أوجه لك هذا السؤال لماذا سميت المرأة بالجنس الناعم وهناك في النساء من هي أطول من بعض الرجال قامة وأصلب عوداً وأغلب الظن أنك تعلمين سبب هذه التسمية وذلك ما ضمته حناياها من نعومة وما طوت عليه جوانحها من رقة هذه النعومة وهذه الرقة التي لولاها لما سارت سفينة الحياة ولأصبح كل فرد من المجتمع لقيطاً وابن لقيط أو مشرداً تائهاً في ظلمات الكون فلولا هذه الروح البلورية ولولا هذا الاحساس المرهف والشعور الحساس لما استطاعت المرأة أن تقوم بوظيفتها المقدسة فتكابد آلام الحمل وأثقاله وتتحمل مضاعفاته وأضراره ثم ترحب بالوليد القادم وتبذل له من جهدها وحبها الكثير الكثير وتدعه يسلب منها لذة النوم ويملك عليها حريتها في الليل والنهار وتغذيه من عصارة روحها حليباً سائغاً هنيئاً ثم هي فوق ذلك ممرضة له إذا مرض ملاعبة إياه إذا ضجر قد تعمل لأجله المستحيل وقد تتحمل من ورائه الأخطار والأهوال ولكنها في كل ذلك راضية قانعة بل فرحة مستبشرة تدفعها إلى ذلك كله عاطفة صادقة وحب خالص ولكن هذا الحب الخالص وهذه العاطفة الصادقة موجودة عند الأب والأم سواء بسواء فما السبب في كون الأم هي التي تتحمل أوفر قسط من المسؤولية وحدها دون الأب سوى شعورها المرهف وعواطفها الرقيقة فان الله حينما كونها في تركيبها العضوي الخاص وأوعدها طبيعياً لاعداد الانسانية وصناعتها وأعدها اجتماعياً لقيادة

العائلة الانسانية وتدبير شؤونها وفقاً لما تقتضيه وظيفتها الطبيعية. أقول حينما أعدها الله تعالى لذلك حباها وزودها بدروع باطنية تقاوم بها الآلام التي تنتج عن قيامها بدورها الطبيعي والاجتماعي في العائلة الانسانية وهل هناك درع أقوى وأقوى من الحب كما أن الله تبارك وتعالى حينما كون الرجل وأعده إعداداً خاصاً للقيام بدور الكفاح في الحياة وإخضاع الطبيعة لمطاليب الانسان أسبغ عليه العوامل التي تهيؤه للكفاح والتي تجعله جديراً بمواجهة مشاكل الحياة الخارجية بعزيمة ومضاء فهو بذلك قد وزع لكل ما تقتضيه مسؤوليته في الحياة فلولا أن تكون المرأة عاطفية ورقيقة لتبرمت بمشاكل الأمومة ولتخلت كل امرأة عن وليدها ولو بأن تلقي به إلى ملجأ أيتام وبذلك تنحل عرى الأسرة ويستحيل المجتمع إلى مجتمع متفكك واهي فعلاً. ولكون المرأة انسانة ملائكية وروح سماوية تعبق بالطهر والحب وتشع بهالات القدس والحنان لهذا فان طبيعتها هي أولاً وبالذات لم تخلق لما تذكرين من أعمال وهي وإن مارستها فأنها لا تخلو من نقاط ضعف تقعد بها عن السير إلى نهاية الطريق فإذا سلمنا كما لا ريب فيه أن من ضرور ات الحياة أن تكون المرأة عاطفية ومن واجبات استمداد حياة المجتمع أن تكون المرأة خالقة أجيال وباعثة مستقبل ثم تصبح هذه المرأة طبيبة ويتفق في مرة أن تدعى لعيادة مريضها وهي في حالة المخاض أو تذهب لعيادة مريض مشرف على الهلاك وإذا بذبالة حياته تنطفي بين

يديها وهي تلك المخلوقة المرهفة الشعور الفياضة العاطفة أو أنها تصبح محامية مثلاً أو قاضية ثم تـذهب لتدافـع أمام القضـاة أو لتقضي بالعـدل بين المتخـاصمين وإذا بـرحمتها الأنثوية وبأوتار قلبها الحساس تنعطف نحو المجرم بعد ان تسمع منه شكاته وتعرف أنها هي المسؤولة عن جريمته وعدلها أو عن حياته وفنائه فهل تتمكن امرأة خلقت لتحيي أفراداً أن تلقي بواحد إلى مخالب الموت أو إلى السجن الرهيب وإذا صادف ذلك وتمكنت من هذا فان ذلك يكون دليـلاً على تحررها من شخصيتها الحقيقية وعدم صلاحيتها للقيام بدورها كامرأة في الحياة وفي هذا من الخطر ما يهدد المجموعة البشرية ثم نأتي لنطالع موقفها وهي مهندسة فنراها تدعى مرة مثلاً لتضع تخطيط جسر أو سد أو تحدد شق شوارع في غرض الصحراء فيتحتم عليها أن تتحمل الشمس في القيظ الكاوي والصقيع في الشتاء المتجمد وكثيراً ما يستوجب عملها ممارسة أعمال خشنة لا تتلاءم مع نعومتها وطراوة جلدتها وهي مع ذلك لا تتمكن من القيام بدورها الأنثوي أيضاً فهي دائماً وأبداً في حركة مستمرة وتنقل وإذا حصل وكانت ربة بيت تعتمد على الخدم والوصائف بادارة عشها السعيد ومملكتها الصغيرة فسلام على ذلك البيت الذي تديره خادمة وعلى ذلك العش الذي تحرسه وصيفة والويل للأولاد البريئـين الذين يترعرعون في أحضان المربيات وعلى صدور المرضعات وكذلك الحال بالمرأة الادارية التي يتحتم علىها أن تتخلى عن بيتها

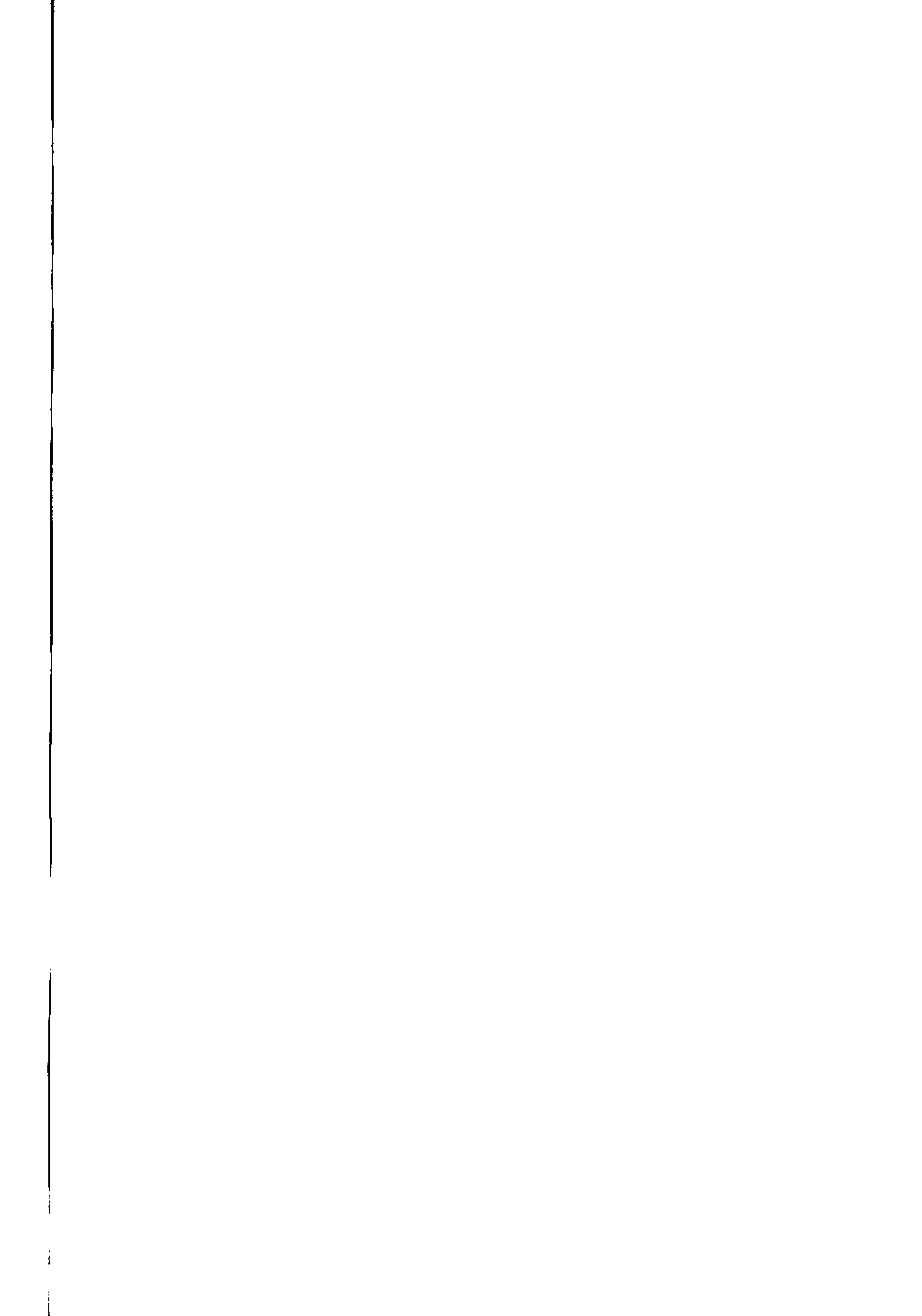
ومن فيه وما فيه ثلثي النهار تقريباً فتجلس في دائرتها تنجز طلبات الأجانب وتقوم بما تكلف به شرعاً وعرفاً تاركة أفلاذها فريسة للملل والسأم وطعمة سائغة تحت أنياب الانحراف والفساد كما أخذت تدل عليه النتائج في المجتمعات الغربية وفي مجتمعاتنا المتطفلة عليها فان حضن الأم أول مدرسة في الحياة ولا يمكن للطفولة والفتوة أن تكون طفولة سليمة وفتوة معتدلة صالحة إذا لم يواكب سيرها حنان الأم ولم تتابعها عيونها البصيره والآن فلعلك عرفت يا أختاه أن الاسلام إذ يفتح أمام المرأة أبواب العمل مع كونه يلزمها بالصيانة والحجاب لا يعتمد من ذلك العمل أمثال ما ذكرتيه من أعمال ولا أريد أن أقصد من هذا أن الاسلام يحرم على المرأة أن تكون مهندسة مثلاً فإذا أمكن أن تكون مهندسة بدون أن تخالف تعاليمه كما هو ميسور في مجتمع اسلامي صحيح لا يمنعها من ذلك ولكنه يقبل هذا بوصفه استثناءاً وحالة فردية لا تكون هدفاً للمرأة وحالة اجتماعية ولعلك لا تجهلين أن هناك أعمال كثيرة يمكن القيام بها مع مسايرة الاسلام في شرائعه وأحكامه وهل يطلب الاسلام من المرأة إلا الحجاب الذي لا يعدو كونه أبرادا تقيها الزوابع ودروعاً تصد عنها هجمات الوحوش الجائعة وعدا هذا فهي حرة طليقة لها ما للرجل وعليها ما عليه. وأخيراً فلعلك تنبهت إلى ما كنت قد غفلت عنه والسلام عليك وعلى جميع أخواتنا المسلمات.



بنت الهدى

١٠

بطولة المرأة المسلمة



بسم الله الرحمن الرحيم

بطولة المرأة وعلاقتها بالحضارة

قد يكون أهم ما يميز الاسلام في موقفه من المرأة عن غيره من المبادىء والنظم التي عاشت قبله واستجدت بعده هو نظرته الانسانية الى المرأة والرجل على السواء في كل تشريعاته ومفاهيمه ونظرته للمرأة بما هي انثى الى صف نظرته للرجل بما هو ذكر فالاسلام حين ينظر الى الرجل بوصفة انسانا وينظمه ويوجهه ينظر الى المرأة باعتبارها انسانا ايضا ويساويها مع الرجل على الصعيد الانساني في كل تنظيماته وتوجيهاته لانهما سواء في كرامة الانسانية وحاجاتها ومتطلباتها. وأما حين ينظر الاسلام الى المرأة بما هي انثى وينظم انوثتها ويوجهها ينظر في مقابل ذلك الى الرجل باعتباره ذكرا، ويفرض على كل منهما من الواجبات ويعطي لكل منهما من الحقوق ما يتفق مع طبيعته وفقا لمبدأ تقسيم العمل بين أفراد المجتمع، وتنشأ عن ذلك الفروق بين أحكام المرأة وأحكام الرجل.

فمرد الفرق بين أحكام المرأة وأحكام الرجل الى تقدير

حاجات ومتطلبات الانوثة والذكورية، وتحديد كل منهما وفقا لمقتضيات طبيعته. أما في مجال التنظيم الذي يرتبط بانسانية الانسان فلا فرق فيه بين المرأة والرجل، لانهما في نظر الاسلام انسان على السواء. وقد شرحنا هذه النظرة الانسانية للاسلام الى المرأة التي تساوي فيها الرجل في كتاب(المرأة مع النبي)بكل تفصيل، وقلنا ان الاسلام وحده هو الذي نظر الى المرأة نظرة انسانية على قدم المساواة مع الرجل، بينما لم تنظر الحضارات الاخرى وحتى الحضارة الاوربية الحديثة الى المرأة الا بوصفها انثى وتعبيرا عن المتعة والتسلية والموقف الحضاري لكل مجتمع من المرأة ينعكس بدرجة كبيرة. وبقدر تغلغل تلك الحضارة على دور المرأة في تاريخ ذلك المجتمع وطبيعة موقفها من الاحداث. فالمرأة في مجتمع يؤ من بانسانية المرأة والرجل على السواء تمارس دورها الاجتماعي بوصفها انسانة فتساهم مع الرجل في مختلف حقول البطولات الانسانية، وتقدم أروع النماذج في تلك الحقول نتيجة للاعتراف بمساواتها مع الرجل على الصعيد الانساني. وعلى العكس من ذلك المرأة في مجتمع ينظر اليها بوصفها انثى، قبل ان ينظر اليها بوصفها انسانة، فانها تنكمش وفقا لهذه النظرة، وتحرم من ممارسة اي دور بطولي على اساس انساني بل يرغمها المجتمع على التعويض عن ذلك بمختلف ألوان الظهور على اساس انوثتها، وما تعبر عنه من متعة ولذة للرجل. ونجد خير مصداق لذلك في تاريخ المرأة التي عاشت

في كنف الاسلام، وفي ظل مختلف الحضارات الاخرى فكان دورها ومختلف بطولاتها تتكيف وفقا لطبيعة المبدأ ومفهومه الحضاري عنها. فقد عبرت في ظل الاسلام عن انسانيتها أروع تعبير وأقامت بطولاتها على هذا الاساس، بينما لم تعبر في المجتمعات الاخرى اللااسلامية الا عن انوثتها ولم يتح لها ان تقيم لها مجدا الا على اساس هذه الانوثة وبقدر ما فيها من وسائل الاغراء للرجال لاعلى اساس انسانيتها وبقدر ما فيها من طاقات الخير والاصلاح.

بطولة المرأة الاوربية القديمة:

ولنبدأ أولا بالمرأة اليونانية، ففي اليونان مثلا وهي أرقى الامم القديمة حضارة وتمدنا في التاريخ القديم بذلت محاولات للارتفاع بالمرأة اليونانية وانتشالها من حضيضها الذي كانت تعيشه في عصره البدائي القديم. وفعلا فقد تمكنوا من ذلك ولكن على أي حساب وبأي دافع؟ على حساب تكوينها الجسماني ومظهرها الخلقي لاغير، فتفننوا في نحت التماثيل الفاضحة ونقش الصور المكشوفة وجعلوا من المرأة رمزا للجمال والحب والعشق ومصدرا للشهوات الحيوانية والاهواء الوحشية، وبهذا فقد رفعوا المرأة من وهدتها كانسانة ساقطة الى صورة خليعة وتمثال من البرونز، يركعون بين يديه اكبارا لنواحي الجمال التي يبرزونها فيه. وكان من جراء جريهم وراء الشهوات الحسية ان تغلبت عليهم المادة، وجرفهم تيار

الغرائز البوهيمية وسيطرت عليهم الاهواء الجامحة. وهذه العوامل هي أقوى معول يهدم حضارة الامم ويحط من مكانتها في التاريخ. ولهذا فنحن نرى المرأة اليونانية لاتذكر في التاريخ الا كصورة نقشتها ريشة مصور او تمثال أبدعه فنان. نعم هذا كل ما تبقى للمرأة اليونانية لانها كانت قد تسنمت المجد على حسابه ولسبب منه

وقد تسنم الرومانيون ذروة المجد والرقي بعد اليونان. وفي الرومان أيضا نلاحظ سلسلة الصعود والهبوط التي كانت تعيشها المرأة في الامة الرومانية فقد كانت لعبة طيعة يتلاعب رجلها بها كما يشاء حتى في حياتها في بعض الأحوال. وبالتدريج تضاءلت عند الرومان فكرتهم الوحشية على المرأة بعد أن أخذوا يحاولون التقدم نحو المدنية والحضارة فحاولوا أن يرفعوا من مكانة المرأة وان يجعلوا منها مخلوقة لها كيان في المجتمع فماذا صنعوا وبأي شيء رفعوا من مكانة المرأة عندهم؟ وماذا كان دور المرأة الرومانية في محاولة التمدن تلك: لاشيء غير تبجيل المومسات وتقديس الشهوات واباحة النساء حتى أضحت بعض المومسات يتلاعبن بأحوال الدولة وشؤونها وكانت بيوتهن نواد تضم كل متحضر، ومتمدن. ولهذا فقد عمت الفوضى الحيوانية من جراء ذلك واختل نظام الدولة وانحطت مكانتها كأمة. وفعلا فقد ذوت دولة الرومان وتلاشت حضارتهم ولم يبق للمرأة الرومانية من ذكر

في التاريخ سوى كونها انثى ساعدت على هدم حضارة امة.

بطولة المرأة الاوربية الحديثة:

ثم جاءت اوربا المسيحية بعد ذلك فكان دورها فيها دورا سلبيا على طول الخط، ولم تحاول هي أو لم يحاول علماء اوروبا المسيحية ومفكروها بان يهيئوا للمرأة أي مجال تلعب فيه أو أي منفذ تنفذ منه الى زاوية التاريخ، حتى جاءت اوروبا الجديدة فحاولت ان تنهض بالمرأة الاوروبية وان تجعل منها عنصرا فعالا في المجتمع ففتحت لها أبوابه لتلجه كما تشاء. وولجته فعلا واحتلت مكانها فيه الى جوار الرجل ولكن لالكونها انسانة ذات كيان روحي مستقل بل لكونها أداة من أدوات تسلية الرجل الذي مَنَّ عليها بولوج المجتمع، وفتح امامها مغاليقه. ثم حاولت اوروبا الجديدة ان تتظاهر بمساواة المرأة مع الرجل في قوانينها ونظمها، وتوصلت الى ما يبدو في ظاهره مساواة، ولكن واقع مساواتهم هذه جاءت مختلفة عن حقيقة المساواة، فلم تبرح المرأة الاوربية خاضعة لنفوذ الرجل عليها في كل المجالات وحتى فيما تملكه هي أو فيما يحق لها التصرف فيه. وفي قبال هذه المساواة الموهومة استنفذ الرجل منها كل ما يشاء دون قيد أو شرط واستعرضها كسلعة رخيصة بعد ان فقدت جميع مقومات انوثتها من عزة وكرامة، وبعد ان خسرت شخصيتها كأنثى وكيانها كامرأة واختصر دورها في الحياة، على تحقيق رغبات الرجل ومتابعته فيما يتفنن

لها من اسباب الاناقة وما يهيء لها من طرق الدعارة والاستهتار. هذا هو في الواقع كل ما احرزته المرأة الأوروبية الحديثة وهذا كل ما تمثله اليوم وما تذكر به في الغد يوم تشع الحقيقة في العالم. وهذا هو حال المرأة في مجتمع ينظر اليها كأنثى لا كأنسانة.

بطولة المرأة المسلمة

أما المرأة المسلمة فقد اعتمدت ببطولتها على انسانيتها فقط بعد ان تبوأت مكانتها السامية في الاسلام على حسابها الخاص وعلى كونها انسانة كالرجل المسلم وهو انسان لها ماله وعليها ما عليه وان اختلفت عنه بالوظائف والتكاليف التي وزعت على البشر كل حسب ما تتطلبه فطرته ويقتضيه تكوينه. ولهذا ولكونها في الصعيد العام انسانة كالرجل برزت شخصيتها لامعة وضاءة وسجلت لها في التاريخ ذكرا عطرا كأروع ما تسجله انسانة مستقلة لها عقيدتها ورسالتها السماوية. وقد عرفت المرأة المسلمة قيمة النصر الذي احرزته والمستوى الرفيع الذي ارتقت اليه بعد أن قضت عصورا عاشتها وهي في مهملات التاريخ، ولهذا فقد سعت جاهدة للعمل على اثبات كفاءتها لذلك. وكان في كثرة النساء المبادرات للاسلام أصدق دليل على ما حمله الاسلام للمرأة المسلمة من خير وصلاح، وما هيأ لها من محل رفيع، وفعلا فقد سجلت المرأة المسلمة في التاريخ الاسلامي أروع صفحات كتبتها بالتضحية والفداء، وخطتها بدماء الآباء

والابناء بعد أن أكد الاسلام على اعتبارها في الصعيد الانساني كأخيها الرجل لاأكثر ولا أقل فكما أن بطولة الرجل المسلم كانت في مجالين وفي اتجاهين في مجال التضحية والجهاد وفي مجال حمل فكرة الدعوة، كانت بطولة المرأة المسلمة أيضا في المجالين مجال التضحية والفداء ومجال حمل فكرة الدعوة. وفي كلا الصعيدين كانت تعمل كانسانة لاكانثى.

بطولة المرأة في ميدان حمل الدعوة:

أما في ميدان حمل الدعوة فقد شهدت المرأة المسلمة في صدر الاسلام الحروب والوقعات وجهدت على أن تبرهن بمواقفها البطولية تلك كونها تعمل للاسلام على اساس من انسانيتها. التي أقرها لها الاسلام ولها الحق في الدفاع عن الرسالة التي تدين بها. وتاريخ المرأة المسلمة يحدثنا عن بطلات ضاهين في بطولتهن الرجال واقتحمن لظى الحروب غير هيابات ولا وجلات. وهذه احداهن وهي نسيبة بنت كعب بن عمر بن عوف الانصارية وقد كانت سيدة جليلة القدر كبيرة القلب عالية الهمة رفيعة الروح، وقد أسلمت في اوائل من أسلم وما أن خرج زوجها غزية بن عمرو وابناها حبيب وعبد الله الى أحد حتى خرجت معهم متطوعة مختارة وفي أحد كانت تقوم بفعاليات مهمة فهي تسقي العطش وتداوي الجرحى وتطبب المرضى. وفي مرة خرجت في اول النهار كعادتها لتسقي جرحى الحرب من المسلمين فانتهى بها

المطاف الى رسول الله وهو في أصحابه والنصر للمسلمين، فلما أنهت مهمتها وعادت لاحظت ان النصر قد جانب المسلمين فانحازت الى رسول الله، فلما انهزم المسلمون أخذت بالسيف وجعلت ترمي بالقوس بين يدي رسول الله حتى وصلت اليها الجراح وذلك لما ولى الناس عن رسول الله، وقد أقبل ابن قميئة وهو يصيح دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه وقد كانت نسيبة ام عمارة فيهم فضربها وضربته على ذلك ضربات ولكنها لم تصبه لانه كان قد تدرع بدرعين من حديد. وقد حدثت نسيبة عن وقعة أحد فقالت: انكشف الناس عن رسول الله فما بقي الا نفر لايتممون العشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه والناس يمرون منهزمين. ورآني رسول الله لاترس معي فرأى رجلا موليا ومعه ترس فقال لصاحب الترس: الق ترسك الى من يقاتل فالقى ترسه فأخذته وجعلت أتترس به عن رسول الله. هذا ما روته أم عمارة عن موقفها في أحد وعن موقف الرسول منها واهتمامه بأمرها وهي تذود عنه مع القلة من الرجال وقد استمرت نسيبة بمهمتها تداوي وتطبب وتقاتل عندما تدعو الحاجة الى ذلك، حتى جرح ابنها عبيد بن زيد وجعل دمه يسيل وهي لاهية عنه بقتال الاعداء حتى نادى رسول الله ابنها فقال: اعصب جرحك فتنبهت الى ابنها وأقبلت اليه ومعها عصائب قد أعدتها للجراح فربطت جرحه والنبي واقف ينظر اليها.

ثم قالت لابنها بعد أن أنتهت من تضميد جراحه انهض يابني فضارب القوم فجعل النبي يقول: ومن يطيق ما تطيق ام عمارة ثم أقبل الرجل الذي ضرب ابنها فقال رسول الله هذا ضارب ابنك قالت نسيبة فاعترضت له فضربت ساقه فبرك قالت فرأيت رسول الله يبتسم حتى رايت نواذجه وقال استقدت يا أم عمارة ثم اقبلوا يعلونه بالسلاح حتى أتوا على نفسه فقال النبي الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك. وفي رواية ان رسول الله كان يقول: لمقام نسيبة يوم خيبر خير من مقام فلان وفلان. وكان الرسول يراها يوم أحد وهي تستبسل بالجهاد وقد شدت ثوبها ومئزرها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا وكان رسول الله يذكر شجاعتها ويقول اني لا نظر الى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها. وكان أعظم جراحها وقد داوته سنة ولم يمنعها جراحها هذا عن السعي الى خوض غمار الحرب عندما نادى رسول الله الى حمراء الاسد فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم وأعياها الخروج فباتت ليلتها وهي تداوي جراحاتها المتعددة. فلما رجع رسول الله من الحمراء أرسل اليها عبيد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع اليه بخبر سلامتها ففرح بذلك، وكأنه كان قد افتقد مكانها مع المجاهدين هناك فأراد ان يطمئن على سلامتها وان يشجعها ويرفع من معنوياتها وان يبين لها أن قلبه الكبير ورسالته السماوية تتسعان لكل من نذر قلبه للاسلام، وانها بجهادها

ذاك حازت عند ربها درجة المجاهدين الابرار. وقد روي عن الرسول انه قال يوم أحد ما التفت يمينا ولا شمالا الا وأنا أراها تقاتل دوني. هذه هي نسيبة في صدر الاسلام وهذه آيات بطولتها وجهادها بين يدي رسول الله(ص)وهي مندفعة وراء عقيدتها الخالصة وهذا هو موقف الرسول الاعظم من المرأة المسلمة وحتى بعد الرسول لم تكن جذوة الحماس الديني لتخمد في صدر نسيبة وقد أضاءها في جوانحها رسول الله ورسالته الخالدة فقد شهدت قتال مسيلمة باليمامة وتطوعت للجهاد وللدفاع عن العقيدة الاسلامية وأبلت في تلك الوقعة بلاء حسنا وجرحت احد عشر جرحا وافتقدت يدها في تلك الوقعة كما فقدت ولدها أيضا وهي صابرة محتسبة لم تهن ولم تنكل وأنى لها ان تنكل او تتراجع وهي التي واكبت سير الرسالة منذ فجرها الاول ونذرت نفسها لقضيتها العادلة منذ شهدت بيعة الرضوان مع القلائل الذين شهدوها وهي التي روي عنها انها اتت النبي فقالت ما أرى كل شيء الا للرجال وما ارى النساء يذكرون فكان ان نزلت الآية الكريمة« ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى آخر الآية »وبهذا اثبتت ان للمرأة المسلمة في الاسلام شأنا ومقاما ينص عليه القرآن الكريم وما كانت نسيبة لتندفع هذا الاندفاع الثوري وتقوم بهذه التضحيات الجسام لو لم يقر لها الاسلام حقوقها كاملة في الحياة ولو لم يساو بينها وبين الرجل على صعيد انساني واحد

ولو لم يخلق لها الاسلام الجو الذي مكنها من أن تلعب دورها البطولي فيه على اساس انساني فنسيبة امرأة ونساء قريش نساء أيضا ولكل من نسيبة المسلمة والمرأة القريشية الكافرة قلب امرأة وعاطفة انثى ومع هذا فقد خرجن القريشيات الى القتال مع أزواجهن ليضربن الدفوف ويذكين فيهم الاحقاد ويحملن مراود ومكاحل فاذا تكعكع أحدهم ناولنه اياها وقلن له انت امرأة. وخرجت نسيبة المسلمة وغيرها من المسلمات ليقاتلن ويطببن ويداوين ويثبتن حين يفر الرجال وقد روت ام عمارة عنهن قالت رأيتهن يوم أحد وقد ولين منهزمات مشمرات وهن يتبعن الرجال المنهزمين على الخيول على اقدامهن فيسقطن في الطريق فأي روح هذه التي جعلت من نسيبة داعية مسلمة تقاتل مع النبي حتى تجرح وتقاتل بعده حتى تقطع يدها وجعلت نساء قريش يضربن الدفوف ثم يولين الادبار منهزمات انها روح الاسلام وما يهبه للمسلمات من معنويات عالية. أعلى الله مقام ام عمارة ورزقها الخلد موئلا ومقاما وجعلنا ممن يقتفين آثارها ويهتدي بهداها وجعل من المجتمع الاسلامي الحاضر مجتمعا اسلاميا واقعيا يمكن المرأة المسلمة الواقعية من القيام بمهمتها كمسلمة وجعل المسلمات كامهاتهن في مطلع الاسلام جديرات بتحمل مسؤولية الدعوة للاسلام والحفاظ عليها. وهذه بطلة ثانية وهي نسيبة بنت الحارث الانصارية وكانت تعد من فواضل نساء عصرها ومن خيرة نساء الصحابة، وقد غزت مع رسول الله في أكثر

غزواته تمرض وتداوي وتقوم برسالتها كمسلمة على أروع وجه وابهاه. وكان تمريض مرضى الحرب وتطبيق جرحاه يعد في ذلك العصر الذي لم تكن وسائل العلاج المستحدثة موجودة فيه يعد ضرورة من أهم ضرورات الحرب ومقوم من مقومات انتصارها وصمودها امام الاعداء، فلولا وجود المطبب والمداوي لتلاشى الجيش ولانشغل كل جندي بأخيه وبصديقه ورفيقه. ولهذا فقد أسهم لها رسول الله سهم رجل تقديرا منه لموقفها البطولي وتشجيعا لها ولغيرها من المسلمات على مساندة الدعوة والقيام بما يقوين عليه من اعمال وتضحيات. فالاسلام لايريد ان يعزل المرأة المسلمة عن الدعوة ولا يريد ان يقعد بها عن مواكبة سير الرسالة وهو يعلم ان المرأة عضو فعال في كل مجتمع ولا يمكن للمجتمع الاسلامي ان يعيش وقد شل أحد أعضائه ولهذا فنحن نرى ان الرسول الاعظم كان يعني بالمتطوعات من المسلمات ويسهم لهن سهم رجل... ومن النساء المسلمات اللواتي شهدن الوقعات مع رسول الله يداوين ويطببن معاذة الغفارية وأم منيع بنت عمر بن عدي بن سنان وهند بنت عمر بن حرام وأمية بنت قيس بن الصلت الغفارية وقد روي عن أمية هذه ان قالت جئت رسول الله في نسوة من بني غفار فقلنا انا نريد ان نخرج معك الى خيبر يارسول الله نداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال رسول الله على بركة الله قالت فخرجنا وقمنا بواجبنا في الجهاد نعم هكذا كن النساء

المسلمات وقد حبب الاسلام اليهن الفداء وجعلهن يستهن بمصاعب الحرب وأهواله وسعين اليها مندفعات غير هيابات ولا وجلات. وهكذا كان رسول الله رؤوفا بالمسلمات بارا بهن، لايرد لهن طلبا ولا يحط من مكانتهن ولا يشعرهن بعجزهن فالمرأة انسانة كما أن الرجل انسان ولكل انسان حقه الطبيعي في الدفاع عما لديه والذود عما يعتز فيه وبما ان الاسلام هو اغلى شيء لدى المرأة المسلمة لم يشأ نبي الرحمة ان يحرمهن من لذة الذود عنه، فهن متطوعات مندفعات وراء حماسهن الديني.. وممن شهدن الغزوات مع رسول الله أيضا حمنة بنت جحش وهي من المهاجرات وقد شهدت احد فكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى وبرزة بنت مسعود بن عمر الثقفية وام زياد الاشجعية وهي سادسة ست نسوة خرجن يوم خيبر فبلغ ذلك النبي فبعث اليهن فقال باذن من خرجتن فقلن له خرجنا ومعنا دواء نداوي الجرحى ونناول السهام ونسقي السويق ونغزل الشعر ونعين في سبيل الله فقال صلى الله عليه واله وسلم أقمن فلما فتح الله عليه خيبر قسم لهن كما قسم للرجال وكذلك ام سليط وهي من فضليات نساء عصرها وقد حضرت مع النبي احدا وكانت تزخر القرب للمجاهدين وتقوم على مداواة المرضى منهم وام سنان الاسلمية وقد استأذنت الرسول عند خروجه الى خيبر فقالت يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا أخرز السقاء، وأداوي المرضى فأذن لها رسول الله وقال اخرجي على بركة

الله تعالى فان لك صواحب قد كلمنني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم فان شئت فمع قومك، وان شئت معنا فقالت ام سنان معك يارسول الله فقال رسول الله تكوني مع ام سلمة زوجتي فكانت وشهدت فتح خيبر كذلك ام الضحاك بنت مسعود الانصارية وإم العلا الانصارية وكعبية بنت الاسلمية وام سليم بنت ملحان بن خالد وقد شهدت يوم أحد وسقت فيه العطش، وداوت الجرحى ثم شهدت يوم حنين وابلت فيه بلاء حسنا، وكانت قد حزمت خنجرا على وسطها وهي حامل يومئذ بعبد الله بن ابي طلحة فقال ابو طلحة يا رسول الله هذه ام سليم معها خنجر ان دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه واقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فانهم بذلك اهل فقال لها رسول الله يا أم سليم ان الله قد كفى واحسن. . .

أولاء جميعهن وكثير من المسلمات كن يبذلن مهجهن رخيصة في سبيل المبدأ والعقيدة وهن في ذلك غير ملزمات فالاسلام لم يفرض الجهاد على النساء ولم يكلفهن بشيء منه رأفة بهن وحرصا منه على فرز وظائفهن عن وظائف الرجال وتفرغهن لما تدعوهن اليه طبيعتهن الانثوية ولهذا فنحن نرى أن كثيرا من النساء المجاهدات كن يستأذن النبي في الجهاد ولا يخرجن بدون أذن منه مع حرصهن الشديد على الخروج وكأن المرأة المسلمة كانت تتوق الى ما كتب للرجل من أجر في الجهاد وتأسى لحرمانها منه فحاولت ان لاتدع فرصة الجهاد

تفوتها وهي الحريصة عليه، فخرجت تطبب وتداوي ثم تضرب وتقاتل فقد كانت المرأة في صدر الاسلام تأخذ الاسلام من منبعه الزاخر فتنطبع روحياتها وعواطفها انطباعا اسلاميا واقعيا فيهون لديها العزيز والغالي في سبيل عقيدتها ومبدئها السماوي وتقدم الضحايا من الاخوة والابناء قريرة فخورة ثم تحاول ان تقوم بنفسها أيضا بدور ايجابي في معارك الحق مع الباطل فتستأذن في شهود الغزوات وتشهدها فعلا وتبلي فيها البلاء الحسن ولم يكن موقفها ذاك الا بدافع من يقينها بالحق الذي هي عليه، وثقتها من أن النعيم السماوي سوف يضم من تفقده من الاعزاء والاحباء. هذا اليقين الذي تغلب في المرأة المسلمة في صدر الاسلام على المشاعر العاطفية التي يزخر بها قلب كل انثى فالتاريخ يحدثنا عن صفية بنت عبد المطلب بن هاشم وهي زوجة العوام بن خويلد بن اسد وقد شهدت غزوة أحد تطبب وتداوي فلما انهزم المسلمون قامت وبيدها رمح تضرب في وجوه القوم وتقول انهزمتم عن رسول الله فلما رآها رسول الله قال لابنها الزبير بن العوام القها فأرجعها لاترى ما بشقيقها حمزة بن عبد المطلب فلقاها الزبير فقال يا اماه ان رسول الله يأمرك ان ترجعي فردت عليه قائلة ولم. فقد بلغني انه مثل بأخي وذلك في الله عز وجل قليل فلما أرضانا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله تعالى فلما جاء الزبير رسول الله وأخبره بذلك قال خل سبيلها، فأتت صفية أخاها حمزة

فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت له ولم تزد.. هذا كان هو رد فعل مقتل حمزة رضوان الله عليه لدى اخته صفية لانها كانت مسلمة، وكانت على يقين راسخ من أن أخاها قد مضى على حق وقتل شهيدا في سبيل الذود عن رسالة السماء فقالت كلمتها الخالدة ذلك في الله عز وجل قليل. وأي شيء أشد هولا من أن ترى أخت صفية أخاها الشهيد حمزة وهو قتيل وقد مثلت فيه آكلة الأكباد ولكن صفية ماذا كان موقفها من ذلك كله. هل نادت بالويل والثبور، هل جزعت وأقامت الدنيا صراخا وعويلا، هل شتمت ولعنت قاتليه، هل أظهرت التبرم بالحرب هل وقفت موقف الانثى ام موقف الانسانة ، أبدا لم تقف موقف الانثى بل موقف الانسانة الصابرة صلت عليه واسترجعت واستغفرت له، فلم تكن صفية لتجزع من الحق أو تتبرم بما يفرضه الاسلام ولكنها بكته ما دامت جاهدة مقروحة ومن رثائها له قولها:

فو الله لاأنساك ما هبت الصبا
بكاءا وحزنا محضري ومسيري
فيا ليت شلوي يوم ذاك واعظمي
لدى أضبع تقتادني ونسور

كما ان موقف الخنساء بنت عمر بن الشريد من فقد أخويها قبل الاسلام واولادها الاربعة بعد الاسلام يدل بوضوح على

الروحيات السامية التي كن يعشن بها النساء المسلمات في صدر الاسلام. فقد فقدت الخنساء أخويها صخرا ومعاوية في عصر الجاهلية انتزعتهما منها أيدٍ حاقدة وحزازات عصبية قبلية فافرطت في الجزع لذلك ونظمت بهما المراثي الطوال التي ضاهت بها أكابر الشعراء ودأبت على أن تشهد سوق عكاظ في كل سنة على هودج مكلل بالسواد تنشد المراثي وتنعى أخويها القتيلين وأشعارها في رثاء صخر تشير الى لوعتها المحمومة وصبرها الذائب في أتون الحقد والضغينة ومما قالته في صخر رائية:

يؤرقني التذكر حين أمسي
ويردعني مع الاحزان نكس

على صخر وأي فتى كصخر
ليوم كريهة وطعان خلس

فلم أر مثله رزءا لجن
ولم أر مثله رزءا لانس

ألا يا صخر لا انساك حتى
أفارق مهجتي ويشق رمسي

ولولا كثرة الباكين حولي
على اخوانهم لقتلت نفسي

يذكرني طلوع الشمس صخرا
وأذكره بكل غروب شمس

وما يبكون مثل أخي ولكن
أسلي النفس عنه بالتأسي

ومما قالته في أخيها معاوية:

فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي
عليك بحزن ما دعا الله داعية

ثم تمضي السنون والخنساء لاتنفك تبكي اخويها بمرارة وأسى، حتى تشرق شمس الاسلام فتسلم الخنساء مع من اسلم وهي لاتزال تبكي اخويها ليل نهار حتى تتقرح اجفانها لذلك، فيقال لها ما قرح مآقي عينيك فتقول بكائي على السادات من مضر فيقال يا خنساء انهم في النار فتقول ذاك اطول لعويلي عليهم كنت أبكي لصخر على الحياة وأنا اليوم أبكي له من النار ثم حضرت حرب القادسية ومعها بنوها وهم أربعة فقالت لهم من أول الليل يا بني اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لااله الا هو انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا

رأيتم الحرب وقد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وجللت نارا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة..
وفعلا فقد خرج أولادها الاربعة واستبسلوا في القتال حتى قتل الواحد تلو الاخر فلما بلغها الخبر قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته... هذا هو الاسلام وهذه هي روحياته المثلى التي تحبب الى الام شهادة ابنها وتهون لديها مصابها فيه وهذه هي المرأة المسلمة التي لعبت دورها في المجتمع المسلم كانسانة وعلى حساب انسانيتها التي أقرها لها الاسلام والتي اختصت بها المرأة المسلمة في ظل شريعة الاسلام دون غيرها من النساء والامم غير الاسلامية فعندما شعرت المرأة المسلمة ان الاسلام يحلها في مجتمعه المسلم محل الانسانة ذات الكيان الخاص رأت ان عليها ان تثبت لها ذلك الكيان وان تبرهن في سلوكها عن جدارتها للمحل الذي أحلها منه فخلدت لها في صفحات التاريخ أروع آيات البطولة والفداء وقد تمكنت المرأة المسلمة في صدر الاسلام ان تبرهن على ذلك وتؤكده ويكفي المرأة المسلمة فخرا موقف الحوراء زينب عندما قالت كلمتها المأثورة وهي على جثمان أخيها الامام. اللهم تقبل منا هذا القربان ولم يكن فقيد الحوراء كغيره ممن فقدته النساء ولم تكن مصيبته كغيرها من المصائب وهو الامام والاخ والحبيب وبعد أن تقدمه الى الشهادة خيرة بني الاب والعم والاصحاب

والانصار فأي عقيدة هذه التي دفعت الحوراء الى هذا الفداء والحوراء انثى لها ما لدى كل انثى من رقة عاطفة ومشاعر حساسة ثم هي أخت وقد فقدت في فقد أخيها ركنها الركين وحصنها الامين وريحانة ابويها وجدها العظيم ثم هي أيضا مسلمة وقد شاهدت قوى الظلم تبغي على الحق وتردي بضعة النبوة والرسالة ولكن ومع كل هذا تقف على جثمان أخيها لتقول اللهم تقبل منا هذا القربان يا الله ما أقدس قربانك يا بنت رسول الله وأسمى معنوياتك يا عقيلة بني هاشم وما أروع هذا الفداء الذي افتديت به شريعة جدك ورسالة السماء فركزت بذلك اركان الدعوة الاسلامية على مدى العصور والاجيال.

بطولة المرأة في حمل الفكرة:

وأما على صعيد حمل الفكرة ونشر الثقافة الاسلامية ومفاهيم الشريعة الجديدة وأحكامها فما أكثر النساء اللواتي أخذن الاسلام من منبعه الزاخر فبشرن به ودعون اليه بعد أن تعمقن في فهم الاسلام فكن مدارس اسلامية يروين عن النبي ويروى عنهن.

وفي طليعة الراويات عن النبي والناشرات لاحكام الاسلام الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها. فقد روت عن ابيها، وروى عنها ابناها الحسن والحسين، وزوجها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام،

وعائشة وسلمى ام رافع، وانس بن مالـك، وام سلمة، وأرسلت عنها فاطمة بنت الحسين وغيرها.

وروت عن الرسول ايضا أسماء بنت عميس الخثعمية وروت عنها أم جعفر وام محمد ابنتا محمد بن جعفر. وروت عن النبي أيضا ام اسحاق بنت سليمان وروى عنها محمد بن العباس بن الوليد عن ابيه عن أمه عن ام اسحق عن ابي عبد الله. وممن روين عن النبي اسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية. وأسماء هذه كانت محدثة فاضلة، ومجاهدة جليلة، من ذوات العقل والدين والخطابة، حتى لقبوها بخطيبة النساء. وقد أتت النبي وهو في أصحابه فقالت: بأبي وأمي انت يا رسول الله أنا وافدة النساء ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبالاهك وانا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات اولادكم وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، فان الرجل منكم اذا خرج حاجا او مجاهدا حفظنا لكم اموالكم وربينا اولادكم افلا نشارككم في هذا الاجر؟ فالتفت النبي الى أصحابه بوجهه كله ثم قال: سمعتم ما بمقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا. فالتفت اليها وقال: افهمي ايتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء

ان حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله. فانصرفت وهي تهلل. وقد روت اسماء بنت يزيد هذه ٨١ حديثا عن النبي. وروى عنها ابن اختها محمود ابن عمر الانصاري، وابو سفيان مولى بني احمد، وعبد الرحمن بن ثابت الصامت الانصاري، ومجاهد بن حبيب وغيرهم.

وموقف اسماء هذا يعطينا صورة واضحة عن مكانة المرأة في الاسلام، وعن قوة شخصيتها التي اكسبها اياها الاسلام، وعن روحياتها السامية التي منحها الاسلام اس مقوماتها. وقد روت عن رسول الله ايضا فاخته ام هاني بنت ابي طالب. وقد روت ٤٦ حديثا، وروى عنها مولاها ابو مرة وابو صالح بازام وابن ابنها جعدة المخزومي وابن يحي بن جعفر وابن ابنهاهارونوعبد الله بن عياش وعبد الله بن الحارث بن نوفل وابنه عبد الله والشعبي وعبد الرحمن عن ابي ليلى وعطاء وكريب وعروة بن الزبير ومحمد بن عقيبة بن ابي مالك. وقد روت عن النبي ايضا فاطمة بنت قيس بن خالد الاكبر بن وهب القرشية الفهرية ٣٤ حديثا، وروى عنها القاسم بن محمد بن ابي بكر بن ابي الجهم وابو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبد الله بن عبيد بن مسعود والاسود بن زيد وسليمان بن يسار وعبد الله البهي ومحمد بن عبد الرحمن بن ثابت وسحيم مولى فاطمة بنت قيس وعائشة وام سلمة وغيرهم.

وكـذلك روت عن النبي ايضـا نسيبـة بنت الحـارث الانصارية وهي من نساء الصحابة، وقد روى عنها انس بن مالك ومحمد بن سيرين وعبد الملك بن عمير وحفصة بن سيرين واسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية وام سراحيل. ومن الراويات عن النبي ايضا ام مبشر بنت البراء بن مقرور الانصارية، وهي صحابية، روت عن النبي عشرة احاديث، وروى عنها جابر بن عبد الله الانصاري ومحمد بن عبـد الرحمن بن خلاد الانصاري ومجاهد بن جبير وقد روت عن النبي ايضا ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المؤمنين وقد روت عن النبي ستة وسبعين حديثا، وروى عنها ابن اختها عبد الله بن عباس وابن اختها الاخـرى يزيـد إبن شداد بن الجهاد وإبن اختها عبد الرحمن بن السائب الهلالي وابن اختها الاخرى يزيد بن الاصم وربيبها عبد الله الخولاني ومولاتها ندبة ومولاها عطاء بن يسار ومولاها سليمان بن يسار وابراهيم ابن السباق وعبيد الله بن عتبة وغيرهـم. وممن روين عن النبي ايضا ميمونة بنت سعد مولاة النبي وقد روى عنها أيوب بن خالد بن صفوان وطارق وعبد الرحمن وهلال بن ابي هلال المدني وابو زيد الضبي وآمنة بنت عمر بن عبد العزيز وزيارة بن ابي سورة وعثمان بن ابي سودة. ومن الراويات عن النبي(ص)ايضا ام سلمة أم المؤمنين، وقد روت عن رسول الله وعن ابي سلمة وعن فاطمة الزهراء ٣٨٧ حديثا، وروى عنها ابناها عمرو وزينب ابنا ابي سلمة

ابن عبد الاسد ومكاتبها نبهان واخوها عامر بن امية وابن اخيها مصعب بن عبد الله بن امية ومولاها عبد الله بن رافع ونافع وسفينة وابو كثير وابن سفينة وخيرة ام الحسن البصري ونعمان بن بشار واسامة بن زيد عن الحارثة وهند بنت الحارث الفراسية وصفية بنت شيبة وابو عثمان الهدى وحميد وابو اسامة ابنا عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن المسيب وابو وائل وصفية بنت محصن الشعبي وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابناه عكرمة وابو بكر وعثمان بن عبد الله بن وهب وعروة بن الزبير وكريب مولى ابن عباس وقبيعة بن ذؤيب ونافع مولى بني عمر ويعلى بن مملك وعبد الله بن عباس وعائشة وابو سعيد الخدري وآخرون.

انظر الى هذه المدرسة الاسلامية الحية التي كانت تتمثل في المسلمات العالمات الفاهمات، وانظر الى كفاءتهن لذلك بعد ان كانت المرأة قبل الاسلام موؤدة وهي وليدة ومملوكة للرجل، وهي امرأة ومشكوك في انسانيتها عند مختلف الامم وفي شتى الشرائع والقوانين ولكن الاسلام والمرأة في ظل شريعة الاسلام ارتفعت بكيانها وعلى حساب انسانيتها الى محل رفيع خولها ان تكون راعية للرسالة السماوية وشارحة لأحكامها وآدابها. فالمرأة المسلمة والرجل المسلم بالنسبة للرسالة والدعوة سواء، فقد امتدت اليهما معا يد الاسلام لترفعهما من وهدة الجهل والضلال، واشرقت

عليهما معا ايضا شمس الرسالة لتضيء لهما طريق الحق في الحياة ولهذا فان عليهما معا أن يعملا في سبيل الاسلام ما وسعهما عمله. وكثرة النساء المسلمات اللواتي روين عن الرسول يدل دلالة واضحة على الوعي الاسلامي الذي كان يضيء أفكار المسلمات وممن روين عن النبي ايضا ام هشام بنت الحارث الانصارية، وسبيعة بنت الحارث الاسلمية. وقد روي لها عن رسول الله اثنا عشر حديثا، وروى عنها فقهاء المدينة والكوفة كعمر بن عبد الله بن الارقم ومسروق بن الاجدع وزفزني بن أوس بن الحدثان وعبيد ابو سوية وعمر بن عتبة بن فرقد. وروت عن النبي ايضا ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب الهاشمية، وهي مهاجرة من المهاجرات الاولى، روت عن النبي وعن زوجها المقداد بن الأسود أحد عشر حديثا، وروى عنها ابن عباس وعائشة وابنتها كريمة بنت المقداد وابن المسيب وعروة بن الزبير والأعرج وغيرهم. وروت عن النبي ايضا ام الحصين بنت اسحق الاخمسية وام حكيم بنت أمية، وام اسحق الغنوية، وأسماء بنت وائلة بن الاسقف الليثية، وامامة بنت حمزة بن عبد المطلب، وامية بنت رقيقة، وانسية بنت حبيب بن يساق الانصارية، وام بجيد الانصارية وخولة بنت قيس الانصارية، وام عثمان بنت سفيان القرشية، وكثيرات غيرهن من المسلمات اللواتي كن يأخذن الاسلام من مصدره لروايته والدعوة اليه، واللواتي حملن بأكفهن مشعل الدعوة والهداية.

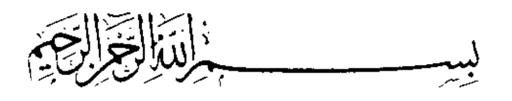
هذه هي المرأة المسلمة الانسانة في صدر الاسلام التي خلدت لها في تاريخ الامة الاسلامية اسمى ذكر واروع أثر. والمرأة المسلمة اليوم هي بنت تلك المرأة المسلمة التي عرضت صدرها لحراب الاعداء وشهدت بعينها قتل الاباء والابناء. فما الذي يقعد بالمرأة المسلمة البنت عن ان تعيد تاريخ المرأة المسلمة الام، وان تقفو خطواتها في الحياة، لاشيء غير انها افتقدت وبالتدريج ونتيجة لابتعادها عن روح الاسلام الحقيقية انسانيتها، وعادت مجرد انثى تتلاعب بها الاهواء والتيارات، وتسخرها ميول الرجال، ويستهويها كل لمح كاذب او وميض خادع، ولهذا فقد وقعت في أحابيل شائكة شوهت انوثتها وافقدتها شخصيتها كانسانة في الحياة، فهي مهما سمت ام حاولت السمو لن تتمكن ان تسمو كانسانة مستقلة ما دامت تخضع لأحكام الرجل في اتخاذ طريقتها في الحياة وتتبع ما يمليه عليها من اساليب الخلاعة الرخيصة. فما الذي يمنع المرأة المسلمة اليوم من ان تشق طريقها في الحياة ثقافة وعملا مع محافظتها على حجابها الذي يلزمها الاسلام به؟ لاشيء غير غضب الرجال لذلك، وسخطهم عليه، لانه سوف يحول دون متعة استجلاء مفاتن المرأة ومحاسنها. فهل السفور من شروط طلب العلم؟ او هل الخلاعة والتهتك من شروط الثقافة والتمدن؟ لاوالف لا ليس للسفور ولا للخلاعة اي دخل من قريب أو بعيد في العلم والثقافة ويمكن التميز بينها وبسهولة ايضا متى ما عادت المرأة المسلمة، وأحست بوجودها كانسانة لا كأداة

من أدوات ارضاء الرجل. ولكن اعداء الاسلام لن يسمحوا بفرز العلم عن السفور والثقافة عن الخلاعة، فهم يحاولون بشتى الاساليب المغرية ربط الاثنين معا ليحطوا من شأن المرأة المسلمة ومن مكانتها في العالم، ولكي لايكون بدلا عن ام عمارة واحدة الف ام عمارة، وبدلا من أروى واحدة ألف أروى وهذا ما يخشاه اعداء الاسلام وهذا ايضا ما يجب على كل مسلمة ان تسعى اليه جاهدة.

بنت الهدى

١١

المرأة مع النبي



مقدّمة

﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ النساء / ٢١

صدق الله العظيم .

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أعطى المرأة حقوقاً ومزايا لم يعطها من قبله ولا من بعده تشريع أو نظام أياً كان هذا التشريع أو النظام . فمهما بلغت معرفة المخلوق فهي ناقصة أمام علم الخالق الذي جعل الرجل والمرأة من نفس واحدة وميزهما بخصائص ـ لا تعد نقصاً في جانب دون جانب ـ يترتب عليها واجبات والتزامات ليست من باب المفاضلة ولكنها من قبيل الشيء يتمم

بعضه ويحتاج إليه ، وفي ذلك حكمة من الله سبحانه وتعالى لإعمار هذا الكون ، وإذا كان هناك مجال للتفضيل فقد بينه الإسلام في القرآن الكريم في كثير من آياته منها قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ الحجرات /١٣ .

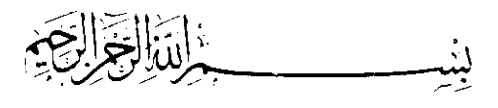
والسنة النبوية الشريفة خير دليل وأوضح برهان في معاملة الرجل للمرأة ، والرسول الكريم الذي يتجسَّد فيه الإسلام هو القدوة الصالحة لنا جميعاً حيث مارس الحياة مع المرأة زوجاً وأباً وهو الذي يقول : « ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم » .

ولا أريد أن أطيل في الكلام بل أترك للقارىء الكريم فرصة للأطلاع على ما كتبته الكاتبة الإسلامية الشهيدة السعيدة والسيدة الفاضلة آمنة الصدر « بنت الهدى » عن المرأة في حياة النبي وشريعته ليحكم بنفسه بأن الإسلام هو الذي أنصف المرأة ورفع مكانتها ويكشف زيف المتشدقين من أصحاب النوايا السيئة الذين يتباكون على حقوق المرأة متهمين الإسلام بشأنها ليغرِّروا بها

ويجعلوها متعة وأداة عمل وآلة انتاج تحت شعارات العلم والتقدم ويجرّدوها من كل القيم والمثل التي ميّزها بها الإسلام الحنيف .

فالله نسأل أن سدد خطانا ، ويوفقنا للسير على نهج النبي والأئمة عليهم السلام في كل مجالات حياتنا هو مولانا عليه توكلنا وإليه المصير .

الدار الإسلامية



نساء في حياة النبي ﷺ

كان عصرَ الظلام ، وإن كان لها عصرَ النور ، وكان عصرَ الجهل ، وإن كانت فيه أعرفَ ما تكون . كان عصر الوحشية البغيضة ولكنها كانت مثالاً للإنسانية الكاملة . فهي عقيلة خيرة شباب عصره عبدالله بن عبدالمطلب ، ومن الذي ينكر عبدالله أو ينكر من فضله شيئاً ، وهو حلم عذارى قريش ومرمى آمال الفتيات ، وقد تخيرها هي دون سواها لتكون له زوجاً ولنسله أُماً ، فمن أجدر من آمنة بنت وهب وهي المتحدرة من أعرق الأسر ، والمتقلبة في أعز أحضان ، أن تحتل هذه المكانة الفذة .

نعم كانت صاحبتنا هذه هي آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ، وقد جلست إلى ظل شجرة وارفة الظلال لتستعيد ذكرى أيام عذاب وسويعات هناء وصفاء ، وتنصت إلى صدى الزمن

الفائت ، وهو يتردد في أعماقها كأروع ما يكون الصدى ، وتستمد من ذكرى حبيبها الغائب رصيداً من الشجاعة يساعدها على مُرِّ الفراق ، فأنى لها الآن بذلك الزوج البار الذي فارقته مرغمة وفارقها مرغماً أيضاً ، وما أحوجها إليه في أيامها هذه التي توشك أن تستقبل فيها قادماً جديداً ووليداً عزيزاً . . . ما أحوجها إلى ذلك الحبيب الغائب ليهدهدها بحنانه ويشاركها آمالها وأمانيها وينتظر معها إبنهما البكر ، فها هي تكاد تستمع إلى دقات قلب جنينها الغالي وهي سعيدة لذلك لولا سحابة من ألم ظللت سعادتها لبعد الأب الحبيب ولكنها تعود لتقول عسى أن يكون اللقاء قريباً ، وهي تأمل أن يصلها خبر قدوم الغائب المنتظر في غضون هذه الأيام .

فعبدالله كما لا تشك آمنة لحظة سوف لا يألو جهداً في الإسراع بالرجوع ، وسوف يبذل كل محاولة ممكنة لإنجاز مهمته في أسرع وقت ، وقد خلف وراءه في مكة زوجة عروساً تحمل له في أحشائها جنيناً وتضم له في قلبها حباً وحنيناً ، ولهذا فلا تشك آمنة في رغبة زوجها بالأوبة السريعة وفي أنه لن يماطل في سفره ولن يتقاعد عن اللحوق بأهله سريعاً مهما طاب له المقام في الخارج ،

فهي لا تنسى أبداً ساعة إذ أقبل إليها مودعاً ، وقد أوشكت القافلة على المسير .

وهي لا تنسى أبداً أيضاً تلك الخطوط العريضة الواضحة من الحب والعطف ، وهي مرسومة على وجهه المشرق المضيء ، ولا تنسى أبداً كيف أنه مكث معها ، وكأنه لا يريد أن ينصرف ، أو كأنه لا يتمكن من الإنصراف حتى انتزعه إخوته من أمامها انتزاعاً ، وهم يهونون عليه مدة البعد ، ويمزحون معه ويتضاحكون وهي لا تنسى أيضاً كيف أنه كان يلتفت نحوها ، وهو سائر إلى حيث تنتظره العير .

وفي كل لفتة من لفتاته كانت تقرأ معنى من معاني الحب حين يلتهب ، ويشد إنساناً إلى إنسان . كان زوجها المسافر يحس بأنه مخلّف وراءه شيئاً لم يسبق لغيره من المسافرين أن خلّف مثله . . .

وكان يشعر أن آمنة وهي تحمل له جنينه الغالي ، قد بدت لعينيه في تلك اللمحات داخل إطار من نور مقدس ، ووسط هالة من الإشعاع السماوي ، ولكنه كان مضطراً إلى السفر فسافر وهو على أمل لقاء قريب .

وهكذا تستمر آمنة بنت وهب سارحة مع أفكارها وأحلامها ، وتستمر أفكارها وأحلامها معها أيضاً ، عنيفة بها مرة ، ورفيقة بها أخرى حتى تنتزعها من انطلاقتها الحلمية .

تلك أصوات غريبة وصلت إلى سمعها من صحن الدار ، وحركة غير طبيعية أخذت تدب في أرجاء البيت فتهتز لهذه الظاهرة الجديدة لحظة ، ويخامرها قليل من أمل وتساورها لمحة من رجاء .

ماذا لو كان الحبيب الغائب قد عاد هو ومن صحبه من الإخوان ، وماذا لو كان ما تسمع رجع صدى قدومهم على غير ميعاد .

ماذا لو كان عبدالله قد اختصر المدة ورجع إلى أهله وإليها ، وإلى جنينها الحبيب ، ثم تنهض متعجلة وهي بين اليأس والرجاء وتذهب متلهفة الخطى وقلبها يكاد يسبقها في المسير ، وتذهب لتسأل عن الخبر اليقين ، وتلقى سؤالها بصوت كأنه حشرجة روح . . .

ماذا هل قدم عبدالله !؟. .

فهي تشعر أن هناك واردين جُدُداً ، وهي تحس أن الدار ليست على هدوئها الاعتيادي ، ولكنها لا ترى عبدالله . وكانت تتوقع أن تبصر به قبل السؤال ، ولكنها حينما لم تر عبدالله ، وحينما وثقت من قدوم المسافرين الذين صحبوا زوجها في السفر انبعثت آهاتها كلمات سألت فيها عن عبدالله ، وتسمع الجواب وهي لا تكاد تفهم منه إلا القليل فقد أذهلتها الصدمة ، وشلت حواسها المحنة التي شعرت بها قبل أن تسمعها وعرفتها بدون أن تخبر بواقعها وكان الجواب . . لا لم يجيء عبدالله ولكنهم الآخرون ، فتعود تسأل وهي لا تعلم أنها تسأل وتستفهم وهي في غنىً عن الاستفهام . إذن فأين عبدالله وما الذي قعد به عن متابعتهم في السير . . . فيقال لها : أنه مريض وقد أفاء إلى قوم في منتصف الطريق يستضيفونه حتى يقوى على السفر وهي تسمع الجواب وتفهم منه غير الذي قيل فتنطلق روحها من فمها إلى كلمات مرة وتقول :

آه من لي بعبدالله ومن لوليدي بأبيه . وهكذا تتلاشى أحلام آمنة وينهار صرح أمانيها فنراها وقد تسربلت بأبراد العزاء بعد أن انطفأت شعلة السعادة المتوهجة في صباها الريان فهي رابضة بعيداً عن اللدات والرفيقات . .

منصرفة عن الدنيا وما فيها من مباهج . . عاكفة علـى آلامها الممضة ، منطوية تحت سماء الحزن القاتم وفي إطار من الألم المرير . . فهي لا تحيى إلا للذكرى ولا تعيش إلا على حطام السعادة المفقودة بعد أن افترقت عن رفيق دربها السعيد ، وأصبحت وهي الزهرة الناظرة رهينة الثكل الممض والحزن القاتل . فآمنة كادت بعد فجيعتها بعبدالله أن تزهد في الحياة فما عادت تشعر للحياة معنى وهي خلو من عبدالله ، وعبدالله كان لها الحياة الروحية بكل معاني الحياة ، ولكن بارقة من أمل وشعور لا إرادي أخذ يشدها للحياة التي أنكرتها ، وأخذ يشعرها بوجودها حية مع الأحياء ، ويذكرها أنها لم تمت يوم مات عبدالله ، فقد أخذت تشعر أن عليها تجاه عبدالله واجباً يجب عليها أن تؤديه ، وأن في أحشائها وديعة لفقيدها الغالي ، لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تنساها ، أو تتناساها .
وأحست أن رسالتها بالنسبة لعبدالله لم تنته بعد ، فما دام طفله معها فهي مسؤولة أن تعيش ، ولهذا فقد أقامت على لوعة مريعة وألم ليس فوقه ألم ، وما أكثر ما كانت تسترجع ذكرى أيامها مع الزوج الغالي وأيامها قبل أن يدخل حياتها وتدخل حياته ، وكيف أنه اختارها هي دون سواها مع كثرة

الإغراء الذي أحيط به من فتيات قريش ، ولهذا فما أكثر ما حُسدت عليه وما أكثر ما اعتزت به وفرحت فلم يكن عبدالله بن عبدالمطلب بالعريس الهين ، فهو غصن بني هاشم ، ومنار فتيان قريش فماذا لو لم يفرق الموت بينهما ، وماذا لو تركهما يتذوقان الهناء ، ولو إلى مدة قصيرة ، وماذا لو أمهله الموت حتى يرى وليده العزيز ، وماذا لو رحم الموت هذا الجنين الذي سوف يستقبل الدنيا أو تستقبله الدنيا ، وهو يتيم وحيد ، وهي لا تزال تذكر ساعة الوداع ولا تنسى وصايا عبدالله لها أن تحافظ على جنينها ما وسعها الحفاظ ، ولكن أين هو الآن وقد آن للعزيز المنتظر أن تبصر عينه نور الحياة ، وفعلا فقد استقبلت الدنيا محمد بن عبدالله وهو يتيم يكفله جده وتحضنه أمه الثاكلة آمنة بنت وهب ، وهي المرأة الأولى في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثم تمضي الأيام تتبعها الأسابيع والشهور وآمنة عاكفة على وليدها الغالي تفديه بالنفس والنفيس حتى بلغ السن الذي يتحتم به عليها أن تدفع به إلى المراضع ؛ فقد كان المفهوم السائد في ذلك العصر أن الطفل الذي ينمو في البادية ويترعرع في جوها الطلق يكون أشد عوداً ، وأقوى

عزيمة من الطفل الحضري ، وعلى هذه القاعدة المتبعة دفعت به أمه إلى حليمة السعدية ، وهكذا أصبحت حليمة المرأة الثانية في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رجعت حليمة وزوجها إلى أحياء بني سعد ، وهي تحمل معها طفلاً يتيماً لم تتمكن أن تحصل على غيره في الوقت الذي حصلت فيه باقي المرضعات على أطفال أغنياء استلمتهم من أيدي أبويهم محملين بالزاد والمال الوفير . . .

ومنذ أن ضمت ساعداها هذا اليتيم أحست أنه أصبح لها كل شيء وأحست أنها تود جادةً أن تصبح له كل شيء أيضاً ، وما أن سافرت به حتى بدأت تتعشقه وتفنى فيه ولم يستقر بها المقام إلا وهي تشعر بأنها تحمل معها كنزاً ثميناً دونه الكنوز ، وعرفت بدافع من أعماقها بأنها هي الرابحة الحقيقية دون سواها من المرضعات ؛ وقد بدأت تلوح لها بوادر تؤيد عندها هذا الشعور فقد عمت البركة جميع الحي وتزايد الخير بالزاد والمال ، وقد أفضت بما تراه لزوجها ونبهته إلى بوادر الخير التي أخذت تلوح لهم .

فقال لها : عسى أن يكون لهذا الغلام شأن وأوصاها

بالعناية به والحرص عليه ؛ ولكن حليمة لم تكن تحتاج إلى أي توصية فقد ازدحمت في قلبها جميع عواطف الأمومة تجاه هذا الطفل الصغير ، وتفجر في فؤادها ينبوع من الحنان لا يمكن له أن ينفد أبداً . وقد كانت تقدمه على أولادها ، وتحله في أعلى منزلة من قلبها ورعايتها وبرها وكرمها . وقد اختلقت كثيراً من المعاذير والحجج لتتمكن من استبقائه عندها أكبر مدة ممكنة فما كانت تتمكن أن تنفصل عنه أو أن يفارق أحضانها ويبعد عن ساعديها ، فقد كان بالنسبة لها ينبوعاً للخير والبركة السعادة والهناء .

وكذلك كان محمد بن عبدالله أيضاً فهو يحبها ويركن إليها ويحترمها صغيراً وكبيراً ، ويحفظ لها جميلها بكل احترام ، وقد عاشرها سعيداً وفارقها غير قالٍ ، ولا عاتب ، وقد بقي يذكرها بالخير والاعزاز حتى بعد النبوة ، فقد كـ ن صلوات الله عليه يناديها بيا أمي ، وإذا أقبلت إليه أفسح لها مجلساً إلى جواره ، وقد يتفق أن يهوي على صدرها فيقبله وهو أكثر ما يكون براً بها وحدباً عليها . .

ثم يرجع محمد بن عبدالله إلى كنف أمه وجده لكي يحظى برعاية الأم في أوائل صباه ولكي ينشأ في ظل جده

وتوجيهاته . ولكن القدر سرعان ما يقف معه مرة أخرى لينتزع منه أمه ، وهو لا يزال طفلاً طري العود . . يصحبها في سفرةٍ تقصد بها أخواله ومعهم وصيفتها الأمينة أم أيمن ؛ وفي وسط الطريق ، وبين أميال مترامية وصحراء لا متناهية يمد القدر يده لينتزع منه آخر ركيزة له في الحياة فتلحق العلة بأمه وينتزعها الموت من بين يديه .

ويعود محمد الصغير يتيماً مرة أخرى أو بعبارة أخرى يتيماً مرتين ولا تمهله يد الزمن حتى تفقده جده البار الذي كان يعوضه بحنانه عن حنان الأبوة وبعطفه عن عطف الأمومة . وعند هذا يكفله عمه أبو طالب ويفتح له بيته وقلبه ويفسح له في مكانه وحنانه .

وتكفله فاطمة بنت أسد زوجة عمه الكريمة كأحسن ما تكون الكفالة . تحله في المحل الرفيع من قلبها ورعايتها وتمد له يد العون والحدب بكل ما تستطيع .

وفاطمة هي المرأة الثالثة في حياة الرسول العظيم فلم تكن تحس أن محمداً يختلف بقليل أو كثير عن أولادها الباقين ، بل إنها كانت تحس بأن لمحمد شأناً يخوله أن يحتل الصدارة في قلبها ، وعواطفها ، وكانت

تتابعه بعينها وهو ينمو إلى الشباب الزاهر ، ثم يكتمل شبابه ويغدو رجلاً ملء السمع والبصر .

كانت ترى فيه حصناً ورصيداً روحياً لها في مستقبل أيامها وكانت تستمد من وجوده العزيمة والمضاء . ولشد ما كانت تعتز بأن تراه وهو يحتضن وليدها الغالي علي فهي فخورة بهذا الاحتضان الروحي ومتفائلة به خيراً .

فمحمد هو أول شخص ابتسم له ابنها علي بعد إذ خرجت به من الكعبة ، وهي تحمله بين ساعديها الحنونين ، فهي لا تنسى أبداً أن علياً ولد في الكعبة وفي أشرف بقعة فيها ، وها هو عليُّها العزيز ، وقد أخذ ينمو ويترعرع تحت رعاية وتوجيهات ابن عمه الصادق الأمين محمد بن عبد الله ومحمد رسول الله أيضاً بعد إذ غدا شابا .

وفي أوج شبابه لم يكن لينسى لفاطمة بنت أسد حبها ولم يكن ليتنكر لحنانها مطلقاً ، فهو لها كولدها في كل أدوار حياته وفي كل أحواله ، وقد استخلص لنفسه ولدها علي بعد إذ عمت المجاعة في مكة .

وكان عمه أبو طالب كثير العيال مرهقاً بتكاليف

العيش ، وكان رسول الله قد استقل في ذلك الحين ببيته ومع زوجه خديجة ومنذ أن فتح لابن عمه بيته وقلبه لم يفترق عنه يوماً واحداً في كل الظروف والملابسات .

وكانت فاطمة بنت أسد ترى هذا الامتزاج العاطفي بين ابنها وابن عمه فتسر له ، وتفرح فيه فهي تُكْبر محمداً وتعجب فيه وتعتمد عليه ، وتركن إليه ، وكان الاثنان يحلانها محل الأم لا فرق بين ابنها وابن عمه .

فقد جاء في الروايات أن الإمام علي بن أبي طالب لما أخبر رسول الله بوفاة أمه قال : إن أمي قد توفيت يا رسول الله ، فيرد عليه رسول الله بل أمي أيضاً يا علي . . وناهيك عما تحمل هذه الكلمة من تسلية للإبن الفاقد أمه ، وما تعطي للأمة من دروسٍ في الوفاء والإخلاص ، وحفظ الجميل ، وقد أعطاها ثوبه المبارك لتلف به مع كفنها كي يكون لها ستراً ومعاذاً ، وجلس على قبرها بعد أن انفض الجمع ، وأخذ يدعو لها ويسأل الله أن يجزيها عنه خيراً ويستعيد في فكره أيامها معه ، إذ هو طفل صغير ، وحنانها عليه حينما كان يتيماً وحيداً ، ورعايتها له وهو شاب فتي . وأخيراً قام عن قبرها وهو حزين كئيب .

فقد كانت هي المرأة الثالثة التي دخلت في حياته صلوات الله عليه والتي نشأ في ظلال عواطفها إلى حين استقر به المطاف عند قرينته خديجة بنت خويلد .

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وقد كانت سيدة نساء عصرها كمالاً وجمالاً ومكانة ، وكرامة ، فهي سليلة دوحة ثابتة الفروع ، وفرع شجرة عميقة الجذور ، وقد عرفت بين قومها بسمو الروح وعلو الهمة وقوة الشخصية ، وثبات الفكرة وصواب الرأي ، وقد كانت مع كل هذه الثروات المعنوية والأدبية ثرية في مالها أيضاً ، وقد كانت تفتش عمن تستودعه المال ليتاجر لها به على أن يكون أميناً صادقاً مخلصاً . فهي جادة في طلب ضالتها من بين شباب قريش وشيوخها ، وبما أنها امرأة لا تتاح لها المراقبة الدقيقة كانت تحتاج إلى صاحب ثقة تتمكن أن تودعه مطمئنة مرتاحة .

ومحمد بن عبدالله كان يفتش بدوره أيضاً عمن يدفع له مالاً يتاجر له به . فهو وإن كان فتى قريش الأول ومحط أنظارهم جميعاً ، ولكنه لم يكن ليستغني عما

يحتاج إليه غيره من رجال قريش . ويسمع كما يسمع غيره أن خديجة بنت خويلد تفتش عمن يتاجر لها بمالها فيتقدم إليها عارضاً عليها استعداده للقيام بهذه المهمة .

وخديجة بنت خويلد تلاقي عرضه بالقبول بل بالرضاء ، والاطمئنان فهي تعرف محمد بن عبدالله وتعرف عنه الكثير أيضاً ، ولم يكن في مكة من لا يعرف محمداً الصادق الأمين .

فخديجة راضية لهذه الشركة ومتفائلة بها خيراً وتدفع له أموالها ، وهي واثقة من أنها قد سلمتها ليد أمينة حريصة على أداء الأمانة ، ولذلك فقد أخلدت إلى راحة نفسية عميقة وظلت تنتظر رجوع محمد بن عبدالله وغلامها ميسرة الذي أرسلته مع محمد ، ورجع محمد ورجع معه ميسرة

وكان صلوات الله عليه يحمل لها معه الربح الزاكي الوفير وتخلد خديجة بنت خويلد إلى غلامها ميسرة تسأله عمن رافق في السفر وتلحف عليه أن يشرح لها كل ما وجده منه وما رآه عليه ، وهي على شبه يقين من أن غلامها سيقص عليها من أمر رفيقه عجباً ، وغلامها مندفع يعدد لها مناقب محمد ، ويصف لها حركاته وسكناته والإعجاز في

سلوكه ، وأسلوبه وكل شيء فيه ، وهي منصتة له بقلبها وفكرها وبكل جارحة فيها تستزيده ولا تنكر من حديثه شيئاً ، ولا تستغرب منه خبراً ، فهي قد عرفت أن محمداً بن عبدالله رجل لا كالرجال وقد سمعت عنه ما جعلها على يقين من أن له في مستقبله شأناً سماوياً .

وخديجة في ذلك الحين امرأة في نهاية العقد الرابع من عمرها ، وكانت قد تزوجت ومات عنها زوجها ، وهي في ريعان الشباب .

خديجة بنت خويلد ـ وقد أثرت عليها شخصية محمد بن عبدالله ، واستولت على أفكارها وأمانيها روحه السامية بكل ما فيها من معاني الكمال ـ تود من صميم قلبها أن تقرن به حياتها الثمينة ، وأن تكون له كأروع ما تكون الزوجة الوفية المخلصة .

نعم خديجة بنت خويلد الغنية بمالها وجمالها وعزها ، ومجدها تبعث إلى محمد بن عبدالله الصادق الأمين وتطلب إليه الزواج حباً في شخصه ، وتفانياً في روحه ونفسه .

وقد كان صلوات الله عليه في ذلك الحين شاباً في

أواسط العقد الثالث من عمره المبارك وهو يتمتع بكل معاني الكمال من الجمال والعزة والكرامة وسمو المكانة وعلو الرتبة وقوة الشخصية وقد كان يتمكن بسهولة أن يخطب له أي فتاة من فتيات قريش مهما علت بشأنها وجمالها .

فهو منار شباب قريش والمقدم عليهم في كل مضمار ، ولكنه بدافع خفي وجد نفسه يندفع إلى خديجة بنت خويلد السيدة التي تكبره بخمسة عشر سنة متجرداً عن العواطف الشهوانية ، والأهواء المادية مترفعاً عن كل ما يصبو إليه غيره من متعة جسدية ، وغايات رخيصة .

فهو كان يرى في الزواج شركة روحية مقدسة لا تطغو عليها المادة ولا تتحكم فيها النزعات الحيوانية .

فالزواج في نظر الرسول الأعظم امتزاج روحين ، ووحدة هدف ، وغاية وتعانق قلبين طاهرين قبل أن يكون صلة جسدية . .

ومن أجدر من خديجة بنت خويلد بأن تحتل في قلب محمد وفي حياته مكان الصدارة ، وفعلاً فقد دخلت خديجة في حياة رجلها الخالد كإمرأة رابعة ، ولكنها لم

تدخل في حياته وهو محمد بن عبدالله فحسب ، بل وهو رسول الله وخاتم أنبيائه أيضاً .

وهكذا كانا مفترقين ثم جمعهما القدر السماوي دون أن يشعرا ليضم ثروة خديجة إلى دعوة محمد ؛ وما أحوج الدعوة إلى رصيد تسلك به الطريق ، وقد وجد كل منهما ضالته المنشودة في قرينه وصفيه ، فخديجة بنت خويلد ربيبة الترف والدلال والمتقلبة في أحضان النعمة والثراء ، تفنى في رجلها الحبيب الفقير وتتعرف في كل لحظة على معنى من معانيه ، يزيدها فناءً فيه ويحبّب إليها ذلك الفناء .

ومحمد بن عبدالله أحسن رجال قريش شكلاً وأعرقهم أصلاً وأصدقهم لساناً وأقواهم جناناً وأذيعهم صيتاً وأعلاهم درجةً وهو في الخامسة والعشرين من عمره الشريف يخلص لزوجته الوفية خديجة وهي في الأربعين من عمرها المبارك . يخلص لها خلوص الزوج الواثق ويركن إلى حنانها وعطفها ركون الإبن إلى أمه .

وخديجة هي رابعة امرأة دخلت في حياته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن أتراه كان نسي النساء الثلاث اللاتي تقدمنها . .

أتراه قد أهمل ذكرهن أو تجاهل وجودهن في حياته الماضية ؟

كلا ؛ فإن محمداً بن عبدالله لم يكن من النمط الذي ينسى من أحبوه ، أو يتجاهل ذكر من لم يتجاهلوه .

وما أكثر ما كان يسرح مع أفكاره في ساعات عزلته ، ويرجع بها إلى الوراء إلى أيام حداثته ، وصباه الأول ، من عهد أمه آمنة إلى مرضعته حليمة ، إلى زوجة عمه الكريمة فاطمة بنت أسد ، ويقف معهن عند كل لمحة حب ، أو لفتة عطف ، ويدعو لهن بالرحمة والغفران . وكان يرى حياته الماضية ، وكأنها شريط يتتابع ويتلاحق أمام عينيه بكل ما يحمل هذا الشريط من إكرام وآمال ومحن ، ومصاعب .

ثم يعود ليستقر بأفكاره عند واقعه الحالي ، ويُركِّز على خديجة هذه السيدة الطاهرة التي يحس بها كقوة خفية تشد ظهره ، وتسند كيانه ، وكأنه كان يعلم أنها سوف تقف معه ، إذ لا واقف غيرها ، وتصدقه حين لا مصدق سواها . وتمضي السنون تتلاحق ، والأحداث تتابع ومحمد بن عبدالله هو وخديجة بنت خويلد يشقان

طريقهما معاً في الحياة وقد ظللتهما سماء الحب وأحاطتهما يد الاخلاص والوفاء .

وكان صلوات الله عليه كثيراً ما يعتكف الساعات الطوال في غار حراء ، يعتزل بها الدنيا بروحه وفكره ، وجسده ، ويروح يسبح في ملكوت السماوات .

وما أكثر ما كانت تستبطئه خديجة وتفتقد قدومه في وقته المعين ، فتذهب بنفسها غير واثقة من أن تنيب عنها خادمه أو ترسل دونها رسولاً . تذهب لتفتش عنه في الأماكن التي تعلم انه يزورها دائماً ، وخصوصاً غار حراء .. فقد كان هو الخلوة المفضلة لدى رسول الله (ص).

وقد كانت خديجة تحمل له بيدها الطعام والماء ولا تذهب إلا للإطمئنان على سلامته ، فقد كانت تشجعه على هذا الاعتكاف لثقتها من أن وراء هذه الخلوات رسالة مقدسة سوف يحملها بعلها الغالي .

ولذلك فلم تكن تتبرم لغيابه أو تعتب عليه وكانت تشعر بروحها وهي تذهب معه أينما ذهب ، فهي معتكفة معه في الغار ، وهي سارحة وإياه في البراري والقفار ،

فإن فاتها أن تسايره جسمياً فإنها لم تكن لتفارقه روحياً ، وفكرياً .

وكانت تتابع حركاته وسكناته بعينها الساهرة الحنون وهي رفيقة به عطوفة عليه . .

وفي أحد الأيام يدخل على خديجة زوجها المصطفى بعد أن كان قد أمضى في غار حراء الساعات الطوال ، فتنشط لاستقباله هاشَّة باشَّة ولكنها تنكر منه حاله ولونه وتنكر منه ما يبدو عليه من ضعف وإعياء ، فهو شاحب اللون مجلل بالعرق ، ويطلب إليها أن تدثره ، وهو يرتعد . فتدثره خديجة وهي ملحاحة في التعرف إلى ما يخامره ، فلم تعهد بمحمد ضعفاً ، ولم يصدف لها أن رأت الاضطراب بادياً عليه كما تراه الآن وهي تعلم أن زوجها الحبيب لا يضعف ، ولا يتخاذل لأي سبب مهما كان مؤثراً ومهما كان صعباً . ولذلك فهي تسأله في إصرار وإلحاح وهو يتهرب من الجواب ويماطل في الرد ، ولكن خديجة الزوجة وخديجة الرفيقة والصديقة تأبى إلا أن تتعرف إلى حاله ، وتفهم السبب كيما لا تتأخر عن موقفها الطبيعي في السير معه في كل مضمار ، وإلى كل غاية .

وأخيراً يخبرها الرسول بما سمع ويشرح لها ما أحس ويقص عليها خبر الروح الذي فاجأه في غار حراء وقال له : إقرأ فيجيبه ما أنا بقارىء فيكررها عليه ثلاثاً ، ويرد الجواب نفسه ثلاثاً أيضاً فيقول ، الروح :

﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ صدق الله العظيم .

وهنا تسأله خديجة وهي في نشوة روحيه نشطة : ألم تسأله من أنت ، ألم تسأله عن إسمه ؟ فيجيبها صلوات الله عليه قائلاً : سمعته يقول : أنا جبرئيل جئت أبلغك رسالة ربك ، ثم يردف ، وكأنه يريد أن يبث خديجة ما يحس وأن يشاركها بأفكارها

قال : لقد خشيت على نفسي .

فتجيبه رضوان الله عليها باندفاع وحماس

كلا والله ، ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة .

بهذه الكلمات البليغة الحكيمة ردت خديجة على زوجها مشجعة مصدقة ، وكلها اطمئنان إلى صدق محمد بن عبدالله ، ثم ينزل عليه الوحي ليأمره بأن ينذر وأن يبلغ ويدعو إلى رسالة السماء ، وينهض رسول الله لكي ينـذر وتنهض خـديجـة أيضـاً تهب معـه بكـل طاقاتها وإمكانياتها المعنوية ، والعاطفية ، والمادية .

ومضت تواكب سيره المبارك في كل مضمار ، وعندما خرج ليصلي في المسجد لأول مرة ، وخرج معه ابن عمه علي بن أبي طالب (ع) ، كانت خديجة ثالثتهما في الصلاة لم تقعد بها خيفة ولم يثنها عن اندفاعها الإسلامي تردد أو شك فهي تعرف محمداً كما لا يعرفه غيرها من الناس ، وتثق فيه ثقة مطلقة .

وهذه إحدى نواحي الإعجاز في النبي ، فإن أكثر عباقرة التاريخ كانوا يعانون الأمرَّين من تصرفـات زوجاتهم ، وعدم تصديقهن بعبقريتهم ، فإن الإنسان الاعتيادي مهما كان عبقرياً فذاً لا يمكن له أن يخلو من نقص ، ونقاط ضعف إذا فرض فأمكن له أن يخفيها عن

كل أحد لا يمكن له أن يخفيها عن زوجته التي هي أقرب الناس إليه ، ولكن بالنسبة إلى رسول الله وزوجته خديجة انقلبت هذه القاعدة فأصبحت الزوجة أول مصدقة ومؤيدة لأنه صلوات الله عليه كان فوق مستوى غيره من الرجال مهما كانوا عباقرة وأفذاذاً ، فكلما كان الشخص قريباً منه كان أكثر حباً له ، وأكثر عقيدة وأرسخ إيماناً برسالته ، ودعوته .

فقد كانت عواطفه الإنسانية عامة شاملة لكل نواحي الحياة سيان في علاقاته الداخلية ، أو الخارجية . حتى أنه كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه .

وإذا لقيه أحد فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده .

وكان أشد حياء من العذراء في خدرها .

وكان أصبر الناس على أقذار الناس .

كان عطوفاً على كل ضعيف باراً بكل مسكين ما ضرب أحداً وما نهر خادماً قط .

وقد روي عن أنس أنه قال : خدمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ، ولا قال لي لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء تركته لم تركته .

وحتى زيد بن حارثة الذي خطف من أهله وهو صغير ثم اهتدى إليه أبوه واهتدى هو إلى أبيه على لهفة الشوق بعد اليأس من اللقاء ، فلما خُيِّر بين الرجعة إلى أبيه وبين البقاء مع الرسول اختار البقاء مع السيِّد عن الرجعة إلى الوالد ؛ وشق عليه أن يفارق ذلك الرصيد العامر بالعطف والحنان ؛ والذي غمره بحبه ومواساته ، إذ هو ضعيف شريد لا يرى ذويه ، ولا يدري من هم ذووه .

وحتى مولاه ثوبان ، والمولى في أغلب الأحوال يكون كارهاً لمولاه حاقداً عليه قالياً له نظراً لما يحسه من تقدم سيده عليه ومالكيته له ، ولكن ثوبان نحل وظهر عليه الحزن في ليله ونهاره فلما سأله صلوات الله عليه عن سبب ذلك قال : قرب منيتي وخوفي من فراقك لأنك في الجنة سوف تكون في درجات الأنبياء فلا أستطيع أن أراك

ولهذا نزلت الآية الكريمة التي تبشر المؤمنين المخلصين بصحبة الأنبياء الصالحين ، «**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع**

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً.» النساء/٦٩.

هذه نواحٍ تكشف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما هو إنسان كامل حتى في نظر زوجته ومولاه ومرافقه، هؤلاء الذين تنكشف لهم على الخصوص أخفى نواحي النقص، وأدق نقاط الضعف.

هكذا كان صلوات الله عليه في نبوته وقبلها.

هكذا كان في محيطه الضيق، وفي محيطه الواسع.

ولهذا ولكونه الرجل الكامل والإنسان الكامل، بعثه الله بالنبوة، وحمله ثقل أقدس رسالة بعثت للناس.

وهكذا بُعث محمدٌ الرجل الأول والإنسان الأول ليكون النبي الأول. وكانت خديجة من ورائه تساند وتعاضد. فما أكثر ما امتحنت وإياه، وما أكثر ما شدد عليهما الكفار وتهددت حياتهما بالخطر، وما أكثر ما رجع إليها الرسول وهو مصاب بجروح ورضوض من قبل الأعداء ولم تكن لتزيدها هذه الأحوال إلا صموداً ولم تكن لتهبها إلا قوةً وعزيمةً وثبات إرادة

فقد نفذ نور الإسلام إلى الأعماق من روحها وفكرها فاستنارت بنوره واهتدت بهداه ومن خصائص الإسلام

ومميزاته بوصفه عقيدة ثورية تتسق مع الفطرة والعقل وتغمر الوجود الإنساني كله أنه إذا استقر في قلبٍ ، وأي قلب كان ، فتح أمامه أبواباً للتضحية والفداء . فما أكثر النساء المسلمات اللاتي قدمن الضحايا من الآباء والأبناء وهن أكثر ما يكن ثباتاً وقوة . بل وكن يستهن بالموت من أجل القضية الإسلامية أمثال أم عمار بن ياسر التي صمدت على كلمة الإسلام أمام كل الوسائل الوحشية التي اتخذت لتعذيبها والتنكيل بإبنها وزوجها ، وكان رسول الله يمر عليهم وهم يعذبون فتطفر الدموع من عينيه ويبشرهم بالجنة نزلاً . وكثير غيرها من النساء المسلمات اللاتي اعتنقن الإسلام في أحرج أدواره وأشدها ولكن المجال لا يتسع لنا لذكرهنّ جميعاً ولعلنا سوف نلتفت إلى هذه الناحية من حياة المرأة المسلمة في رسالة خاصة تبين مواكبة المرأة للإسلام وأثرها في الدعوة الإسلامية .

فقد كانت المرأة المسلمة تذهب إلى ساحات الجهاد لتشجع إخوتها وأولادها على خوض غمار الحرب وهي معهم تطبب وتداوي وتسقي العطشى وتعين المصاب . ولا يزيدها فقد الأولاد والأخوة والأعمام إلا حرصاً على الإسلام وتفانياً فيه .

وقد كانت المرأة المسلمة تسمع بأذنيها نعي أعزائها وأحبائها وهي لهفانة في الوقت نفسه للإطمئنان على سلامة رسول الله . وعلى هذا فلا عجب إذاً إذا كانت خديجة زوجة الرسول أول مصدقة به وأقوى ساعد لديه . والواقع أنني حينما أراجع سير النساء المسلمات في صدر الإسلام وأقرأ تضحياتهن ومواقفهن أكاد أسأل جادةً هل نحن مسلمات حقاً .

هذا الإسلام هو الذي نوَّر قلب خديجة بعد إذ انبثقت أنواره من غار حراء ومن بيتها هي بالذات . ولهذا فقد كانت خديجة (رض) جديرة بهذا الاندفاع الإسلامي وهي التي اصطفت محمداً لنفسها منذ زمن بعيد ، وبعد أن عرفت أنه صاحب رسالة مقدسة ، ولذلك فهي لم تفاجأ ولم تستغرب عند سماعها بخبر الوحي الذي نزل على زوجها في غار حراء . وقد قنعت من زوجها بكلمات قلائل سرعان ما صدقته بعدها وآزرته وهي أقوى ما تكون فكرة راسخة مركَّزة ، وإحساساً فياضاً صادقاً .

واستمرت خديجة أم المؤمنين تحيا بحياة الرسالة المحمدية وتستهين في سبيلها بكل المصاعب والمحن ، وقد بذلت في هذا الطريق كل ما تملك من مال حتى

أصبحت وهي الغنية الواسعة الثراء فقيرة لا تملك شيئاً ، وقد استنفدت بدعوتها رصيدها الضخم من المال ولم يبق منه حتى النزر القليل . فهي تطوي جوعاً إذا طوى النبي وتشبع إذ يشبع بالذي يشبع فيه ، وهذا يبيِّن مدى التفاوت بينها وبين باقي أمهات المؤمنين . الفارق الذي جعل رسول الله يحن إليها إلى آخر يوم من حياته الشريفة .

فهي قد بذلت للإسلام كل ما تملك يوم كان الإسلام وحيداً . وصلَّت مع رسول الله يوم لا مصلِّية غيرها . بينما احتجت أمهات المؤمنين الأخريات على النبي ، بعد أن عمت كلمة الإسلام جميع البقاع وطالبن بزيادة النفقة وتوسيع المعيشة عليهن ؛ ولم تثنهن نصائح النبي عن ذلك حتى أنه جاء في الروايات أن أبا بكر دخل على النبي (ص) ومعه نساؤه فوجده حزيناً وعرف السبب في ذلك فقام على ابنته يريد أن يجأ عنقها لأنها آلمت الرسول واعترضت طريق دعوته بمطاليبها المادية حتى نزلت الآية الكريمة[1] التي خيرت نساء النبي بين متاع الحياة الدنيا وبين رسول الله (ص) فاخترن صحبة الرسول الأعظم بعد أن قُطعت أمامهن السبل . وقد كانت خديجة صلوات الله

(١) سورة الاحزاب آية ٢٨-٢٩

عليها لا تألو جهداً في بذل يد العون للدعوة الإسلامية بكل ما يسعها ذلك . وقد حدث مثلاً أن فرضت قريش على بني هاشم حصاراً في منطقة تسمى بمنطقة الشِّعب أو شِعب « أبو طالب » وقد منعوا عنهم في هذا الحصار الماء والزاد ، وكان الموت جوعاً يهدد جميع بني هاشم لولا أموال خديجة فإنها كانت تبعث من يشتري لهم الطعام سراً وفي أغلى ثمن ، تستنصر وتستعين بأولاد إخوتها وأخواتها على ذلك ، وبذلك أمَّنت الغذاء لبني هاشم المحاصرين في الشعب .

فلهذا ولغيره من المواقف الفذة في تاريخ الإسلام احتلت رضوان الله عليها الصدارة في قلب النبي وفي حياته الشريفة .

وقد توفيت رضوان الله عليها في السنة الثالثة عشر للبعثة وقد حزن عليها رسول الله (ص) حزناً عظيماً وكانت وفاتها في عام وفاة عمه « أبو طالب » ، ولذلك فقد سمِّي ذلك العام بعام الحزن لحزنه على فقدها وفقد عمه « أبو طالب » . نعم توفيت خديجة المرأة الرابعة التي دخلت حياة النبي في أحرج أدوارها لم تخرج من حياته أبداًفقد خلَّفت له أغلى وأثمن ذكرى مقدسة ، وهي الصدِّيقة

الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وقد جاء في بعض الروايات أنها خلفت للنبي أربع بنات هن زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة (وسوف نناقش هذا الموضوع في محله إنشاء الله) . وقد أصبحت الزهراء قطب الرحى في حياة أبيها العظيم حتى أنه كان يسميها بأم أبيها . وقد قامت منه مقام البنت والأم فهي تجهد أن تعوضه بحنانها عما افتقده بافتقاد أمها خديجة ، وهي تسعى أن تكون لرسالته كما كانت أمها من قبل . لم تمنعها حداثة السن عن التعرف إلى جميع مشاكل أبيها وآلامه مهما كانت المشاكل مهمة ومهما كانت الآلام هائلة . لم تضعف ولم تهن ولم تتردد أو تتراجع . وقد جاء في رواية عن ابن مسعود قال : بينما رسول الله يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلى[1] جزور بني فلان فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه . فلما سجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضعه بين كتفيه

(١) السلى : جمعها أسلاء ، جلدة يكون ضمنها الولد في بطن أمه إذا انقطع في البطن هلكت الأم والولد . يقال : « انقطع السّلى في البطن » أي ذهبت الحيلة وعظم الويل.

« المنجد » .

فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر ، لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهره . والنبي ساجد لا يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تؤنبهم على ذلك .

هذه إحدى الروايات التي تدل على منزلة الصديقة في قلب أبيها ومحلها من دعوته ورسالته وكأنها قد شعرت مع حداثة سنها بأنها مسؤولة عن أن تكون المرأة الخامسة في حياة رسول الله (ص) فقد واكبت سيره بكل شجاعة وإقدام .

ونحن الآن لا نكاد نتصور مدى ما كانت تتطلبه من شجاعة ، هي وجميع المسلمات في ذلك العصر .

فنحن الآن ، وبعد أن عمت كلمة الإسلام جميع الأقطار الإسلامية والحمد لله ، لا تكاد تجرؤ إحدانا أن تجهر بالكلمة الإسلامية صريحة واضحة . وكانت الزهراء صلوات الله عليها قد انصهرت بأفكار الإسلام روحياً وفكرياً فقد كانت وهي بنت أعظم رجل عرفه التاريخ وريحانته الغالية والتي كان النبي يدعوها بأم أبيها ويقول : فاطمة بضعة مني من أرضاها فقد أرضاني ومن أغضبها فقد أغضبني . وكان يقول حينما يقبلها إني أشم منها رائحة

الجنة ، وهي الحوراء الإنسية ، وكانت عنده بمنزلةٍ ما فوقها منزلة . فكانت آخر من يراه عند سفره وأول من يلقاه عند رجوعه من السفر . وكانت هي من انحصر فيها نسله صلوات الله عليه ولم يكن رسول الله(ص)يجهل ذلك .

نعم كانت هي هكذا وكانت أكثر من هذا ولكنها ومع كل هذه المميزات الروحية والمعنوية كانت بسيطة في إسلوب حياتها لا تكاد تختلف عن أي امرأة فقيرة ، فبيتها متواضع للغاية لا يحوي إلا النزر القليل من الأثاث الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه .

فهي مثال المرأة المسلمة المترفعة عن المواد الدنيوية والصاعدة بروحها وروحياتها إلى أفق الكمال وسماء العصمة والفضيلة . فإن النفس البشرية إذا استنارت بنور الإسلام وإذا نفذت إلى مكنوناتها تعاليمه وحِكمه استغنت بمعنوياتها عن كل ما تحتاج إليه النفوس الضعيفة من مقومات لشخصيتها .

نعم هكذا كانت فاطمة الزهراء وهي ريحانة النبوة وزهرة الهاشميين فتاة ترعرعت في أحضان الأبوة الرحيمة ، وهكذا كانت وهي عروس تزف إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

عليه السلام . فقد خطبت إلى أبيها من قبل كثيرين كان منهم أكابر الصحابة والرسول يردهم بشتى الحجج والمعاذير ويقول لهم أنه ينتظر فيها أمر السماء فقد كان صلوات الله عليه يعلم أن نسله قد انحصر في فاطمة، وأن فاطمة وبعلها وأبناءها هم الذين سوف يكونون الامتداد لرسالته ولدعوته السماوية . ولهذا فقد كان ينتظر الرجل الجدير بتحمل هذه المسؤولية فلم يكن يتوخى في زواجها مالاً ولا ثراءً ولكنه كان ينتظر لها الكفء .

وفي يوم مبارك ، وبعد أن كان النبي صلى الله عليه وآله قد رد كل من تقدم لخطبة الزهراء وبما فيهم أبو بكر وعمر ، أقبل علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى رسول الله (ص) كما كان يقبل ، فيحييه ويجلس إليه كما كان يجلس ، ولكن الرسول يحس أن ابن عمه قادم لأمر هام وقد عرف ذلك بفراسته الشخصية وبالإيحاء النبوي . فيقبل عليه وهو يسأله متلطفاً مشجعاً وكله حب وحدب على الشاب العزيز الجالس أمامه . هذا الشخص الغالي الذي آخاه واصطفاه والذي فتح له قلبه رضيعاً ومهد له بيته صبياً .

وها هو الآن يوشك أن يسلمه أغلى شيء عنده وأعز

مخلوقة عليه ، ثم يقول : ما حاجة ابن أبي طالب وما الذي يشغل فكرك يا ابن العم ؟ وكانت هذه الكلمات الرحيمة هي التي شجعت ابن عم الرسول على أن يقول بصوت خفيضٍ وهو يغض بصره أمام رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : ذكرت فاطمة بنت رسول الله ، ثم يسكت ولا يقوى على الإفاضة أكثر مما قال ، فيجيبه الرسول وهو على ما عليه من بِشر ورقّةٍ لا متناهية مرحباً وأهلاً . ويسكت لحظة ليعود فيسأله حدباً مشفقاً وهل عندك شيء ؟ فيجيبه علي وهو لا يزال مغضٍ ببصره إلى الأرض ، لا يا رسول الله . فيمسك الرسول لحظة ثم يتذكر أن علياً أصاب درعاً من مغانم بدر فيعود ليسأله أين درعك الذي أعطيتك إياه يوم كذا ؟ فيجيب علي وقد غلبه التأثر لما يلقى من برٍّ النبي ورعايته وما يلمس من روح ابن عمه وصفائها وهو يعلم أنه جاء يخطب إلى النبي(ص)فاطمة التي هي أعز مخلوقة عند رسول الله ، فيجيب : هي عندي يا رسول الله . فيقوم النبي صلوات الله عليه ثم يدخل على ابنته الغالية ليرى رأيها فيما يطلبه ابن عمه وأخوه ويقول لها متلطفاً رفيقاً باراً : يا عزيزة أبيها الغالية لقد ذكرك ابن

عمك علي فما رأيك في هذا يا بنتاه . والزهراء كانت تعرف ابن عمها علياً . وتعرفه كما لا يعرفه غيرها من الناس .

فهو سيف أبيها ودرعه والفادي له بنفسه ، والبائت على فراشه ، وحامل لوائه . هذا عدا أنها كانت تسمع دائماً مدحه والإعجاب فيه من رسول الله(ص). وكانت تشعر دائماً وأبداً أن ابن عمها علياً هو أقرب المسلمين للرسول وأحبهم إليه وهي الآن على ثقة من أن رسول الله (ص)راغب في هذا محبذ له ،وإلا فما كان ليسألها عن رأيها فيه ، فما أكثر ما خطبت إلى ابيها قبل اليوم وكان يردهم دون أن يسألها عن رأيها في الخطاب . وعلى هذا ولكونه جاء ليرى رأيها في علي بن أبي طالب ، عرفت الزهراء صلوات الله عليها رأي أبيها في علي وفي هذه الخطبة ؛ ولكنها مع هذا تسكت ولا تتمكن أن تجيب ، فما عساها أن ترد على رسول الله (ص) وحياؤها العذري يمنعها من التصريح بما تريد ، ورضاؤها بهذا الخاطب وقبولها لهذه الخطبة يمنعانها من الرفض فتطرق إلى الأرض ولا تجيب .والرسول (ص) في كل هذا يتطلع إليها ويقرأ ما ينطبع على ملامحها من أحاسيس وانفعالات

ويشعر أنها راضية ، ويحس أنها مرتاحة مسرورة فيقوم وهو متهلل الوجه ، باسم الثغر ويقول : سكوت الباكر علامة رضاها ، فلا ترد عليه ولا تعترض . فيبتسم ويخرج إلى ابن عمه ليخبره برضاء الزهراء ويقول له : أين الدرع يا علي ؟ فيذهب علي مسرعاً ويأتي بالدرع فيأمره النبي أن يبيعها ليجهز العروس بثمنها . وقد اشتراها عثمان بأربع مائة وسبعين درهماً حملها علي صلوات الله عليه ووضعها أمام الرسول ، فتناولها بيده الكريمة ثم دفعها إلى بلال ليشتري ببعضها طيباً وعطراً ويدفع الباقي إلى أم سلمة لتشتري جهاز العروس . ثم يجمع النبي صحابته وآله ويشهدهم أنه زوج ابنته فاطمة من ابن عمه علي بن أبي طالب على أربع مائة مثقال من الفضة على السُّنة القائمة والفريضة الواجبة ثم قدم للضيوف حلوى العرس الهاشمي النبوي وهو وعاء تمر .

على هذا النمط البسيط وعلى هذا النحو القدسي تمت خطبة الزهراء بنت رسول الله إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتأخر الزفاف إلى الوقت الذي يتم فيه جهاز العروس ويهيأ بيت العريس .

نعم هكذا بكل بساطة تمت خطبة أعظم خطيبين .
فالزهراء عندما خطبت لابن عمها لم تكن تفكر في شيء مما يشغل أفكار غيرها من العرائس . لم تكن تهتم بما يملك عريسها من مال وما يهيأ لها من أثاث ورياش . لم تكن تحفل بالسفاسف من الأمور كأن تكون خطبتها رسمية عامة شاملة تعمر بالترف والبذخ . لم تكن تحفل بكل هذه الأمور الدنيوية فهي ابنة رسول الله وابنة خديجة الكبرى .

أوليست أمها هي التي بذلت المال رخيصاً في سبيل العقيدة ؟ أوليست أمها هي التي استبدلت القصر الشامخ بالبيت المتواضع والترف الزاهي بشظف العيش ومره ؟

وها هي ابنتها فاطمة تُخطب إلى علي أمير المؤمنين بهذه الروعة اللامتناهية التي كونتها هذه البساطة في الخطبة فالإمام علي كان يخطب شخص الزهراء بنت رسول الله ، والزهراء صلوات الله عليها قبلت بالزواج حباً بعلي وبشخصه لا غير . فلولا أن خاطبها كان غير علي بن أبي طالب لما رضيت أن تفارق أباها وبيته إلى أي زوج كان ، ولكنها كانت تعلم أنها بزواجها من علي بن أبي طالب تتقرب إلى أبيها وإلى رسالته أكثر منها قبل الزواج ،

وأنها إذا قرنت حياتها بحياة علي تمكنت أن تسند علياً بجهادها الإسلامي وأن تركز جهاد ابن عمها بمؤازرتها له. ولذلك فقد تلقت عرض الزواج بكل ارتياح.

وإني لأعجب لما كتبته الدكتورة بنت الشاطيء في كتاب بنات النبي، وما عللت فيه رضاء الزهراء بعلي بن أبي طالب وما بينته في أسلوب هو أقرب إلى الخيال القصصي منه إلى الواقع. فقد عزت الدكتورة بنت الشاطيء زواج فاطمة، والدافع الذي دفعها لذلك دخول عائشة في بيت النبي وفي حياته بعد أن كانت الزهراء معرضة عن الزواج في إصرار. وهذه الفكرة القصصية الخيالية كان من الممكن فرضها على عائلة غير عائلة رسول الله وعلى أسرة غير أسرته صلوات الله عليه، كأن تأتي الدكتورة لتحدثنا حديث أسرةٍ عادية مكونة من أب وأربعة بنات وأم، ثم تتزوج البنات الثلاث وتعرض الرابعة عن الزواج إيثاراً لصحبة أبيها عن غيره، وتموت الزوجة الأولى فتدخل في حياة الأب زوجة جديدة لا تؤثر تأثيراً بالغاً على مكانة البنت الرابعة التي كانت في البيت، ولكن الزوجة الثانية التي تدخل في حياة الأب بعد الأم الراحلة امرأة ثانية تستهويه وتمتلكه وعند ذلك تفهم البنت

الرابعة التي آثرت صحبة أبيها عن الزواج أنها لم تعد كما كانت في بيت أبيها وفي قلبه بعد أن شغلت المرأة الجديدة حياة أبيها واستمالت قلبه نحوها ولم تترك للبنت الباقية في بيت أبيها مجالاً لدلال أو رغد من العيش .

وهنا يجب أن نفترض أولاً أن رب الأسرة رجل ضعيف الشخصية ضئيل العاطفة مندفع وراء ملذاته الحسية لكي نتمكن من الإنسجام مع هذه الأقصوصة ونصدقها كما هي .

فإن أي زوج وأي أب إذا كان قوي الشخصية ولو قليلاً وإذا كان يحمل عاطفة أبوية ولو عاطفة جزئية ، لا يمكن لنا أن نصدق أنه يخضع لسلطان امرأة مهما كانت تلك المرأة ومهما تمتعت به من سحر وفتنة ، ولا يمكن للمرأة تلك أن تجعل بيته يضيق بابنته التي كانت حسب بداية الاقصوصة تمتنع عن الزواج حباً في أبيها وإيثاراً لصحبته .

ومن المؤكد أن بيت الأب لا يضيق بابنته إلا إذا ضاق الأب بابنته ولا يضيق الأب بابنته إلا إذا كان معدوم العاطفة مسلوب الشخصية .

عند هذا وبعد كل هذه الفروض يمكن لنا أن نصدق هذه القصة كما جاءت بها الدكتورة (كصورة من حياتهن)

ولكن هذه الأقصوصة إذا طالعتنا بها الدكتورة وهي تنسبها إلى أهل بيت النبوة ، وإلى أسرة يكون الأب فيها رسول الرحمة وتكون البنت فيها فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، لا يمكن لنا أن نصدقها بأي حال من الأحوال . ولا يصح لنا أن نصدقها أيضاً لما تستلزمه من فروض لا تنطبق على أهل البيت .

فنحن إذا سلمنا أن الزهراء كانت رابع بنات أربعة فيجب علينا أولاً أن نتعرف على أزواج أخواتها والسبب في عزوفها عن الزواج بعد زواج أخواتها الأخريات ، ونرى أن أختين من أخواتها قد لاقيا من المحن والاضطهاد الشيء الكثير حتى أن أزواجهما أرجعاهما إلى بيت رسول الله عداءً لهما ولرسول الله (ص).

فنحن إذا سلمنا بوجود أخوات للزهراء وجب علينا أن نسلم بزواجهنَّ وبأزواجهن ، وفي هذا دليل كافٍ نفهم منه عزوف الزهراء عن الزواج إذا صح أنها كانت عازفة كما

تزوجت أخواتها بعد أن رأت بعينها المصائب التي أصابت أخواتها من هذا الزواج . وشتان بين أزواج أخواتها وبين من رضيت به زوجاً لها وقريناً . فزواج أخواتها ونوعيته أكبر مثبط لها عن قبول هذه التجربة . وخطبة الإمام علي لها وخصوصياته أكبر دافع لها لقبول العرض بالرضاء التام .

كان ذاك هو المانع وكان هذا هو الدافع لا أكثر ولا أقل . طبعاً هذا إذا سلمنا مع الدكتورة بوجود أخوات للزهراء صلوات الله عليها ثم أنها كانت تعلم أن حاجة أبيها لها وهو في مكة أكثر منها وهو في المدينة . فقد كان الاضطهاد والشرك والظلم قد خف وتلاشى في المدينة . ولما علت كلمة الإسلام اطمأنت الزهراء على أبيها وعلى راحته النفسية ثم أنها حينما كانت ترفض الزواج كانت ترفضه لكي لا تخرج من حياة أبيها ولكي لا تبعد عن رحابه وعرينه . وزواجها بعلي كما كانت تعلم واثقة أنه سوف يقربها لأبيها ويدنيها إليه أكثر وأكثر ، وأنها لن تترك بيت أبيها بل ستكوّن لأبيها بيتاً جديداً هو بيتها الذي يضمها وابن عمها علي بن أبي طالب . وفعلاً فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ هذه الآية الكريمة كلما مر

على باب فاطمة وعلي : ﴿ ... إنما يُريد الله ليذهبَ عنكم الرجْسَ أهل البيت ويُطهِّركم تطهيراً ﴾ الأحزاب / ٣٣ . صدق الله العظيم .

وقد عرفت الزهراء كل هذا ولأجل هذا رضيت بابن عمها وآثرت بيته على البقاء في بيت أبيها . ولا دخل لأي امرأة من نساء النبي في زواجها ودواعيه ، وإنما أعرضت عن الزواج لعدم وجود الكفء ، وأقدمت عليه بعد أن وثقت من كفاءة الزوج .

ولا أدري كيف سمحت الدكتورة بنت الشاطيء لنفسها أن تفسر قبول فاطمة للزواج بدخول عائشة في حياة النبي ، وتقلص مكانة البنت في قلب أبيها . هذه البنت التي كانت كل شيء لأبيها في قلبه وحياته . وقد جاء في الاستيعاب عن السيدة عائشة نفسها أنها سُئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله ؟ قالت : فاطمة فسُئلت: فمن الرجل ؟ قالت : زوجها . وجاءت هذه الرواية أيضاً عن الترمذي : وفي الاستيعاب بسنده عن ابن بريدة عن أبيه ، وفي المستدرك بسنده عن جميع بن عمير وصعصعة ، وقد رواه الترمذي بسنده عن بريدة مثله . وروى الحاكم في

المستدرك وصححه بسنده عن جميع بن عمير قال : دخلت مع أمي على عائشة فسمعتها من وراء الحجاب وهي تسألها عن علي فقالت تسألينني عن رجل والله ما أعلم رجلاً كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علي ، ولا في الأرض امرأة كانت أحب إلى رسول الله من امرأته فاطمة ؟ وقد كان رسول الله يكرر دائماً أن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها وأن فاطمة شجنة مني ، يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة الواضحة .

ونشطت أم سلمة لكي تجهز العروس الغالية فاشترت لها قميصاً بسبعة دراهم وخمارا بأربعة دراهم وقطيفة سوداء خيبرية وسريراً مزملاً بشريط وفراشين من خيش حَشوُ أحدهما ليف ، وحَشوُ الآخر من صوف الغنم ، وأربع مرافق من أدم الطائف حَشوُها إذخر ، وستراً رقيقاً من صوف ، وحصيراً هجرياً ورحى لليد ومخضباً من نحاس ، وهو إناء تغسل فيه الثياب ، وسقاءاً من أدم وقبساً للبن وشناً للماء ومطهرة مزفتة ، وجرة خضراء وكوزاً من خزف ونطعاً من أدم وعباءة قطوانية وقربة ماء . ولما أتمت أم سلمة هذا الجهاز البسيط الرائع روعة قدسية لا

متناهية ، جاءت به إلى رسول الله صلوات الله عليه فجعل يقلبه بيده الكريمة وهو يقول : بارك الله لأهل البيت . ثم إنه رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم بارك لقوم جل آنيتهم الخزف . وفي بعض الروايات أنه استعبر وبكى وهو يقلب جهاز حبيبته المتواضع . وكان العريس مشغولاً بدوره أيضاً يجهز بيته ويهيِّئُهُ لاستقبال ابنة رسول الله . وكان جهاز الإمام صلوات الله عليه أن نشر رملاً ليناً في صحن الدار ونصب خشبة من حائط إلى حائط للثياب وبسط إهاب كبش ومخدة ليف . وفي رواية ابن سعد عن بعض من حضرن عرس فاطمة قلن : دخلنا البيت مع العروس فإذا إهاب من شاة على مصطبة ووسادة فيها ليف وقربة ومنخل ومنشفة وقدح ، هذا ما روي عن أثاث أمير المؤمنين وهو في طريقه لمصاهرة رسول الله . وعندما أتم الإمام تجهيز بيته وتهيئته . وعلم أصحابه أنه قد أكمل ذلك قال له جعفر وعقيل : ألا تسأل رسول الله يدخل عليك أهلك ؟ فقال لهم : الحياء يمنعني من ذلك . فقاما عنه ولقيا أم أيمن مولاة رسول الله فذكرا لها ذلك فدخلت إلى أم سلمة فأعلمتها وأعلمت نساء النبي أن علياً قد أتم تجهيز بيته ، وهو يرغب أن ينقل إليه أهله . فاجتمعن عند

رسول الله وقلن : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله إنا قد اجتمعنا لأمر لو كانت خديجة في الأحياء لقُرَّت عينها به . وروي عن أم سلمة أنها قالت لما ذكرنا له خديجة بكى رسول الله وقال : خديجة وأين مثل خديجة ، صدقتني حين كذبني الناس ووازرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها ، إن الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب . وقالت أم سلمة فديناك بآبائنا وأمهاتنا إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك غير أنها قد مضت إلى ربها فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في الجنة . يا رسول الله هذا أخوك وابن عمك علي بن أبي طالب يحب أن ندخل عليه زوجته . فقال النبي : حباً وكرامة . ثم إنه دعا بعلي فدخل وهو مطرق حياءاً وقامت أزواج النبي ودخلن البيت فسأله النبي أتحب أن أدخل عليك أهلك فأجاب علي وهو مطرق : أجل فداك أبي وأمي . فقال : أُدخلها عليك إنشاء الله . ثم قام إلى نسائه وأمرهن أن يزين فاطمة ويطيبنها ويصلحن من شأنها في حجرة أم سلمة وأن يفرشن لها بيتها الذي هيأه ابن عمها .

فدبت الحركة في بيت النبوة وعمت الفرحة على

وجوه أهل البيت وشاعت ابتسامة محببة على وجه الرسول وهو يرى نفس الابتسامة قد غمرت وجه ابن عمه وأخيه وغمرت قلب الرسول موجة من رضاء لما آنسه على ابن عمه من لهفة وشوق ولما أحس به من نشاط حيوي شاع على علي في حركاته وتصرفاته . وفُرِش بيت العروس الجديد وزُيِّنت العروس وطُيِّبت ونُحِرت الذبائح وأُطعم الطعام ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينادي على رأس داره : أجيبوا رسول الله ، فبسط النطوع في المسجد وصدر الناس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وامرأة رفعوا ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء . ثم دعا رسول الله بالصحائف فملئت ، ووجهها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحفةً فقال هذه لفاطمة وبعلها وبعد أن أكل الناس وشبع كل جائع أتى رسول الله ببغلته الشهباء ، وثنى عليها قطيفة وجاء إلى فاطمة الزهراء وهي بين نساء المسلمين وقد هيأنها للزفاف ، وأخذ بيدها وقال لها اركبي ثم ساعدها على الركوب وأمر سلمان أن يقود البغلة وسار صلوات الله عليه خلفها ومعه حمزة وجعفر وعقيل وبنو هاشم كلهم مشهرين سيوفهم وهم يكبرون ويهللون . ومشت نساء النبي وراء العروس وهن يرجزن ويكبرن ،

ونساء المسلمين من حولهن يتلون الأشعار في مدح العروسين حتى دخلن الدار المباركة ، وأنفذ رسول الله إلى علي فدعاه وأخذ بيد فاطمة فوضعها في يده وقال بارك الله لك في ابنة رسول الله ثم جمعهما إلى صدره وقبل بين أعينهما ، وقال لعلي : يا علي نعم الزوجة زوجتك . ولفاطمة : يا فاطمة نعم البعل بعلك . ثم دعا بماء فأخذ منه جرعة فتمضمض بها ثم مجها في القصب وصب منه على رأسها ونضح على صدرها وفعل بعلى مثل ذلك وقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما ثم أنه قام لينصرف فلم تملك فاطمة الزهراء دمعها ولحظ ذلك أبوها فتمهل برهة ثم قبلها في حنو .

وقال أنه تركها وديعة عند أقوى الناس إيماناً وأكثرهم علماً وأفضلهم أخلاقاً وأعلاهم نفساً . ثم انصرف وهو يدعو للعروسين وكانت أطياف خديجة في تلك الساعة تعاوده ملحاحة ، فقد شعر في تلك الليلة بفراغ لخديجة عجز حتى هو أن يسده بالنسبة لابنتهما الغالية . وما أكثر ما كان يشعر بهذا الفراغ في شتى المناسبات والظروف . وبهذا بدأت الزهراء حياتها الجديدة في بيت الزوجية السعيد ، البيت الذي شهد

أسعد مناسبات أهل بيت النبوة ، وأصبح مصدراً لإشعاعات الرسالة ومنبعاً زاخراً بالخير والبركة وقد تلاشت القيم المادية في أرجائه حتى استحالت إلى لا شيء وتعالت المثل الروحانية فيه فأصبحت كل شيء .

وأما أخوات الزهراء الثلاث فهناك شك من الناحية التاريخية في بنوتهن للرسول (ص) حتى ذهب بعض المؤرخين إلى التأكيد على أنهن ربيباته وبنات السيدة خديجة من زوجها الأسبق ، ولهذا الشك مبرراته التاريخية فنحن إذا جمعنا بين طائفة من المسلمات التاريخية انتهينا حتماً إلى الشك في بنوتهن على أقل تقدير . فالتاريخ يقرر :

أولاً ـ أن المدة التي قضاها النبي في حياته الزوجية مع خديجة قبل البعثة لا تزيد على خمسة عشر عاماً لأنه تزوج في الخامسة والعشرين من عمره المبارك وبعث في الأربعين .

ثانياً ـ إن زينب هي كبرى الأخوات الثلاث وتصغرها رقية بثلاث سنوات وأم كلثوم أصغر منهما معاً وإن لم يحدد

التاريخ التفاوت بينها وبين أختيها بالضبط .

وثالثاً ـ إن الأخوات الثلاث للزهراء كن قد تزوجن جميعاً قبل البعثة وسعدن في حياتهن الزوجية وأنجبت بعضهن أولاداً ثم أرجعن بعد البعثة إلى بيت النبي بدافع من التنكيل به وإحراجه .

هذه مسلَّمات تاريخية ثلاثة إذا جمعنا بينها كان من الطبيعي أن تلقي ظلالاً من الشك أو مبررات لإنكار بنوة الأخوات الثلاث للرسول الأعظم لأنهن لو كن بناته لما كان من الممكن أن يزيد عمر كبراهن وهي زينت عن أربعة عشر عاماً في وقت البعثة ولا عمر رقية عن أحد عشر سنة ولا عمر أم كلثوم عن عشر سنوات على أكثر تقدير ، لأن الفاصل الزمني بين بدء الحياة الزوجية للنبي وخديجة وبين البعثة خمسة عشر سنة كما تقرره المسلمة التاريخية الأولى ؛ وبعد أخذ الفوارق التي تقررها المسلمة التاريخية الثانية بين أعمار الأخوات الثلاث ينتج ما قررناه من عدم اجتياز أم كلثوم للعقد الأول من عمرها في وقت البعثة ، وهذا لا ينسجم طبيعياً مع ما يحدثنا التاريخ في المسلمة التأريخية الثالثة من زواج البنات الثلاث قبل البعثة ، لأن من غير المألوف أن تتزوج أم كلثوم قبل إكمال عقدها

الأول وتعيش مع زوجها مدة ثم ترجع إلى بيت أبيها وهي لم تكمل العاشرة بعد .

وهكذا يتضح أن افتراض بنوة زينب ورقية وأم كلثوم للنبي يكلفنا على ضوء المسلَّمات التاريخية الثلاث السابقة افتراضاً آخر يقضي بزواج أم كلثوم في التاسعة أو العاشرة وهذا الافتراض وإن كان ممكناً من الناحية العقلية ولكنه غير مألوف إلى درجة قد تسمح للباحث بعدم قبوله . وأما إذا انطلقنا في توفيقنا بين المسلمات التاريخية الثلاث الآنفة الذكر من القول أن البنات الثلاث ربيبات الرسول فسوف يتاح لنا أن نتقدم بتاريخ ولادتهن إلى ما قبل زواج النبي بخديجة وأن نتصور أم كلثوم قبل البعثة فتاة مكتملة لها كل مؤهلات الزواج . أضف إلى هذا أن خديجة إذا كانت زوجة معطاء بدرجة أنها تعطي زوجها وهي في العقد الخامس أربعة من الأولاد كما يفترض القائلون ببنوة أخوات الزهراء الثلاث للنبي ، أفليس من حقنا أن نتساءل عن عطائها لزوجها السابق قبل النبي حين كانت في أوج شبابها ونشاطها ؟ إلى كثير من هذه الأسئلة التي لا نجد لها جواباً أفضل من القول بأن الأخوات الثلاث ربيبات النبي وبنات خديجة من زوجها السابق

وعلى أي حال من الأحوال فهن نساء عشن في حياة النبي سواءاً كن بناته أو زبيباته فإن قلب النبي يتسع للبعيد البعيد فضلاً عن الربيب القريب .

فأمَّا زينب كبرى الأخوات فقد تزوجت من إبن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي ، وقد سعدت معه وعاشا معاً حياة زوجية هانئة حتى انبثقت رسالة الإسلام وانطلقت كلمة الحق ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ولكن أبا العاص يأبى أن يترك دين آبائه ، وتمنعه العصبية الجاهلية أن يسلم كما أسلـم غيره ، فيقال عنه أنه ترك دين الآباء والأجداد ودخل في دين حميه . وزينب وقد أسلمت مع أول من أسلم تشقى لعزوف زوجها عن الإسلام وتتألم لهذا أشد الألم فهي تُعز زوجها وتحبه لكونه قرينها ومصدر سعادتها في الحياة ولكونه أبو أمامة ، ابنتها الوحيدة الغالية . ولكن الإسلام أحب إليها ورسول الله (ص) أعز عليها وتبقى تنتظر اليوم الذي يشرح الله فيه قلب زوجها للإسلام وهي تأمل أن يكون ذلك اليوم قريباً . وتظل ترقب كلمة الإسلام وهي تغزو بنورها القلوب والأرواح وتدعو الله مخلصة أن يكون زوجها فيمن اهتدى بنور الإسلام وما أكثر ما دعته إلى

الإسلام وحبذت له ذلك وعددت له أسماء أكابر الرجال الذين دخلوا في دين الله طائعين . ولكنه كان يرد عليها دائماً أنه لا يرضى أن يقال أنَّ أبا العاص أطاع زوجته وعصى عشيرته ، ولهذا فقد ظلَّلت حياة زينب سحابة قاتمة من الهموم والأحزان .

ويهاجر النبي إلى المدينة ويخلف زينب في مكة وهي تتابع عن بعد انتصارات رسالة الإسلام وتفتخر لهذه الانتصارات وتزداد أملاً في إسلام أبي العاص ، ولكنها تصحو في يوم لترى قريش وقد شاع فيها خبر هام ، فقد عاد ضمضم بن عمر الغفاري وكان مسافراً في تجارة إلى الشام مع أبي سفيان فما بلغ مكة حتى وقف على بعيره وحول رحله وشق قميصه وصاح : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى لكم أن تدركوها الغوث الغوث . ولهذا فقد تهيأت قريش للحرب ونهضت لمواجهة الإسلام وفي مقدمتهم طبعاً أبو العاص زوج زينب ، وعرفت زينب أنها الحرب فإما انتصار المسلمين الذي توده وتأمل فيه وإما انتصار قريش . وإذا انتصر الإسلام فسيندحر زوجها أبو العاص وإذا انتصر أبو العاص فالويل لها بكسيرة الإسلام

ورسول الله . فظلّت زينب وليس في مكة من هي أتعس منها وأشقى حتى أتتها عاتكة بنت عبدالمطلب لتخبرها بانتصار رسول الله واندحار المشركين من قريش ويهز النبأ السعيد زينب وتفرح له لحظة ، ولكنها سرعان ما تذكر أن زوجها في جيوش المشركين ولا بد أن يكون قتيلاً أو جريحاً ولكنها تأبى أن تظهر شيئاً من هذا لكي لا تشوه فرحة الانتصار السعيد وتسكت على جزع وفرح مزدوجين وقد كانت عينا عاتكة تلاحظها بتفحص دقيق فلاحظت عليها ما أرادت أن تخفيه فأسرعت قائلة : أن أبا العاص أسير عند رسول الله هو وكثير من رجال قريش وهنا تكتمل الفرحة عند زينب وتشعر بلذة الانتصار الحقيقي . وتنشط نساء قريش بتهيئة الفدية ، وتبعث كل امرأة منهن أكبر فدية ممكنة ، فهن يغالين فيها ويفاخرن بكثرتها ، ولكن زينب تبعث لرسول الله فدية معنوية رمزية وهي قلادة أمها خديجة التي أهدتها لها ليلة الزفاف ، وتؤثر هذه الفدية المتواضعة على الرسول فهي قلادة خديجة حبيبته المصطفاة . ويطرق إلى الأرض لحظة ثم يرفع رأسه ليقول لأصحابه : إذا رأيتم إطلاق أسيرها فأطلقوه . فلا يتردد المسلمون لحظة في إطلاق سراح أبي العاص . ويستدعيه رسول الله ويسر

إليه أمراً ويلحق أبو العاص بأهله فتستقبله زينب فرحانة فخورة وهي تأمل أن يكون قد أسلم واهتدى إلى الحق ، ولكنها تراه ليس كما تعهد فقد بدا وهو مثقل بالهموم والأحزان ويقول لها والعبرات تكاد تسبق كلماته : لقد أتيت مودعاً يا زينب فقد أمرني رسول الله أن أبعث بك إليه فلا تبهت زينب لهذا الخبر ولا تستغربه مطلقاً فهي كانت تعلم أن رسول الله لن يبقيها مع أبي العاص إذا يئس من إسلامه . ثم إنها مشوقة إلى رسول الله وإلى أخواتها الحبيبات . ولكنها ستشقى بفراق أبي العاص ، وسوف تألم للبعد عنه ، وسوف يشق عليها أيضاً أن ترى ابنتها أمامة وهي كاليتيمة بين لداتها . وعلى كل فقد أخذت تتهيأ للسفر إلى حيث الإسلام والأحباء. وسافرت بعد حصار شديد فرضته عليها قريش انتقاماً وتنكيلاً ، وخلفت وراءها أبا العاص وهي أشفق ما تكون عليه ، ولم تشغلها فرحة لقاء الأحبة عن أبي أمامة فقد كانت تدعو الله دائماً وأبداً أن يهديه للإسلام . ويخرج أبو العاص في تجارة وتتعرض له قوات المسلمين في الطريق فيفر هارباً ويلتجيء إلى زينب فتحميه وترد عنه غضب المسلمين ، وتعود فتدعوه إلى الإسلام لكنه يسكت فلا يجيب ، ويطلب إليها أن ترد

إليه تجارته لأنه يأبى أن يرجع إلى قومه وقد خان الأمانة فتتوسط زينب في ذلك عند المسلمين فيردوا له تجارته وأمواله كاملة ويرجع بها إلى مكة ويسلم الأموال إلى أصحابها حتى يتأكد من أنه قد أبرأ ذمته من كل وديعة وأمانة .

ثم يرجع إلى المدينة ويدخل على رسول الله فيسلم بين يديه ، ويقبل الرسول إسلامه قبولاً حسناً ويرد إليه زينب وتعود السعادة لترفرف فوقهما مرة أخرى ويخلدان إلى راحة نفسية عميقة وإلى حياة زوجية سعيدة .

وأما رقية وأم كلثوم فقد خطبا إلى عتبة وعتيبة ابني أبي لهب قبل الإسلام وزوّجا قبل الإسلام ولاقيا أصناف العذاب من أم جميل حمالة الحطب قبل الإسلام أيضاً .

وما انبثقت كلمة الإسلام إلا وأرجعت حمالة الحطب رقية وأم كلثوم إلى بيت رسول الله ظناً منها أن ذلك يؤذي الرسول ويثقل عليه . ولكن الأمر بالعكس تماماً فإن رسول الله قد سر لذلك وأنس لخلاص الأختين من الأساليب الوحشية التي كانت تتفنن بها أم جميل . ويتقدم عثمان بن عمان ليتزوج رقية ويهاجر بها الهجرتين

ولكنها نظراً لما لاقته من أهوال وما تحملته من مصاعب داخلية وخارجية نزلت بها العلة وتخطفتها أيدي الموت وهي في ريعان الشباب . ويعود عثمان بن عفان ليخطب إليه أم كلثوم وتتم الخطبة ويتم الزواج وتعيش أم كلثوم حتى تتوفى قبل رسول الله بمدة قليلة على بعض الروايات .

ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدة بعد خديجة وهو لا يفكر في الزواج حتى جاءته خولة بنت حكيم وأخذت تحبب إليه الزواج واستئناف الحياة الزوجية ، وقالت فيما قالت : إن شئت البكر وإن شئت الثيب فأجابها صلوات الله عليه : فمن البكر ؟ فتقول : عائشة بنت أبي بكر . ويقول : من الثيِّب ؟ فتقول : سودة بنت زمعة ، وقد آمنت بك واتبعتك . فاختار سودة . وسودة هي بنت زمعة بن قيس بن عبدشمس بن لؤي ، وأمها الشموس بنت قيس النجاري من الأنصار ، وكان زوجها الأول ابن عمها السكران ، وقد أسلما معاً وهاجرا إلى الحبشة مع من هاجر في الهجرة الثانية ثم رجعا إلى مكة ، وتوفي عنها زوجها بعد رجوعهما من الهجرة وكانت رضوان الله عليها من أسبق النساء إلى الإسلام

فآمنت وهاجرت وهجرت أهلها . وقد نجا بها زوجها إلى الحبشة فراراً من إعنات المشركين لهما . فلما مات لم يكن لها ملجأ سوى أن تعود إلى أهلها فتصبأ وتؤذى ، فهم يحقدون عليها لإسلامها وهجرتها وفرارها مع زوجها إلى الحبشة . فهم إذا نالوها سوف لا يتوانون عن النيل منها بأي ثمن ولذلك فقد اختارها رسول الله ليضمها إلى حمايته وليعوضها عما لاقت في سبيل إسلامها . وهكذا قدم رسول الله المصلحة العامة على مصلحته الشخصية والمعنى الروحي عن لذات الحسن والمال والمتاع والثيب عن البكر .

وكانت نعم الزوجة المخلصة المتحسسة لمسؤوليتها كأم للمؤمنين . وقد عرفت أنها الزوجة الثانية للرسول وأنها وافدة على دار تضم بين جدرانها فاطمة الزهراء ريحانة النبوة والرسالة . وقد تزوج بعدها بعائشة بنت أبي بكر وكانت بنت التسع سنين على بعض الروايات . وكانت من القلائل اللاتي لا يقف طموحهن عند حد ولا تكاد تستقر أو ترتاح دون أن تبلغ القمة من المجد بأي ثمن . وكانت عصبية المزاج حادة الطبع عنيفة في سلوكها . وكانت أيضاً حادة الذكاء شديدة الغيرة تغار

على قلب زوجها فلا ترضى أن يشاركها فيه أحد . وقد روي عنها أنها قالت : استأذنت هالة بنت خويلد على رسول الله (ص) فعرف في استئذانها استئذان خديجة فارتاع لذلك وقال : اللهم هالة . قالت فغِرت . وقلت ما تذكر من عجوز من عجايز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر وقد أبدلك الله خيراً منها ؟ فتغير وجهه تغيراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة ينزل أرحمة هو أم عذاب ؟ وقال : ما أبدلني الله خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل منها الولد إذ حرمني من أولاد النساء . وكانت حريصة أيضاً على أن لا تدخل في حياة النبي امرأة تفوقها جمالاً أو تزيد عنها في إحدى الخصال . فالتاريخ يروي أن رسول الله (ص) لما أراد أن يخطب إليه أسماء بنت النعمان ، وكانت من أجمل أهل زمانها ، قالت السيدة عائشة : أن رسول الله (ص) قد وضع يده في الغرائب ويوشكن أن يصرفن وجهه عنا . وذهبت إليها وقالت : إن أردت أن تحظي عند رسول الله فتعوذي بالله منه فلما دخل عليها رسول الله قالت أعوذ بالله منك فقال : عذت معاذاً ثم خرج وألحقها بأهلها . وكانت تقول

بعد ذلك : ادعوني بالشقية . وقد ماتت كمداً ، ولم يكن ليقعد بها حبها للرسول وإيثارها له عن أن تنقاد لطموحها وقد أخرج ابن سعد في طبقاته عن عائشة أنها قالت : ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ، ومارية هذه بعث بها المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله في سنة سبع من الهجرة ومعها أختها وألفَ مثقال ذهباً وعشرين ثوباً ليناً وبغلته الدلدل وحماره غفير ومعهم خصي يقال له مابور وهو شيخ كبير . وقد بعث بهم جميعاً مع الحاطب بن أبي بلتعة . وقد عرض الحاطب بن أبي بلتعة على مارية الإسلام ورغبها فيه فأسلمت هي وأختها ثم تزوجها رسول الله فولدت له إبراهيم ، وكان معجباً بها وقد كانت بيضاء جعدة جميلة وقد وهب رسول الله لمن بشره بولادة إبراهيم عبداً . وقد حدَّثت السيدة عائشة قالت : لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله إلي فقال : أنظري إلى شبهه بي . قلت : ما أرى من شبه . فقال رسول الله(ص): ألا ترين إلى بياضه ولحمه ؟ فقلت : كل من سقي ألبان الضأن ابيضَّ وسمن . هذا كان شعور السيدة عائشة تجاه مارية حينما أحست أنها أخذت تحتل مكانة في قلب النبي صلوات الله عليه . وهكذا كان شعورها تجاه ابن رسول

الله وقد حمله بيديه فرحاناً به طروباً لقدومه . ولكنها لسبب من طموحها وغيرتها أجابته بهذا الجواب ، وكانت هذه الانفعالات تدفع بها إلى مواقف وتصرفات خاصة كأن تكسر صحاف بعض زوجات النبي إذا جئن للنبي بطعام مع طعامها ، وكان رسول الله يغرمها الصحفة فيدفع بصحفتها للتي كسرت صحفتها ، فإنها ، في سبيل تملك رسول الله (ص) ، لم تكن تتوانى عن أي شيء حتى عن الطعن في بنوة ابن رسول الله ، وحتى عن النيل من مقام السيدة خديجة . وقد ظلت بعد النبي وتوفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشر خلون من شهر رمضان من السنة السابعة أو الثامنة والخمسين للهجرة .

ومن النساء اللاتي دخلن في حياة النبي صفية بنت أحي بن أخطب من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل ، وأمها برة بنت السموأل من بني قريظة ، وكان قد تزوجها سلام بن شكيم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع من يهود بني النضير وقتل يوم خيبر . واصطفاها النبي من بين الأسرى وخيَّرها بين الإسلام واللحوق بأهلها فاختارت الإسلام وأسلمت فتزوجها رسول الله . وقد ذهبت إليها عائشة متنقبة فسألها النبي : كيف

وجدتيها ؟ فقالت : وجدتها يهودية . فقال : لا تقولي هذا فإنها أسلمت .

كما أن من النساء المسلمات اللاتي اشتركن في حياة النبي الزوجية أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية سهيل زاد الركب ابن المغيرة المخزومية وأمها عاتكة بنت عامر ، وكانت قد تزوجت أبا سلمة عبدالله بن عبدالأسد المخزومي ، وهاجر بها إلى الحبشة الهجرتين فولدت له هناك زينب وسلمة وعمر وورده . وقد حضر أبو سلمة أُحُد فقتل إثر جرح . وقد تزوجها الرسول بعد ذلك وكانت سيدة صالحة كاملة وتوفيت في عهد يزيد بن معاوية بعد قتل الحسين عليه السلام .

ومن زوجاته أيضاً حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وقد ولدت قبل البعثة بخمسة سنين وتزوجها عنبس بن حذامة وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد رجوع النبي من غزوة بدر . ثم تزوجها النبي وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وقد صلى عليها مروان ودفنت في البقيع .

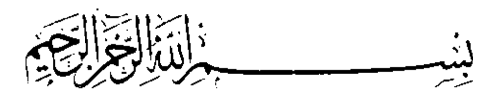
ومن زوجاته أيضاً بنت عمته زينب وكان قد زوجها بزيد بن حارثة ولكنها لم تستطع أن تنسجم معه ، ولم

يستطع هو أن ينسجم معها أيضاً ، نظراً لاختلاف أجوائهما وتباين منزلتهما . ولكن رسول الله أراد أن يعطي في هذا درساً إسلامياً لكل من يتعالى أو يتسامى بشيء غير الإسلام ، وأراد أن يفهم المسلمين أن الرجل بإسلامه ودينه وأن المسلم كفء المسلمة . ولكنه عندما رأى استحالة التوافق بينهما أشار عليهما بالطلاق[1] ، وتزوجها النبي حرصاً على أن يعوضها عما صدمت فيه في زواجها الأول، وبهذا فقد أعطى رسول الله (ص) درسه، ولم يغبن حق زينب بل جعلها أم المؤمنين وزوجة رسول الله (ص)، وأخيراً فأولاء نساء عشن في حياة النبي كل منهن حسب مكانتها وكفاءتها في الحياة .

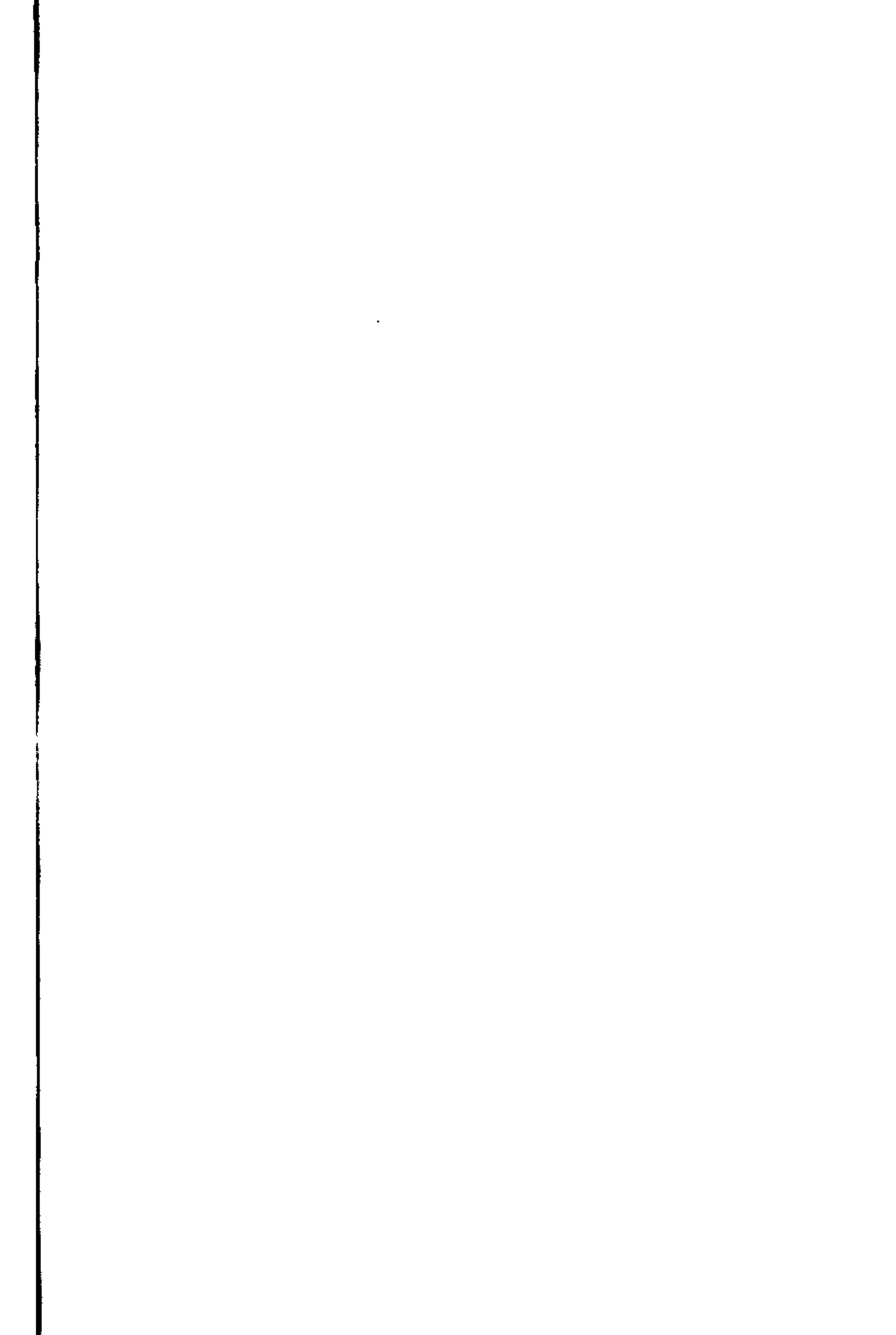
---

(١) تم زواج الرسول (ص) من زينب بأمر من الله سبحانه وتشريعاً للأمة لأن العرب في الجاهلية كانت تنكر على من يتزوج من امرأة مَن يتبنّاه من غير صلبه فيصبح عندهم بحكم الولد فأراد الله أن يقضي على هذه العقيدة الوهمية التي لا ترتكز على أساس من الصحة ، كما جاء في كتابه العزيز : ﴿ فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا * ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنّة الله في الذين خلوا من قبلُ وكان أمر الله قدراً مقدوراً * ﴾ الأحزاب / ٣٧ - ٣٨ .

الناشر .


بسم الله الرحمن الرحيم


المرأة في شريعة النبي ﷺ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قيمة المرأة في الإسلام

المرأة هي المدرسة الأولى في الحياة ، وهي أحد العنصرين الأساسيين في تكوين المجموعة البشرية . فنحن حينما نذكر المرأة نرى أنها مدرسة نشء ومربية أجيال . وحينما نأتي لنتحدث عن دورها في المجتمع نلاحظ أنها في الواقع نقطة لانطلاق المجموعة البشرية ، ولولاها لما كان هناك بشر على وجه الأرض .

ونظراً لكونها المعهد الفطري للوليد ولكون صدرها هو واهب الحياة للجيل اهتم الإسلام بأن يلقي الضوء في شريعته وأحكامه على المرأة ومكانتها في المجتمع والحياة ، وأن يرتفع بها إلى مصاف الرجل لها ما له وعليها ما عليه ، بعد أن كانت المرأة مهضومة الحق في جميع الأنظمة الدولية التي وجدت قبل الإسلام .

حتى أن كثيراً من الأمم كان قد راج فيها وأد البنات خوفاً من عار وجودهن على وجه الأرض . وكان العلماء وزعماء الديانات يبحثون ويتناقشون على طول قرون عديدة في أن المرأة هل هي إنسان أو غير إنسان ، وهل تحمل روحاً أم لا ، وكانت الديانة الهندوكية مثلاً قد سدت أبواب تعليم كتبهم المقدسة على المرأة لعدم جدارتها لذلك . والديانة البوذية لم يكن فيها سبيل للنجاة لمن اتصل بامرأة . وأما في الديانات النصرانية واليهودية فقد كانت المرأة هي مصدر الإثم ومرجعه فيهما . وكذلك اليونان فلم يكن للمرأة عندهم أي نصيب من العلم والحضارة ولا ثقافة ولا حقوق مدنية ، وعلى مثله كانت الحال في الروم وفارس والصين وما عداها من مراكز الحضارة الإنسانية . وكان نتيجة لهذا المقت العام الذي كانت تشعر به المرأة أنها نسيت أنّ لها مكانة اجتماعية وأنّ لها كياناً خاصاً .

ولكن الإسلام هو الدين الوحيد الذي جاء لكي يعطي الصنفين الذكر والأنثى حقه في الحياة ، وهو الدين الوحيد الذي أصلح عقلية الصنفين وبعث في الأذهان فكرة إعطاء حقوق المرأة وحفظ كرامتها . ومن ناحية أخرى فتح

أمامها أبواب العلم والمعرفة وأباح لها أن تتعلم ما تشاء من العلوم المقدسة كقراءة القرآن ودراسته وتفسيره إذا أمكنها ذلك . وقد جاء في الروايات عن رسول الله (ص) أنه قال : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وقد أشاد القرآن بالمرأة وخصها في آيات كثيرة تبين مكانتها في المجتمع ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنّي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** ﴾[1] . ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[2] . ﴿ **من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** ﴾[3] .

وذلك لكي تشعر المرأة المسلمة بمسؤوليتها في المجتمع ولكي يشعر المجتمع بوجودها وباعتبارها عضواً أساسياً في حياته ، ولكي لا تستغل إمكانياتها العاطفية والتكوينية استغلالا ظالماً . وعلى هذا الأساس فإن المرأة

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٥

(٢) سورة النَّحْل آية ٩٧ .

(٣) سورة غافر آية ٤٠ .

المسلمة قد حصلت في ظل الإسلام على حقوق وإمكانيات لم تحصل عليها أية امرأة سواها في شتى القوانين والتشريعات . وقد ارتفع الإسلام بالمرأة لحسابها الخاص ولمجرد كونها إنسانة وأعطاها حقها الطبيعي في كل أدوار حياتها الاجتماعية ، ونحن الآن في صدد إعطاء فكرة مختصرة عن المرأة في تشريعات الإسلام ومفاهيمه .

المـــرأة

جاء في الروايات الواردة عن الإمام أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام رواية يحدد فيها مفهومه ومفهوم الإسلام عن المرأة فيقول : (المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح) وهو يقصد بها أن يقرر أن الإنسانية في نظر الإسلام لها قيمة واحدة وميزان واحد للكرامة بقطع النظر عن كل الصفات الطبيعية التي يتميز بها الأفراد . وهذا الميزان الوحيد في نظر الإسلام هو الصلاح والتقوى ، والأفضلية عند الإسلام هي أفضلية العمل الصالح .

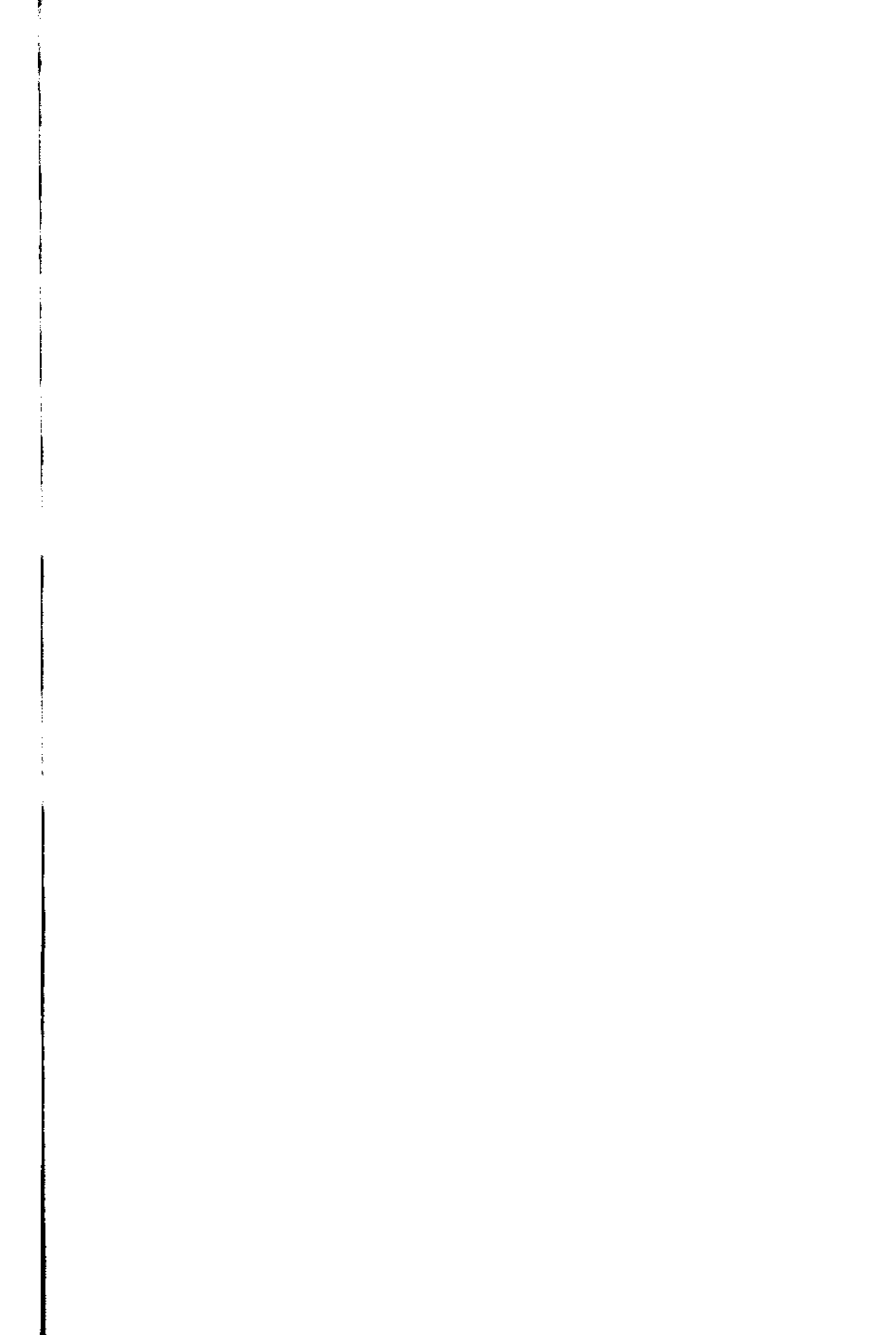
فمهما كان الصلاح هنا متوفراً كانت الإنسانية أفضل وأكمل . ومهما ابتعد الإنسان عنه خسر بذلك كرامته في مفهوم الإسلام كائناً من كان . فلا الرجل بما هو رجل يفضل المرأة ، ولا المرأة بما هي امرأة تفضل الرجل . ولا

يتعارض هذا مع الوظائف التي وزعت على الرجل والمرأة في الأسرة الإسلامية ولا مع القيمومة التي أعطيت للرجل على المرأة فيها . فإن هذه القيمومة التي اضطلع الرجل بموجبها بإدارة معاش البيت والحفاظ على وحدته لا تعبر إلا عن توزيع طبيعي للوظائف في مجتمع صغير وهو الأسرة المتكونة من أب يعيل ويحافظ وأم تلد وتربي فهي ليست قيمومة أفضلية وإلا لكان كل رجل قيماً على المرأة التي يعايشها وإن كانت أمه أو أخته وليس الأمر كذلك . . هذا بعض ما عناه الإمام الصادق (ع) في قوله إن المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح . وقد أراد الإمام أيضاً أن يفتح أمام المرأة مجالاً يمكنها فيه من أن تسمو بصلاحها على ألف رجل غير صالح ، وأن تثبت للمجتمع أنها مؤهلة للتفوق على الرجال إذا تقدمت عليهم بالتقوى والصلاح ، وانعكس ذلك في مختلف حقول حياتها العائلية والاجتماعية . ولا يكفي أن تكون صالحة في بعض تلك الحقول دون بعض بل المرأة الصالحة هي التي انشرح صدوها للإسلام ولتعاليمه فطهرت روحياتها من عوامل الشر وعقمت فكرتها من شوائب الأهواء الشيطانية وحسنت سيرتها في محيطها الخاص ومحيطها العام ،

وأغلقت أمام عواطفها جميع أبواب الحسد والرياء والمكر والخداع ، وفتحت مشاعرها لتلقى كل ما هو خير وسليم ، وسلم منها المجتمع وسلمت منه لا تظلم مسكيناً ولا تهضم حقاً ولا تعتدي على أحد ولا تظن بأحد السوء . وتحمل أختها المسلمة على سبعين محمل من الخير كما قد أوصاها به الله ورسوله . هذه هي المرأة الصالحة التي جعل منها الإمام خيراً من ألف رجل غير صالح .

وهذا هو مفهوم الإسلام عن المرأة بما هي إنسانة لها عملها الصالح الذي يرتفع بها إلى حيثما تشاء تبعاً لمدى توفره فيها .

والآن فهل لي أن أقول كلمة أخيرة وقبل أن أبدأ بالبحوث الباقية فأقول أن الصلاح بمعناه الحقيقي قلما يتفق لنا نحن بنات حواء ، وإذا صادف فاتفق لواحدة منا قام مجتمعها الظالم في إبعادها عنه أو إبعاده عنها بأي سبيل ، وحتى بدون أن تشعر هي أيضاً . والذنب في هذا ذنبنا نحن وذنب مجتمعنا الفاسد الذي تنعكس فيه المفاهيم وتنقلب القيم ويتنكر للمثل ، وإلا فإن أبواب الرقي الحقيقي مفتوحة أمامنا لا ترد وافدة ولا تمتنع من قبول قاصدة وإسلامنا يعزز ذلك ويشيد فيه ويدعو إليه .



المـَـرأة وَالعـَـمَل

يقوم تقسيم الوظائف في كل مجتمع ومحيط على أساس تقبل الأشخاص لتلك الوظائف وإمكانياتهم للقيام بها على أحسن وجه . وتقسيم العمل هو ضرورة من ضرورات المجتمع في جميع النواحي والمجالات . وتقسيم العمل يؤدي إلى سهولة القيام به مهما كان صعباً ويؤدي أيضاً إلى سرعة الإنتاج مهما كان بطيئاً . وتقسيم العمل والوظائف يساعد المتخصص في كل قسم منه على النبوغ في ذلك القسم والتعمق فيه خلافاً لما لو اختلف توزيع العمل وتعاقبت الأعمال المختلفة على العامل فإنه سوف يخسر مرونته وعبقريته التي قد يحرزها في عمل واحد .

فإن لكل شخص من الأشخاص استعداده الخاص وطبيعته الخاصة به وتكوينه الفطري والنفسي فنحن لا

ينبغي لنا مثلاً أن نجعل من فنان مهندساً أو نجعل من مهندس فناناً فإن لكل منهما هوايته واستعداده الخاص ولا ينبغي لأي منهما أن يخالف اتجاهه الطبيعي أو يعاكس أهواءه واستعداده .

فنحن إذا أجبرنا العامل الميكانيكي مثلاً على أن يكون فناناً وإذا أجبرنا الفنان على أن يكون ميكانيكياً نحكم على مواهب كل من الطرفين بالعدم في الوقت الذي نحصل فيه على أبرع عامل ميكانيكي وعلى أروع فنان لو تركنا كلاً منهما يسير وراء هوايته وطبيعته الفطرية . فتقسيم العمل يعتبر من أهم الظواهر الطبيعية ، وقد شمل حتى تكوين الإنسان وتركيبه العضوي ، فإن لكل عضو من أعضاء الإنسان عمله الخاص وفائدته الخاصة وبهذا تكون جميع أعضاء الإنسان متساوية من ناحية الاستهلاك ومتوازية في إنجاز المهام مثلها في ذلك كمثل تقسيم العمل في المعمل الصناعي ، فتقسيم العمل في المعمل الصناعي من شأنه أن يستوجب استعمال كافة الآلات الموجودة في مصنع من المصانع في وقت واحد .

ولا شك أن هذا الاستعمال مفيد من عدة نواحي ،

فهو مفيد للآلات نفسها إذ أن الحركة أفضل لها من الوقوف ، كما هو مفيد بالنسبة للإنتاج إذ أن العامل الذي يتخصص في إدارة آلة معينة يستطيع أن يحصل على أكبر فائدة مرجوة منها ؛ وبذلك تصل قوة الإنتاج إلى أقصى درجتها . وحتى على الصعيد الدولي فإنا نجد أن تقسيم العمل قد انتشر بين الدول والأقاليم بل وحتى في الدولة الواحدة نفسها ، وذلك تبعاً لصفات السكان فيها واستعدادهم الذاتي لأي أنواع العمل ، وبحسب تربتها ومناخها ونوع المعادن الموجودة فيها ونوعية المحصولات التي تنتجها والقوى المتحركة وتوزيعها .

فقد تتخصص بعض الدول في صناعة المنسوجات وبعضها في صناعة المواد الكيميائية مثلاً وقد تتخصص غيرها في تربية الأغنام أو زراعة القطن أو إنتاج النفط بناءً على استعداد الدولة وإمكانياتها . ولا شك أن تقسيم العمل بين الأفراد في جميع المجالات له أثر كبير في حياتنا الاجتماعية فعلاوة على المزايا العديدة التي يتضمنها فإنه يحكم الروابط بين الأفراد ويشعر الإنسان بحاجته إلى أخيه الإنسان وبأنه لن يستطيع أن ينتج بنفسه كافة الأشياء

اللازمة له فهو مضطر إلى أن يعتمد على غيره في الحصول عليها .

وعلى هذا فإن كل واحد من المجموعة البشرية يشعر بأنه مشدود جذرياً إلى أخيه الإنسان وهذا الشعور يولد التقارب اللااختياري في المجتمع . فإذا كان تقسيم العمل شاملاً لكل المجالات في جميع الأحوال ، وإذا كانت الحياة قائمة على أساس تقسيم العمل في جميع نواحيها ، فمن الطبيعي جداً أن يأخذ الإسلام بهذا المدأ في تقسيم العمل بين المرأة والرجل فيسند لكل منهما الدور الذي هو أكثر كفاءة للقيام به .

فإن لكل من المرأة والرجل مزاجاً خاصاً وتكويناً معيناً لا ينبغي لأي منهما أن ينحرف عنه أو ينفصل منه .

فتوزيع المهام إذاً بين الرجل والمرأة لا يقوم على أساس تسخير أحدهما للآخر بل على أساس تقسيم العمل وإعطاء كل منهما نوع المهمة التي تنسجم مع طبعه ومزاجه . ولولا توزيع هذه الوظائف والتهيئة التكوينية لهذا التوزيع لما أمكن للبشرية أن تعيش على وجه الأرض . فكما أن على المرأة أن تقوم بوظائفها الطبيعية في الحياة

كذلك على الرجل أيضاً أن يقوم بمهامه بالنسبة للمجتمع والحياة ، ويكون إنجاز هذه الوظائف الطبيعية على سبيل التعاون والتكافوء لا على سبيل التسخير والاستخدام .

هذا هو التقسيم السماوي للوظائف البشرية دون استغلال من أحد الطرفين . وهكذا شاءت العدالة الربانية أن تجعل البشر متساوين في الوظائف متكافئين في الأعمال دون ظلم أو إجحاف . وتقسيم الوظائف على هذا النحو يحفظ لكل من الطرفين مكانته الاجتماعية ويحافظ في الوقت نفسه على كيانه الخاص ، ويجعلهما معاً خادمين للمجتمع على صعيدين متساويين ، وكل حسبما تفرضه عليه طبيعته ويدله إليه تكوينه .

ولذلك فقد أسند للمرأة خدمة المجتمع في داخل البيت وأسند للرجل خدمة المجتمع في خارج البيت . وذلك لأن المرأة بطبيعتها الأنثوية الرقيقة أجدر بإدارة البيت الذي يقوم على الحب والعطف والحنان .

ولكن هذا التوزيع العادل للوظائف أخذ يستغل من قبل بعض دعاة الشر لإبرازه في صورة معاكسة تماماً للواقع تنتج عنه تصورات خاطئة عن أن المرأة في الإسلام لا تعد

إلا كونها أداة عمل وآلة إنتاج تحت سيطرة الرجل . وكان نتيجة لهذه الدعايات السامة أن أخذت المرأة المسلمة تستشعر بنقطة ضعف موهومة وصارت تحاول أن تمحو عنها هذا النقص .

وبما أن الوسيلة الوحيدة التي تمكنها من ذلك هي عدالة السماء وتفهمها الواقعي للحكمة العادلة في هذا التوزيع ، وبما أنها قد انصرفت عن هذه الناحية بعد أن توهمت اليأس منها ، فإنها لن تتمكن من الاهتداء إلى ما تسعى ، مهما حاولت ذلك ومهما بذلت في سبيل ذلك الغالي والرخيص من عزتها وكرامتها وطهرها الغالي الثمين .

المرأة والحجاب

الحجاب ليس كما يتوهم البعض من أنه ختم ملكية المرأة للرجل ، فإن المرأة والرجل من الناحية الإنسانية سواء لم يخلق أحدهما ليملك الآخر بل خلق أحدهما ليتمم الآخر ويكمله ، ولكل منهما جانبان مزدوجان : فالرجل إنسان وذكر والمرأة إنسان وأنثى ، وكل منهما بوصفه إنسان يسمح له بالمشاركة في خدمة المجتمع على أن يظهر في مجال الخدمة كإنسان لا أكثر ولا أقل . إذن فعدم تظاهر المرأة بأنوثتها لا يؤخذ دليلاً على أن الإسلام أراد أن يحجبها من المجتمع فهي عندما تتصل بالمجتمع تتصل به لحساب كونها إنسان طبعاً فكما أن للرجل أن يثبت إنسانيته في الوجود ، للمرأة أيضاً أن تثبت وجودها الإنساني ، حالها في ذلك حال الرجل سواء بسواء . وفي النواحي التي يتحتم على المرأة التستر فيها يتحتم على

الرجل ذلك أيضاً فكما أن المرأة لا يمكن لها أن تتظاهر بأنوثتها وبكونها الجنس الناعم عن طريق الخلاعة والتبرج لا يمكن للرجل أن يتظاهر برجولته وذكورته ولا يمكن له أن يعيش في المجتمع الواسع إلا كإنسان ، كالمرأة التي لا يمكن لها أن تعيش في المجتمع الواسع إلا كإنسانة ، وفي المواطن التي يظهر فيها الرجل كرجل علاوة على كونه إنساناً يمكن للمرأة بل ويجب عليها أن تظهر بمظهر الأنثى علاوة على كونها إنسانة .

وبما أن جاذبية المرأة وسحرها أقوى وأشد تأثيراً من جاذبية الرجل وسحره كان حجاب المرأة أوسع وأشمل من حجاب الرجل . فالمرأة التي تظهر في المجتمع بمظهر إنسانة بدون إشارات وهوامش تشير إلى أنوثتها ، تكون مساوية للرجل . على العكس تماماً من المرأة الغربية ، التي إن قال لها الرجل أنها حرَّة في تصرفاتها وفي كل شيء تكون في الواقع مقيدة بإرضاء الرجل أي رجل كان وإشباع رغباته ، إذ فرض عليها تظاهرها بأنوثتها باسم الحرية على ما يتطلب ذلك من تعب وجهد وعلى ما يستنفد ذلك من وقت المرأة .

فهل من الإنسانية أن تكون المرأة سلعة تعرض

سيطرتها المطلقة بوصفها مالكة للمال ، بينما يمنح هذه السيطرة للزوج لا على ماله فحسب بل على مال زوجته أيضاً ، وفقاً لأحد أشكال أربعة سمح القانون بصياغة العقد طبقاً لأي واحد منها تبعاً لما يقع عليه اختيار الزوجين . والأشكال الأربعة هي كما يلي :

أولاً ـ شركة الزوجين وهو تقسيم أملاك الزوجين إلى ثلاثة : قسم عام للزوجين غير قابل للقسمة وقسم خاص بالزوج وقسم خاص بالزوجة، وللزوج وحده حق إدارة الأقسام الثلاثة كرئيس للشركة .

والثاني ـ بدون شركة أو استبعاد الشركة : وهو أنه لا يوجد في هذا القسم أملاك عامة فكل زوج يحتفظ بأملاكه الخاصة لكن للزوج وحده حق إدارة أملاكه وأملاك زوجته واستثمارها .

الثالث ـ فصل الأملاك . وفي هذا القسم منافع الزوجين منفصلة فكل واحد منهما يحتفظ بملكيته لأملاكه واستغلالها وإدارتها على شريطة أن تترك الزوجة إلى زوجها جزءاً من إيرادها اشتراكاً معه في نفقات المعيشة .

الرابع ـ المهر وهو تقسيم أملاك الزوجة إلى مهر

وغير مهر : فالمهر ما جعلته المرأة مهراً عند الزواج من أملاكها أو ما أعطي إليها في عقد ترتيب أملاكها من أقاربها مثلاً ، وللزوج حق إدارته واستثماره فقط .

ولنقف الآن عند الشكل الأول من هذه النظم وهو شكل الشركة الزوجية ، ففيه أن للزوج إدارة ماله الخاص ومال الزوجة الخاص ومال الشركة . وحق إدارة أملاك شركة الزوجية خاص بالزوج كرئيس لها وهو حق خوله له القانون فلا يجوز انتقاصه ولا الغاؤه بشرط في عقد ترتيب أموال الزوجين . وسلطة الزوج في إدارة الأموال المشتركة تكون في الأعمال الإدارية ومباشرة رفع الدعاوى أمام القضاء . وفي الأعمال الإدارية المحضة تكون سلطة الزوج فيها غير محدودة فيؤجر ويستأجر العقار من غير تحديد، وله قبض الإيراد وله أن يتصرف فيه كما يريد ويقبض رأس المال من غير مراقبة ولا إذن من أحد . وكذلك له السلطة غير المحدودة في التقاضي ، فسلطة الزوج في ذلك غير محدودة وليس للزوجة الرجوع عليه بأي تعويض ولو أخطأ خطأ فاحشاً أو أدار إدارة سيئة أو بذر تبذيراً يجعله مسؤولاً قانونياً فهو يعمل كمالك حقيقي ليس عليه أي مسؤولية قبل أي شخص كان ، وللزوج أيضاً

لعيون الرجال المتعطشة ؟ وهل أن من مستلزمات إنسانية المرأة أن تصرف الساعات الطوال في محلات « الكوافير » وتحت أيدي المواشط مع ما يلزم ذلك من استهلاك وقت مادي ومعنوي ؟

كل هذا لأجل أن تُرضي الرجل فهل يمكن لهؤلاء النساء أن يظهرن ولو مرة واحدة فقط بدون علامات تدل على أنوثتهن معتمدات على شخصيتهن أو على معارفهن ؟ وهل خطر لإحداهن مرة في أنها لو دعيت إلى الحفل الفلاني سوف تكون المبرزة بين لداتها لما تملك من معرفة أو لما تتمتع به من شخصية ؟ بل إن أفكارهن تتجه أول ما تتجه في أمثال هذه المناسبات إلى أناقتهن وإلى تحصيل الأسباب التي تجعل إحداهن أكثر جاذبية وفتنة من الأخرى .

وأنا لا أريد أن أقول أن من مستلزمات الأناقة التبرج أو أن التبرج من مستلزمات الأناقة ، ولا أريد أن أدعو إلى التقشف ولكني أريد أن أنبه اللاتي جعلن في التبرج والتأنق عماد شخصيتهن أن الواقع يؤكد أن هذا شيء ثانوي لا يعدو كونه إرضاءً للرجل ولو بسبعين واسطة .



المـرأة والملكية

للمرأة المسلمة الحق الكامل في التملك الشخصي والتصرف الكلي فيما تملك من مال وعقار ، وفي كل أدوار حياتها ، سواء أكانت بنتاً أو زوجاً أو أماً ، وفقاً للنظام العام . وليس للزوج المسلم حق في أن يتصرف بما يخص زوجته المسلمة أو أن يمس شيئاً مما تملك بغير إذن منها ورضاء .

ومن هذا نرى أن الإسلام قد أعطى بتشريعه هذا للزوجة المسلمة حقوقاً لم تحصل عليها في تشريعات أي حضارة أخرى منذ أقدم العصور وحتى الآن . ففي الشرائع الحديثة التي تعتبر القمة في التشريع البشري وُضعت شروط عامة للزواج وَرُبِطَ عقد الزواج بعقد آخر أطلق عليه إسم عقد ترتيب أملاك الزوجين ، وهذا العقد يجعل ثروة الزوجة إلى حد كبير تحت سيطرة الزوج ويحرمها من

إدارة أملاك الزوجة الخاصة لكن سلطة الزوج في ذلك تختلف عن سلطته في إدارة أموال شركة الزوجية كالآتي :

أولاً ـ لا يجوز منع الزوج من مباشرة سلطته في إدارة أموال شركة الزوجية حتى ولو بشرط في عقد ترتيب أموال الزوجين ولكن منع الزوج من إدارة أملاك الزوجة الخاصة يجوز اشتراطه في عقد ترتيب أموال الزوجية فيمكن للزوجة بعد الشرط أن تحتفظ بإدارة أملاكها لنفسها خاصة .

ثانياً ـ سلطة الزوج على أموال شركة أموال الزوجية سلطة مطلقة كمالك حقيقي ولكن سلطته على أملاك الزوجة الخاصة سلطة إدارة عادية فقط .

ثالثاً ـ الزوج غير مسؤول في إدارته السيئة والإسراف والتبذير في شركة أموال الزوجية بخلاف إدارة أملاك الزوجة الخاصة فهو مسؤول عن كل خطأ أو إسراف أو تبذير كمدير عادي . وعلى هذا فنحن نرى أن سلطة الزوج على الزوجة في أملاكها الخاصة أقل منها في أموالها الخاصة إذا صح لنا أن نعتبر أن تلك الأموال تعتبر أموالاً لها بعد الزواج .

ولكن عقد الزواج في التشريع الإسلامي لا يتعدى شخص الزوجين إلى مالهما أو عقارهما اطلاقاً فلا علاقة للزوج بمال زوجته إطلاقاً لأي سبب كان . فالزوجة حرة في أن تبيع وتشتري وترهن وتوكل من تشاء لما تشاء بلا معارضة من الزوج إلا في حدود القانون العام من إسراف أو تبذير أو سفه مثلاً فليس للزوج إذاً دخل في مالية الزوجة ولا في أهليتها .

فهي كاملة الأهلية في التصرف بأموالها وأملاكها قبل الزواج أو بعده بلا فارق ، ومهما كانت الزوجة غنية فليست ملزمة في المساهمة بنفقات البيت ولا في نفقات الأولاد وإذا أنفقت فإنما تنفق نتيجة لروح التعاون لا لحق شرعي أو عرفي . والمهر وما يدفع إلى الزوجة قبل الزواج أو بسببه من الزوج أو من غيره من الأقارب والأصحاب هو ملك خالص للزوجة لا شأن للزوج به ككل أملاكها وأموالها .

هذا هو الزواج في الإسلام وهذه هي المقارنات التشريعية بينه وبين باقي القوانين الوضعية وهذه هي أحكام المرأة في الإسلام والتي تدل على أن الزوجة المسلمة قد

حصلت على حق لها في تشريعات الإسلام كما لم تحصل عليه أي زوجة في أي حضارة .

ثم هذه هي المرأة الغربية وقد أعطيناك عنها لمحة موجزة إذ هي زوجة ورأينا استغلال الرجل لها وتلاعبه بأموالها دون حسيب أو رقيب .

وبعد كل هذا يقال أن المرأة الغربية حرة متحررة وأن المرأة المسلمة أسيرة مستعبدة . ونحن لو أردنا أن نأتي على جميع المقارنات التشريعية للمرأة المسلمة والمرأة الغربية لضاق بنا المجال . ولعلنا سوف نبحث هذا الموضوع في رسالة أخرى إنشاء الله ، ولكن الآن يكفينا لإثبات حرية المرأة المسلمة وعبودية المرأة الغربية هذا المثل الواحد الذي ذكرناه في حق المرأة بالتملك .

وقد قنعت المرأة الغربية من الرجل أنه فتح أمامها أبواب الخلاعة والتكشف وهيأ لها سبيل الاستهتار والتبرج . وحتى هذا فإنه لم يكن لحساب المرأة الغربية ولا كان إرضاءً لها ولرغبتها الخاصة بل كان لحساب الرجل وإشباعاً لنزواته ورغباته . فحتى في عالم الخلاعة والتبرج ليست المرأة الغربية مختارة حرة وإنما هي خاضعة أيضاً

لشركة جسدية تقابل الشركة المالية ويكون للرجل في هذه الشركة حق التصرف والاختيار . أيضاً فقد تعجبه التسريحة الفلانية أو الزينة الفلانية وقد لا يعجبه الزي الفلاني أو التصميم الفلاني . وفعلاً فإن أكثر مصممي الأزياء من الرجال يخلعون على المرأة الزي الذي يروق لهم والذي يرضي عيونهم وأذواقهم .

وعلى كل حال فإن المرأة الغربية مسخرة للرجل ولميوله ونزواته .

وأما الإسلام فهو لا يقيد المرأة المسلمة بأي قيد ولا يوجه إليها أي تكليف خاص بها دون الرجل إلا بالحجاب . والحجاب كما قدمنا في الفصول السابقة ضرورة من ضروراتها وحقيقة واقعية من حقيقتها الأنثوية وليس له أي أثر على سلوكها العام أو الخاص . .

فتصوروا أيهما شريعة الكرامة والحرية الحقيقية بالنسبة للمرأة ، شريعة تقول : من تزوج امرأة لمالها حرمه الله من مالها لأنها تريد من الرجل أن ينظر إلى المرأة بالمقاييس الإنسانية لا بالمقاييس النقدية وأن يعتبرها شريكة له في حياته لا تجارة رابحة ، وبين شريعة أخرى تنزل

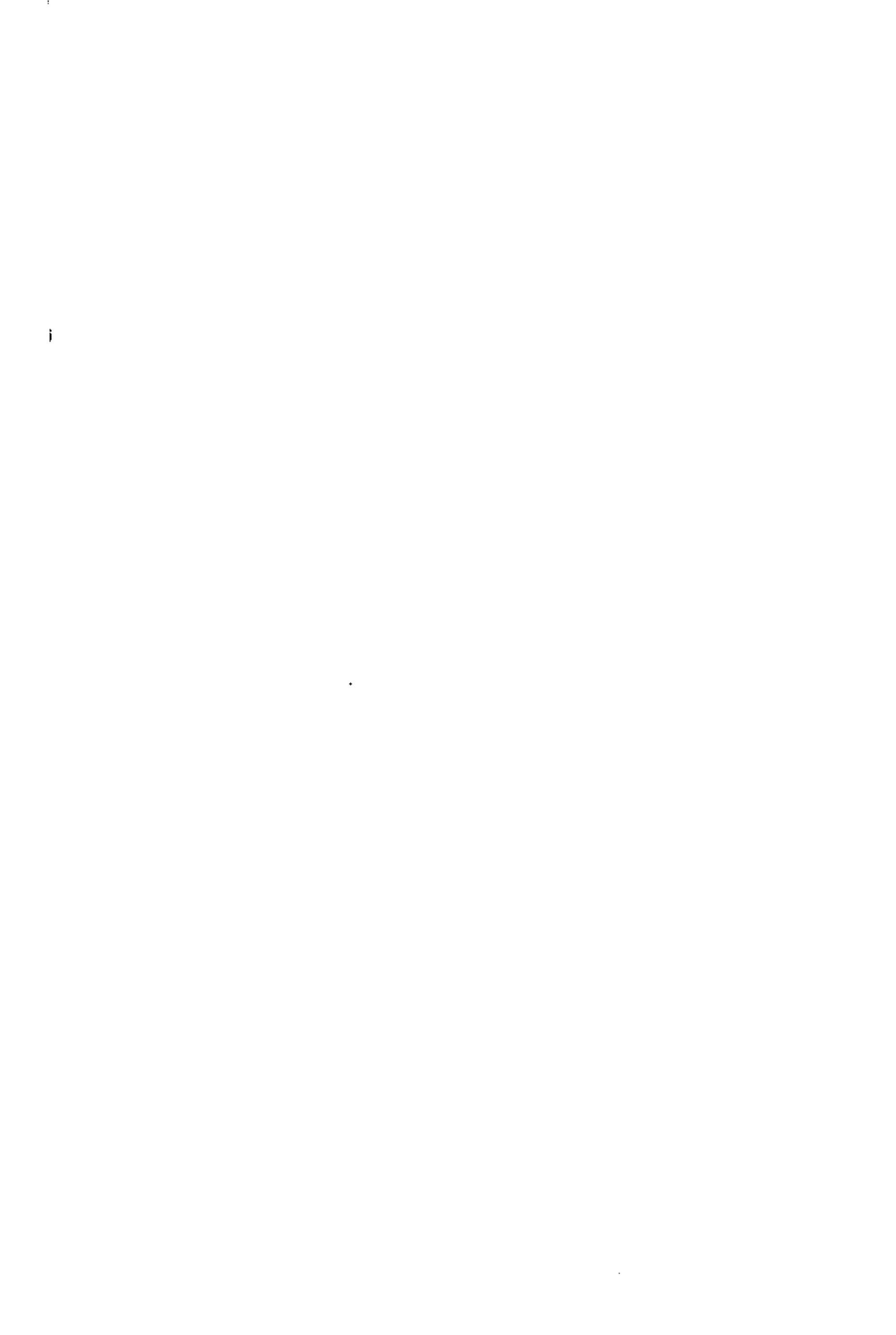
بالزواج عن مفهومه الإنساني الخير وتربط بينه وبين إنشاء شركة مالية لحساب الرجل يخرج فيها الرجل وهو يملك كل شيء وتخرج منها المرأة وهي لا تملك شيئاً سوى جواز المرور الذي حصلت عليه من الرجل نفسه .

نعم سوى جواز المرور في الشارع والدخول إلى المنتديات متكشفة متهتكة .

بقي علينا الحديث عن مسألة قد تثار بشأن ملكية المرأة وحقها من التملك في الإسلام وهي مسألة الإرث ؛ إذ أن الإسلام جعل للرجل فيه مثل حظ الأنثيين ، وقد تفسر هذه التفرقة لحساب الرجل .

ولكن الواقع أن هذا الفرق مرتبط بوضع الالتزامات التي وضعها الشارع بين الرجل والمرأة فالرجل المسلم هو المسؤول الشرعي والعرفي لأعمال الزوجة والبيت وهو المكلف بتهيئة مؤونة العيش ومستلزمات الحياة لمن يعول . ولهذا فإن من حقه الطبيعي أن يختلف عن المرأة في الإرث ويكون له من الإرث مثل حظ الأنثيين على العكس تماماً من المرأة المسلمة فهي غير مسؤولة شرعاً

ولا عرفاً عن أي نفقة أو صرف كما قدمنا في هذا الفصل ولذلك فليس في هذا أي هضم لحقوق المرأة ولا أي مكسب للرجل دونها من الميراث فهي في الحقيقة تشاركه في الزيادة التي يأخذها باعتبار المسؤولية التي تقع على الرجل تجاهها .



المـَرأة البـِنتُ

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نعم الولد البنات ملطفات مجهزات مؤنسات » هذا هو التقريظ النبوي المقدس للبنت وهذه هي فكرة الإسلام عن الوليدة وعن أهميتها في الوجود .

وقد يعتبر هذا الحديث طبيعياً في مثل هذا العصر وبعد أن ركز الإسلام للمرأة كيانها الخاص وبعد أن عمت فكرة الإسلام عن كون البنت والولد في ميزان واحد . ولكن هذا الحديث جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في عصر كانت العوائد الجاهلية فيه مستحكمة وكانت البنت فيه موؤدة خوفاً من عار بقائها في الحياة . وكان من أسباب عار الرجل أن يكون أبا بنات حتى أن أعداء رسول الله (ص) كانوا يجعلون من أبوة رسول الله للبنات سبيلاً إلى الاستهزاء والسخرية . وقد جاء في

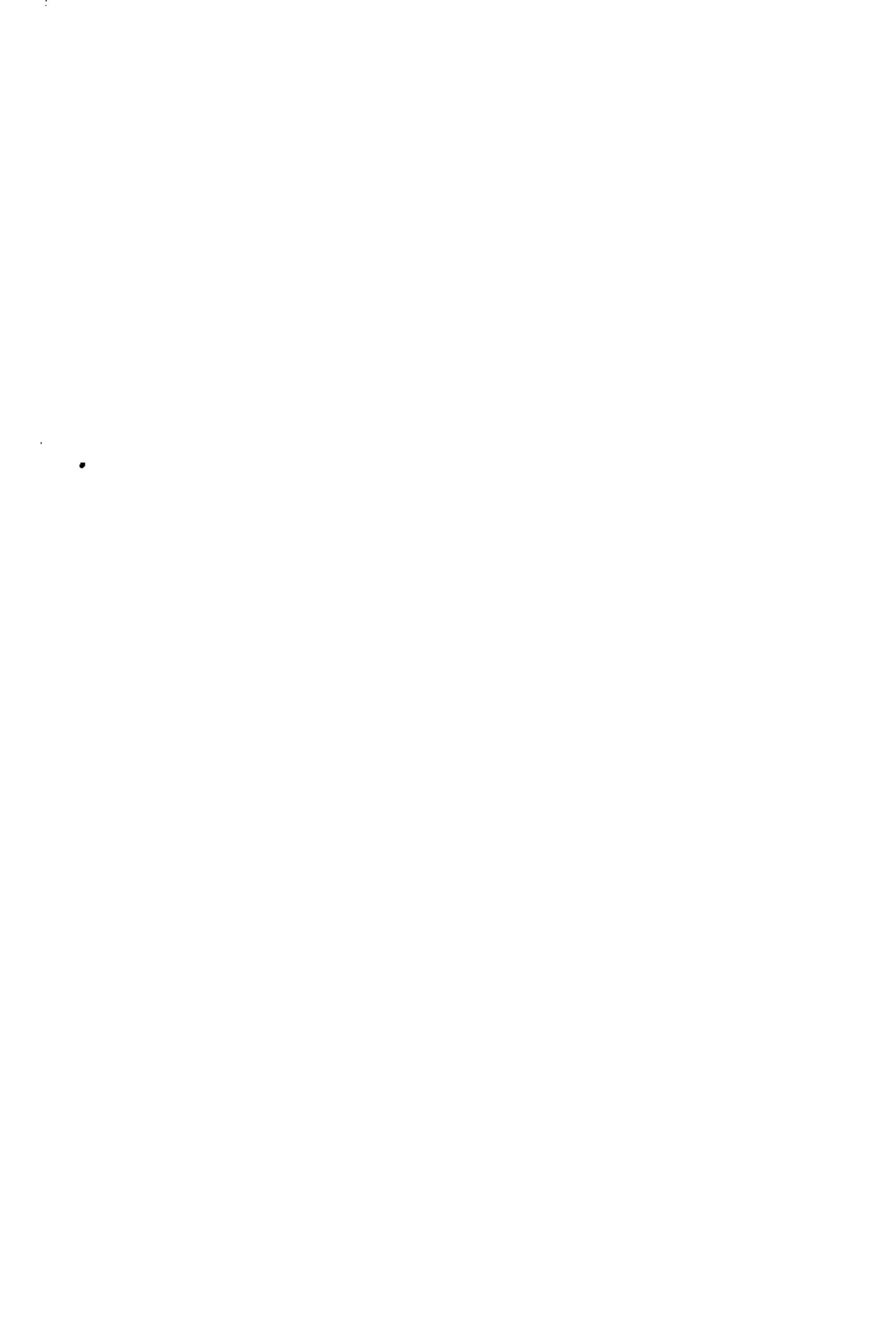
الروايات أن رسول الله (ص) بشر بإبنته فنظر إلى وجوه أصحابه فرأى الكراهة فيهم فقال : مالكم ؟!.. ريحانة أشمها ورزقها على الله عز وجل .

وهكذا نرى أن الإسلام ارتفع بالبنت الموؤدة إلى ريحانة وإلى خير الولد . وقد روي عن رسول الله الأعظم (ص)أنه قال :إن الله تبارك وتعالى أرقُّ على الإناث منه على الذكور وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها قرابة إلا فرَّحه الله يوم القيامة .

وهكذا وعلى هذا النحو غرس الإسلام في صدور المسلمين حب البنات وأفهمهم أنها فلذة لهم مثلها في ذلك مثل الولد سواء بسواء . وجاء في الروايات أنه ولد لرجل من أصحاب الإمام أبي عبدالله (ع) جارية فدخل على أبي عبدالله فرآه مسخطاً فقال له : أرأيت لو أوحى الله إليك أن أختار لك أو تختار أنت لنفسك ما كنت تقول ؟ قال : كنت أقول يا رب تختار لي . قال : فإن الله عز وجل قد اختار لك . ثم قال : إن الغلام الذي قتله العالمُ الذي كان مع موسى وهو قول الله عز وجل ، ﴿ فأردنا أن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خيراً منه زكاة وأقرب رحماً ﴾

الكهف / ٨١ ، أبدلهما الله عز وجل بجارية ولدت سبعين نبياً .

وقد روي عن أبي عبدالله (ع) أيضاً أن رجلاً تزوج بالمدينة فلما جاءه سأله أبو عبدالله كيف رأيت ؟ فقال : ما رأى رجل من خير من إمرأة إلا وقد رأيته فيها ، ولكن خانتني . فقال : ما هو؟ قال : ولدت جارية . فقال أبو عبدالله : لعلك كرهتها ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ﴾ . النساء / ١١ . وهذه الرواية تدلنا على المهمة العسيرة التي واجهت الإسلام في مطلعه الأول عندما ركز للبنت مقاماً معترفاً به شرعياً ورسمياً وعاطفياً . فبعد مضي حوالي القرن نرى أن هذا الرجل يعتبر أن زوجته قد خانته لأنها ولدت له جارية ، وهذا هو السبب في كثرة الروايات التي وردت عن النبي يحبب فيها البنت ويقربها إلى القلوب ويجعلها ريحانة ونعم الولد .



البنت حينما تصبح زوجة

الزوجية في الإسلام هي رباط مقدس يقوم على أساس الوفاء والحب والإخلاص . وقد اهتم الإسلام في هذه الناحية من حياة المرأة المسلمة وأعطى الزوجة الصالحة مفهوماً طاهراً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض ، ولا هضم فيه لحق أي من الطرفين : ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم** ﴾[1] .

ومن هذا نعرف أن الإسلام جعل من العلاقة الزوجية علاقة متكافئة ، للزوجة فيها ما للزوج وعليها ما عليه . وأما الدرجة التي أعطيت للرجل على المرأة فذلك مرده لتكوين المرأة وتكوين الرجل .

فالمرأة ، ونظراً لطبيعتها التي خلقت لها ، تكون

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨

أضعف من الرجل وأرق . وهي تتعرض في أدوار معينة من حياتها إلى أعراض طبيعية لها التأثير البالغ على قواها الجسمانية والفكرية خلافاً للرجل الذي هو في منأى عن أمثال هذه الأعراض وآثارها النفسانية والجسمانية . وقد أكد الطب القديم والحديث على هذه الناحية وعلى أن المرأة وفي معدل ٧٤ ٪ تتعرض في أدوار معينة ونتيجة لتركيبها العضوي وكيانها الأنثوي إلى أعراض من نتائجها تقليل قوة إمساك الحرارة في الجسم ، وإعاقة النبض عن السرعة وهبوط في ضغط الدم ، وتقليل عدد خلاياه . وتؤثر هذه الأعراض أيضاً على الغدد الصماء واللوزتين وعلى الغدد اللمفاوية وتقلل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم ، ويختل فيها الهضم ويقل فيها التحام الشحم والأجزاء الهيولينية في المأكولات مع أجزاء الجسم . وفيها يبلد الحس وتتكاسل الأعضاء وتتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار إلى آخر هذه الأعراض التي تكون المرأة في معرض لتلقيها بين حين وحين . ووجود أمثال هذه الأعراض أو بعضها من حقه أن يؤثر على المرأة وعلى وجودها الاجتماعي . وهذا ضرورة من ضرورات المرأة ونتيجة من نتائج تقسيم الوظائف بين

البشر . ولذلك فهي تحتاج دائماً وأبداً إلى من يشدها في جميع الأحوال وإلى من يسندها في كل وقت وهي ستجد في الرجل وجودها الثاني الذي لا يطرأ عليه أي تغير أو تبديل .

ولذلك جعل الإسلام للرجل درجة على المرأة وليس في هذا أي إجحاف لحق المرأة أو أي ظلم لها ، بل هو نتيجة طبيعية لما قدمناه . وكذلك في أوقات الحمل الذي يعد أقدس مهمة تنجزها المرأة في الحياة تصاب أكثر النساء بأعراض كثيرة تكون من مستلزمات الحمل وتوابعه وتستهلك هذه الأعراض من المرأة جهداً بدنياً شاملاً . وقد صرح كثير من الأخصائيين أن الشهر الأخير من أشهر الحمل لا يصح فيه أن تكلف المرأة جهداً بدنياً أو فكرياً وعند ذلك أيضاً يأتي دور الرجل الزوج لكي يسيِّر معها دفة الحياة . والمرأة بطبيعتها الناعمة تحتاج إلى ركن قوي تستشعر في ظله الأمن والرضاء .

ولو لم يكن للرجل على المرأة درجة لأصبح الرجل بالنسبة للمرأة كواحدة غيرها من النساء وعند ذلك تفقد هذا الشعور الذي تحتاجه كل أنثى وهو شعورها بأنها في حِمى مكين وبأنها مسنودة إلى جبهة قوية .

فالمرأة كما عرفنا لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تتجرد عن أنوثتها التي هي ضرورة من ضرورات وجودها الإنساني . والأنوثة تعني الرقة والنعومة ، والرقة والنعومة لا بد لها ممن يعوضها عن ضعفها بقوته وعن رقتها بصلابته .

وإلا فإنَّ الإسلام هو أول نصير للزوجة بجميع أحكامه ومفاهيمه . وقد جاء في الروايات عن رسول الله (ص) أنه قال :خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي . وجاء في الروايات أن النساء في عهد النبي كُن قد وجدن فيه لأنفسهن نصيراً مشفقاً وملجأً حتى أنهن كُن يشكين إليه أدنى اعتداء يصلهن من أزواجهن وكان أزواجهن يحذرون أن يبدر منهم إليهن ما يشكينه إلى النبي .

وجاء في الروايات عن الرسول (ص) أنه قال :خير متاع الدنيا المرأة الصالحة . وجاء عنه أيضاً : ليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة .

وعلى هذا النحو جعل الإسلام من الزوجية نموذجاً جديداً وأسبغ عليها مفاهيم سامية لا لبس فيها ولا غموض . والزوجة في الشريعة الإسلامية لها من الحقوق الزوجية ما عليها ، وبهذا أوجد الإسلام من الزوجية رباطاً

محكماً ثابت القواعد له شروطه وأحكامه وليس متعة لهوٍ عابرة .

فالزوجة إذن ليست آلة مستخدمة للرجل وليست وسيلة لإنجاز مهامه وقضاء حوائجه ، وليس للرجل عليها أي حق في هذا الباب كما قد أجمعت عليه الروايات والأخبار وأجمع عليه أيضاً جميع الفقهاء . وقد ترك الإسلام التعاون القائم بين الزوجين إلى رغبة الزوجين في هذا التعاون واستعدادهم لذلك ولا ريب أن الحب المتبادل والمودة التي جعلها الله بينهما تدفعهما إلى التعاون وتحبب إليهما ذلك التعاون ، فهو تعاون متكافىء قائم على أساس الحب والرحمة والإخلاص . وعلى هذا فإن المرأة لا تشعر بأي غضاضة في ذلك فهي مخيرة لا مسيَّرة ومندفعة لا مدفوعة . وبما أن بيت الزوجية هو مملكة الزوجة الخاصة وعشُّها السعيد فلا ريب إذن من أن تكون المرأة أكثر اندفاعاً لتعمير هذا العش وتشييده من الرجل الذي يكون نطاقه أوسع من البيت وأعم . فالمرأة عندما تشعر أنها هي القائدة الواقعية للبيت وللمجتمع الصغير الذي تحسُّ فيه براحةٍ نفسية إذا أحسنت قيادته وحدها وأثبتت كفاءتها لتلك القيادة التي هي في الواقع بداية لقيادة المجتمع الواسع .



الزَوجَة حِينَمَا تصبحُ أمّاً

الأمومة رسالةٌ مقدسة كُلفت المرأة بأدائها نظراً لكون دور الأمومة هو أدق أدوار الوظائف في الحياة . والمرأة ولكونها عاطفية بالطبع والفطرة يكون لها من عاطفتها الفياضة دافعٌ يشدها إلى تحمل مهام هذا الدور ومشاكله . والأم وفي كل عصر من العصور كانت لها الأهمية القصوى في ذلك العصر وكانت الأمم المتقدمة تولي الأم اهتماماً خاصاً وتتخيرها وتنتقيها من بين مئات من النساء . فقد كان يتفق للرجل قبل الإسلام أن يقتني العديد من الجواري والزوجات ولكنه يحدد نسله في واحدة يكون على ثقة من عراقة أصلها وأصالة فرعها ولكن ذلك كله كان لحساب الولد لا لحساب الأم بما هي أم ، ولكن الإسلام فتح أمام الأم آفاقاً جديدة أخرى تخص شخصها وكيانها الخاص . فمكانةِ الأم قبل الإسلام مكانة آلة الإنتاج التي يحرص

على أن تكون سليمة مستحكمة لكي تنتج الإنتاج السليم . ومكانة الأم بعد الإسلام مكانة الواهبة للحياة بما يستلزم ذلك من حقوق والتزامات . ولذلك فقد خولها الإسلام إمكانيات واسعة وجعلها تحس بأنها تلد الولد لنفسها وللمجتمع وليس للمجتمع فحسب ، وجعل الولد يشعر بأنه مدين بحياته ونشأته للأم . وبذلك ارتفع بها من دائرتها الضيقة في الأمومة إلى أفقٍ عال من الرفعة والمكانة . وأصدق دليل على ذلك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : الجنة تحت أقدام الأمهات .

فهل هناك غاية في السمو أعلى من أن تكون الأم طريقاً للجنة ومن أن يكون رضاؤها باباً يلج منه المؤمن إلى جنات النعيم .

نعم الجنة التي وعِد المتقون بها والتي هي غاية كل مسلم وحصيلة عمر ينقضي بالخير والصلاح تكون تحت أقدام الأمهات ، وتكون الأم هي الطريق المؤدي إليها برضاها عن الولد وبإرضائه لها . فالإسلام يعلم أن الأم وبما تكابده لأجل وليدها من آلام ومحنٍ وأسقام جديرة بأن تكون وسيلة لولدها في دخول الجنة ، وأن يكون إرضاؤها

شرطاً أساسياً من شروط الإيمان الكامل والإسلام الحقيقي ، سواء أكانت الأم أرفع من الولد أصلاً أو دونه في الأصل والنسب فهي أمٌ وكفى .

هذه هي حكمة الإسلام ورحمته تجاه الأم ، فالإسلام لا يقر لولد مهما كان شريف الحسب والنسب أن يتطاول على أمه وإن كانت جارية . فحق الأمومة في شريعة الإسلام حق مقدس لا يتغير ولا يتبدل مهما اختلفت الظروف والأحوال . والواقع أن العقل والمنطق يؤيدان هذا ويؤكدانه . فإن الولد لا يمكن له أن ينال الحياة إلا بعد أن تغذيه الأم من دمها وبعد أن تحمله معها في أحشائها وتحميه في كل جارحة من جوارحها . ولا يمكن له أن يعيش أيضاً إلا إذا كفلته أمه في رعايتها وغذته من لبنها وأحلته في أحضانها .

وعلى هذا فإن الولد في الواقع قطعة من الأم قد انفصلت عنها وتكونت إلى جنين ، فهل يمكن لبعض الشيء أن يعلو على بعضه ؟ وهل يمكن للثمرة أن تسمو على الشجرة ؟ وهل يمكن للوردة أن تباهي الغصن ؟ ولولا الغصن لما كان هناك زهرة على وجه الأرض . والإسلام لاحظ هذا ولاحظ المشاكل التي تحدث من جراء هذا

الشعور الذي كان الأولاد يشعرون به قبل الإسلام تجاه الأم التي هي دونهم في الأصل والنسب ، فأراد أن يخول الأم وأي أمٍّ مكانها الذي يمكنها من حفظ كيانها في كل المجالات والظروف ، وتلزم أولادها الطاعة لها مهما اختلفت عنهم في الأصل والنسب . وقد كان رسول الله (ص)يكرر في أكثر من مناسبة قوله :(وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) مع أنأم الرسول (ص)كانت من أعرق أسر قريش وأطهرها نسباً وحسباً ، وقد جاء في الروايات أيضاً أن رجلاً سأل رسول الله (ص) عن حق الوالدين فأجابه الرسول قائلاً : أمك ثم أمك ، ثم أمك ثم أبوك .

فالأم بطبيعتها الأنثوية ورقتها الطبيعية تهب لوليدها من حنانها وعطفها أكثر مما يعطي الأب بل أكثر مما يتمكن أن يعطيه الأب ، نظراً لتكوينه الخاص الذي لا يمكنه من الاندفاع وراء عواطفه في الوقت الذي تكون فيه الأم سريعة الاندفاع وراء عواطفها قليلة التمكن من التحكم في مشاعرها . فعلى هذا فإنَّ الولد يستهلك من عطف الأم وحنانها أكثر مما يستهلك من عطف الأب وحنانه ، وإن كان الحب الواقعي عند الوالدين في حد سواء .

وهذا هو السبب في تأكيد رسول الله على حق الأم ثلاث مرات . ونحن لا ننكر أن للولد حقاً عند أمه وأن على الأم أيضاً أن تحسن تربية الولد وتغذي روحياته وتحميه من مهاوي الانزلاق بالمقدار الذي تمكنها منه قابلياتها ومعارفها . وعلى الأم أن تشعر بخطر مسؤولياتها وهي تضطلع بدور الأمومة . وعليها أيضاً أن تعرف أنها مسؤولة عن النشء الذي تنشئه أمام الله وأمام المجتمع . ولذلك فإن من ضرورات الأمومة الصالحة أن لا تكون الأم جاهلة لكي تتمكن من معرفة الطرق السليمة في التربية . وأنا لا أريد أن أقول أن على كل أم أن تأخذ دبلوماً من معاهد التربية مثلاً .

ولا أقصد مثل هذا من قريب أو بعيد ولكني أعني أن الأم يجب أن تكون بصيرةً بأمور دينها ومجتمعها ، تتمكن من تفهم المشاكل الاجتماعية بسهولة وتتمكن من معرفة الأخطار التي تترتب من جراء تلك المشاكل بسرعة لكي تجنب وليدها تلك المشاكل .

وعلى العموم فالأم يجب أن تكون واعية وعياً إسلامياً كاملاً لكي تتمكن من أن تنشيء وليدها على أسس الإسلام ومفاهيمه الواقعية .

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة